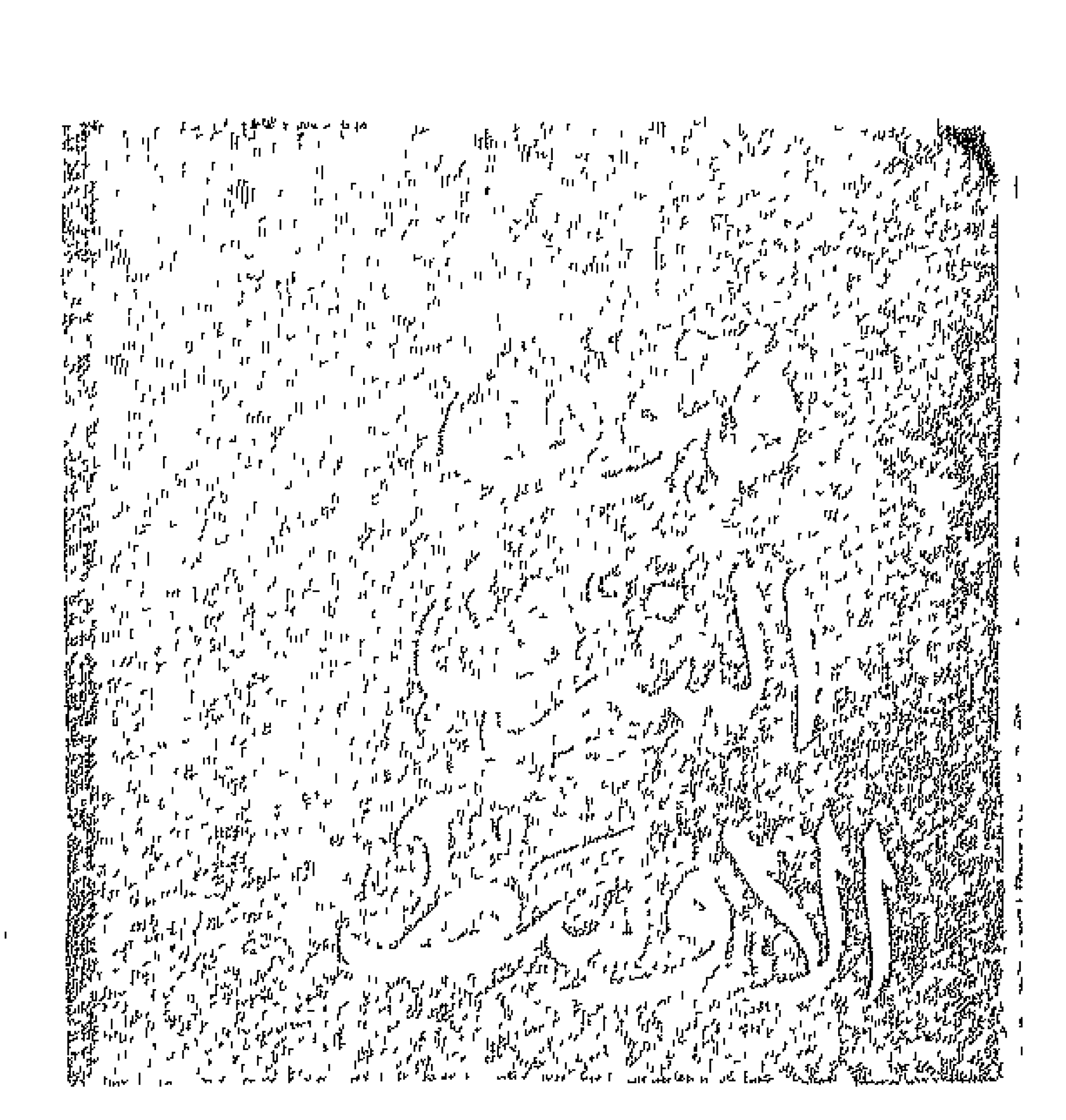


من الغزو الإغريقي حتى الفتح الإسلامي

تأليف
نعمت إسماعيل علام

دار المعارف بمصر

فنون الشرق الأوسط

من الغزو الإغريقي
حتى الفتح الإسلامي

فنون الشرق الأوسط

من الغزو الإغريقى حتى الفتح الإسلامى

تأليف

نعمت إسماعيل علام

ماجستير تاريخ الفنون كلية الآداب . جامعة نيويورك
أستاذة تاريخ الفن . المعهد العالى للتربية الفنية



دار المعارف بمصر

الناشر – دار المعارف بمصر – ١١١٩ كورنيش النيل – القاهرة . ج . م . ع .

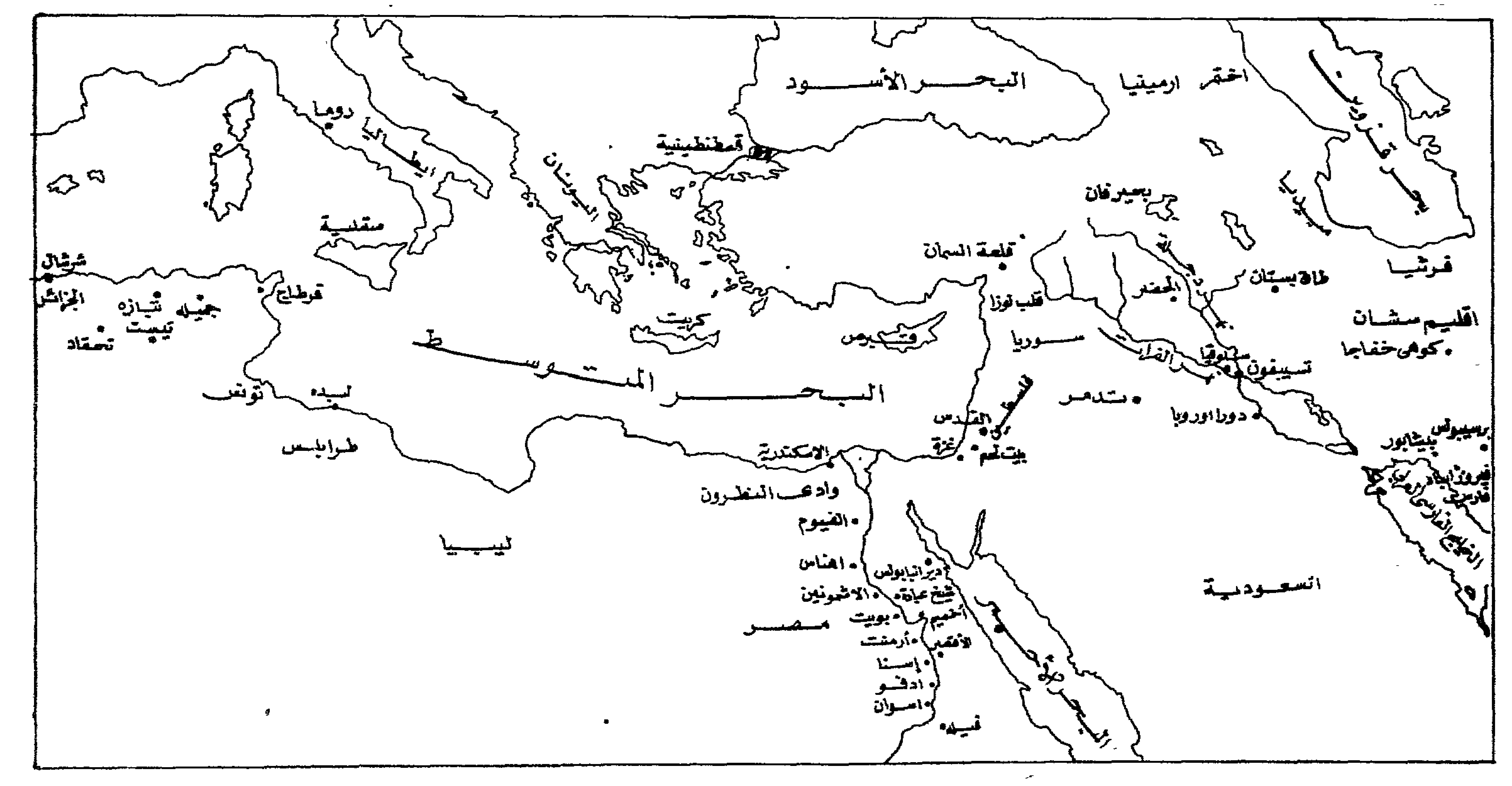
وقل رب زدني علمًا

صدق الله العظيم

الإهداء

إلى ذكرى والدي ..

خريطة الشرق الأوسط من الغزو الإغريقي حتى الفتح الإسلامي



تقــديم

يلاحظ القارئ للجزء الأول من فنون الشرق الأوسط القديم أن المدنيات القديمة قد خلقت لنا تراثاً عظيماً من الحضارة والفنون ، وأن ديانات شعوب العالم القديم كانت فى أغلب الأوقات حقلا يانعاً للفنون . ولم تنطفئ شعلة فنون شعوب هذه المنطقة حتى فى أحلك الأوقات بعد أن تم إخضاعها للإمبراطورية الفارسية الأكمينية أخر الحكام الشرقيين لمنطقة الشرق الأوسط .

وعندما أراد الفرس أن يحققوا مزيداً من الانتصارات بغزوهم المدن الإغريقية الواقعة فى آسيا الصغرى ، بدأت بذلك سلسلة طويلة من الصراع بين الشرق والغرب ، انتهت فصوله بخاتمة فجع فيها العالم القديم . حيث اجتاح الإسكندر المقدونى الإمبراطورية الفارسية ، وانتقلت ممتلكات الإمبراطورية إلى الفاتح الإغريقى ، وبذلك أصبح الشرق الأوسط وفنونه جزءا من تاريخ الحضارة الإغريقية الهيلينية .

وفى عهد خلفاء الإسكندر الذين سيطروا على الشرق الأوسط المقدونيين والرومان ، داومت الثقافة الإغريقية الرومانية على غزو فكر الشرق الأوسط وعاداته وفنونه ، ونتج من امتزاج فنون الشرق مع الفنون الإغريقية الرومانية (الهيلينية) طراز من الفن يختلف عن الفنون الهيلينية فى الغرب وعن الفنون الشرقية القديمة .

وفترة حكم الرومان للشرق لها أهمية كبيرة حيث ظهر فى خلالها الديانة المسيحية ، ولقد أثر هذا الدين الجديد الذى انتشر فى أنحاء الشرق والغرب على ثقافات وعادات شعوب المنطقة مما نتج عنه ظهور فنون ذات طابع جديد مختلف .

لذلك سيتضمن هذا الجزء فنون الحضارات التى تلت سقوط بلاد منطقة الشرق الأوسط على يد الإسكندر المقدونى . وهى الفنون الهيلينية والفنون المسيحية وسنتتبع هذه الفنون التشكيلية المختلفة من عمارة ونحت وتصوير . . إلخ .

ولقد لعبت فارس دوراً رئيسياً فى سياسة وفنون تلك المنطقة فى العصر المسيحى وكانت روائع بعض الفنون البيزنطية ثمرة للمزج بين أفكار الرومان وأساليب الشرق .

وكان من نتيجة انتقال أفكار الفرس إلى الفن الدينى البيزنطى تغيير فى أسس ومفاهيم المقاييس الجمالية للفن البيزنطى الذى ساد المنطقة .

ولا يسعنى فى النهاية إلا تقديم شكرى لكل من تقدم إلىَّ بمساعدة عاونتنى على إتمام هذا الجزء .

وأخص بالذكر المتاحف التى أمدتنى ببعض الصور ؛ المتحف المصرى والقبطى بالقاهرة .

نعمت إسماعيل

ديسمبر ١٩٧٤

فهرس

صفحة

مقدمة . . . .

الباب الأول : العصر الإغريقي الروماني ١٥

تمهيد تاريخي ١٥

الفصل الأول : مصر ١٩

أولا البطالمة [تمهيد تاريخي – العمارة – النحت – النقش على الحجرة

الفنون الصغيرة] ١٩

ثانياً الرومان (العمارة – النحت – التصوير – الفنون الصغيرة) ٢٤

الفصل الثاني : سوريا ٢٧

السلوقيون والرومان [تمهيد تاريخي – العمارة – النحت] . ٢٧

مدينة تدمر ٢٩

مدينة دورا أوربا ٣٨

مدينة البتراء ٣٣

الفصل الثالث : الجزر العربية ٣٤

شبيه الجزيرة العربية ٣٤

الكويت والبحرين ٣٦

الفصل الرابع : شمال أفريقيا ٣٩

صور الباب الأول ٤٥

الباب الثاني : العصر المسيحي فى الشرق ٦١

تمهيد تاريخي ٦١

الفصل الأول : القسطنطينية – الفن البيزنطي ٦٤

[العمارة – النحت على الحجر – التصوير : (الفسيفساء ، التصوير ٦٥

صفحة

الجدارى ، الأيقونة ، تصوير المخطوطات) العاج – المعادن – المنسوجات] ٦٥
الفصل الثانى : مصر – الفن القبطى ٧٩
[تمهيد تاريخى – العمارة – النحت على الحجر – التصوير – النحت
على الخشب – الفنون الصغيرة – (العاج – المعادن – المنسوجات)] ٧٩
الفصل الثالث : سوريا وفلسطين – الفن المسيحى ٩١
[تمهيد تاريخى – العمارة – النحت على الحجر – التصوير –
المخطوطات – الفنون الصغيرة – العاج] ٩١
الفصل الرابع : شمال أفريقيا ٩٧
صور الباب الثانى ٩٩
الباب الثالث : إيران ١٢٣
تمهيد تاريخى ١٢٣
الفصل الأول : الدولة الفرثية ١٢٥
تمهيد تاريخى – العمارة – النحت على الحجر – التصوير الجدارى ١٢٥
الفصل الثانى : الدولة الساسانية ١٣٠
تمهيد تاريخى – العمارة – النحت الكامل – النحت البارز
الفنون الصغيرة – المعادن – المنسوجات ١٣٠
صورة الباب الثالث ١٣٩
المراجع ١٤٧

لوحة زمنية لبلاد الشرق الأوسط
من الغزو الإغريقى ٣٣٤ ق.م حتى الفتح الاسلامى ٦٤١

	مصر	شمال أفريقيا	جنوب سوريا فلسطين الجزيرة العربية	شمال سوريا وبيزنطة	بلاد النهرين	ايران
٣٥٠	غزو الاسكندر المقدونى ٣٣٤ - ٣٢٣ ق.م					
٣٠٠	البطالمة ٣٢٠ - ٣٠ ق.م			السلوقيين ٣١		
٢٥٠	بطليموس الثالث ٢٤٦ - ٢٢١ ق.م					
٢٠٠			الانباط تدمر دورا أوربا			استقلال الفرثيون عن الامبراطورية السلوقية فى ٢٥٠ ق.م
١٥٠						
١٠٠			الأمبراطورية الرومانية			
الميلاد						
٥٠	مصر ولاية رومانية ٣١					
١٠٠						
١٥٠						
٢٠٠						
٢٥٠	: زنوبيا ملكة تدمر فى الاسكندرية ٢٦٩ التقويم القبطى					دول ساسان
٣٠٠	٢٨٤م فى عهد دقلديانوس		قسطنطين يعتنق المسيحية ٣٢٣ ويعترف بها فى اتحاد الامبراطورية			
٤٠٠						
٥٠٠			جستنيان ٥٢٧ - ٥٦١			
٦٠٠	الساسان فى مصر عام ٦١٩ - هرقل يطردهم عام ٦٢٠					
٦٥٠	الفتح العربى ٦٤٨					

البـــابُ الأول

العصر الإغريقى الرومانى

فتح الإسكندر المقدونى لبلاد الشرق – قيام الإمبراطورية الرومانية

الفن الهيلينستى

تمهيد تاريخى :

ظهر الإسكندر المقدونى على المسرح العالمى فى النصف الأول من القرن الرابع قبل الميلاد . وكان مجيئه سبباً فى ختام آخر فصل فى تاريخ شعوب العالم القديم وبداية فصل آخر جديد امتزج الشرق فيه مع الغرب ، تم كل ذلك فى فترة قصيرة .

بعد أن تمكن الإسكندر من استرداد المستعمرات الإغريقية بآسيا الصغرى من الفرس فى عام ٣٣٤ ق . م ، اتجه شرقاً لغزو ممتلكات الإمبراطورية الفارسية ، فاستولى على صور وفلسطين عام ٣٣٢ ق . م ، ثم اتجه إلى مصر فى العام نفسه وفتحها دون مقاومة تذكر ، واستولى على سوريا والعراق عام ٣٣١ ق . م ، وتمت له السيطرة على إيران بعد أن هزم دارا الثالث آخر ملوك الفرس الإكمينيين فى موقعتى أسوس عام ٣٣٣ ق . م وأربل فى عام ٣٣٠ ق . م وامتدت فتوحاته شرقاً حتى بلاد الهند ، واتخذ بابل عاصمة لمملكته الجديدة .

بعد أن أصبح الإسكندر المقدونى الوريث الشرعى للإمبراطورية الفارسية ، بدأ ينشر الهيلينية الإغريقية فى العالم الشرقى . وقد مهد الطريق لنشر الحضارة والثقافة الهيلينية عن طريق صهر الروح الهيلينية والروح الشرقية فى بوتقة واحدة . وتوصل إلى هذا المزج عن طريق تأسيس مدن جديدة على الطراز الهيلينى فى وادى الفرات وفى مصر وعلى ضفاف السند ، أسكنها الإغريق والمقدونيين . وكان أشهر هذه المراكز الهيلينستية مدينة الإسكندرية فى مصر التى نافست شهرتها فى تلك الفترة شهرة أثينا . ولقد تقرب إلى الشعوب المغلوبة

عن طريق الاعتراف بدياناتها ، وتزوج من أميرة فارسية اسمها « روكسانا » وشجع قواده على الزواج من هذه الشعوب .

توفى الإسكندر فى مدينة « سوسا » فى عام ٣٢٣ ق . م ، وبذلك بدأ النزاع بين قواده على تقسيم الإمبراطورية الهيلينستية الشرقية . وقسمت فى النهاية إلى ثلاثة أقسام : مصر وكانت من نصيب بطليموس ، سوريا وبلاد النهرين وإيران وكانت من نصيب « سلوقس » ، فرغاموس وكانت من نصيب « أتالوس » . وبقيت مقدونيا تحت حكم أنتيجونيس .

اتبع خلفاء الإسكندر سياسته فى نشر الحضارة الهيلينية فى البلاد التى استقلوا بحكمها ، وأقاموا مدناً جديدة كمراكز لهذه الثقافة ، اشتهر منها سلوقية على نهر دجلة وأنطاكية على نهر العاصى ، كما ظهرت شهرة فرغا موس بآسيا الصغرى كإحدى عواصم العالم الهيلينستى .

تميز العصر الهيلينستى الجديد الذى خضعت فيه بلاد الشرق الأوسط لعائلات مقدونية مستقلة ، ببدء ظهور صراع بين هذه البلاد التى كانت متحدة قبل ذلك . فتكثر المنازعات بين البطالسة وبين السلوقيين ، وبين السلوقيين والفرثيين ملوك إيران . إلا أن هذه الخلافات لم تمنع اشتراك هذه المناطق فى التأثر بالأساليب الثقافية الإغريقية .

تزعمت روما فى تلك الفترة البلاد الغربية بعد انتصارها على قرطاجنة . وكدولة عظمى تجارية كان عليها أن تحافظ على السلام فى البحار المحيطة . لذلك تدخلت فى سياسة الشرق الهيليني . فتحالفت مع الدول التجارية المسالمة مثل مصر ورودس وفرغا موس وحاربت الأسرة السلوقية عام ١٩٠ ق . م واستولت على ممتلكاتها . وتمت لها السيطرة على الشرق بعد أن بسطت نفوذها على مقدونيا ومصر وآسيا الصغرى ثم سوريا .

صارت هذه الممالك الهيلينية الإغريقية بعد أن أصبحت ولايات رومانية منطقة حاجزة بين الدولة الرومانية وبين الدولة الفرثية التى استولت على حكم إيران فى عام ٢٥٠ ق . م بعد أن طردت السلوقيين منها . وكان الجزء الغربى من بلاد الشرق الاوسط فى نهاية القرن الأول ق . م . جزءاً من الإمبراطورية الرومانية وكان الجزء الشرقى – إيران وبلاد النهرين – خاضعا لحكم الأسرة الفرثية .

تأسست الإمبراطورية الرومانية فى عهد إكتافيوس (٣٠ ق . م – ١٤ م) بعد اتساع ممتلكات روما فى الشرق حتى حدود الفرات ولقب « أغسطس » . وتولى الحكم بعده أفراد من أسرته أشهرهم نيرون (٦٩ – ٧٩ م) وتراجان(٩٨ – ١١٧ م) الذى أضاف أرمينيا وبلاد النهرين إلى الإمبراطورية إلا أن حدود الدولة انكمشت مرة ثانية إلى نهر الفرات فى عهد خليفته هادريان (١١٧ – ١٣٨ م) . وكثرت الحروب مع البرابرة فى عهد ماركوس أورليوس (١٦١ – ١٨٠ م .) .

كان لروما فى تلك الفترة وظيفة قيادية فى تاريخ العالم تحددت خطوطها ، ففى الغرب أخذت على عاتقها توطيد دعائم القانون والمدنية بين شعوب الغرب البرابرة على حين اقتصرت رسالتها فى الشرق على المحافظة على بنيان المدينة الهيلينسية التى تفوق مدنيتها ، والتى أقامها الإسكندر وخلفاوه فى بلاد الشرق الأوسط .

ضعفت الإمبراطورية الرومانية ضعفاً شديداً بعد موت ماركوس أورليوس ، وساءت الأمور فى عهد كسركلا (٢١١ – ٢١٧) م وحاول الإمبراطور دقلديانوس ٢٨٤ – ٣٠٥ م إصلاح ذلك بتقسيم الإمبراطورية الكبيرة بين حاكمين . الجزء الشرقى اختص هو به ، وكان مركز حكمه روما ، والجزء الغربى تركه لحاكم آخر مركز حكمه ميلانو. إلا أن هذا النظام زال بوفاته ، حيث وحد الإمبراطور قسطنطين ٣٠٦ – ٣٣٧ م حكم الإمبراطورية مرة ثانية فى العاصمة روما .

انتقل مركز حكم الإمبراطورية الرومانية الموحدة إلى الشرق بعد أن آمن قسطنطين بالدين المسيحى وأسس عاصمته الجديدة وأسماها القسطنطينية .

لم يكن لسيادة الرومان فى منطقة الشرق الأوسط أثر حضارى ظاهر ، فلم يحاول الرومان الذين كانوا معجبين بالحضارة الإغريقية تغير أى شيء من الثقافة الهيلينستية التى وجدوها فى البلاد . وبذلك لم تكن مهمة روما الخلق وإنما كانت المحافظة على استمرار التقاليد الهيلينستية . كما استمر استخدام اللغة الإغريقية .

وقد تعلم الرومان الارستقراطيون من الإغريق تقدير الآداب وتذوق الفنون . وحمل قوادهم إلى روما روائع أمثلة النحت الإغريقى ليزينوا بها منازلهم . ولم يقتصر اهتمام الرومان على الاحتفاظ بآثار الماضى التذكارية بل نجد أنهم شجعوا الفنانين الإغريق على ابتكارات

جديدة فى الفن ، حيث إن الرومان لم يصبحوا قط فنانين مثل الفنانين الإغريق المشهورين .

كان لانتصار الإسكندر المقـــدونى على دارا الثالث الفارسى (ش ١) أثر كبير فى فنون الشرق الأوسط القديم . حيث إن الفن الهيلينى الذى ظهر فى بلاد الإغريق منذ القرن الرابع ق . م . كان يعبر عن النظرة إلى الحياة التى تغيرت وأصبحت واقعية . . وكان يتميز بإتقان الصنعة وتصوير العواطف الإنسانية التى تبرز الخصائص الفردية . ونتج عن امتزاج الفن الهيلينى الإغريقى فى خلال الحقبتين المقدونية والرومانية مع الفنون المحلية القديمة طراز فنى جديد عرف بالطراز الهيلينستى . ولقد ازدهر هذا الطراز فى الأقاليم التى تأثرت بالهيلينستية . ولقد نشأت ثقافة وفنون هيلينستية فى الإسكندرية وسلوقية وأنطاقية وفى فرغا موس ورودس ، وامتدت هذه الثقافة وفنونها إلى الولايات التابعة للفترة الإغريقية الرومانية فى شمال أفريقيا وفى الجزر العربية .

الفصل الأول

مصر

البطالمة (٣٠٥ – ٣٠ ق . م)

كانت مصر ولاية فارسية عندما وصل الإسكندر إلى حدودها الشرقية فى عام ٣٣٠ ق . م . ولم يقاومه المصريون تخلصاً من تعسف حكم الفرس الأكمينيين . وتقرب الإسكندر إليهم باحترام آلهتهم ، فقدم القرابين إلى أبيس وبتاج عندما وصل إلى منف ، وإلى آمون عندما زار معبده الموجود بواحة سيوه . وتوّجه الكهنة ابناً لآمون تبعاً للتقاليد المتبعة مع فراعنة مصر . واتخذ شعاره قرنى الكبش المصرى المقدس ، ومن ذلك عرف باسم « اسكندر ذى القرنين » . (ش ٢) وشيدت الإسكندرية فى عهده فى عام ٣٢٢ ق . م .

وبعد وفاته حكم بطليموس الأول مصر فى أول الأمر بصفته والياً من قبل الإغريق ، إلا أنه استقل بالحكم بعد فترة وحكم باسم ملك مصر فى عام ٣٠٥ ق . م ، واستمرت أسرته فى حكم مصر إلى أن اندمجت فى الإمبراطورية الرومانية عام ٣٠ ق . م بعد وفاة آخر حكامها كليوبترة السابعة .

حكم البطالسة مصر على مناهج قدماء المصريين بالرغم من ظهور العنصر الإغريقى بكثرة فى البلاد وبخاصة فى العاصمة الإسكندرية . وحافظوا على سياسة الإسكندر ، واكتسبوا حب المصريين بالتقرب إلى آلهتهم . وأصبحت الإسكندرية فى عهد بطليموس الثانى ٢٨٥ – ٢٤٧ ق . م . والثالث ٢٤٨ – ٢٢٣ ق . م . من أكبر مراكز الحضارة الهيلينستية ، كما تفوقت عليهم بفنونها وأصبحت مهبط المعارف والفنون ، وأخذت المركز الثانى بعد أثينا فى الحضارة والثقافة الإغريقية .

وتستدعى هذه الفترة النظر بمؤلفاتها التاريخية . حيث كلف بطليموس الثانى الكاهن المصرى مانيتون بكتابة تاريخ ملوك مصر القدماء ، وشيدت فى عهده مكتبتان

عظيمتان « دار الكتب » و « دار المتحف » وكان يؤمها العلماء الإغريق من أنحاء العالم الهيليني . ومن العلماء الذين بحثوا فى المتحف إقليدس المهندس وأرشيميدس العالم .

وعندما ضعف الحكام البطالسة وكثرت منازعاتهم بسطت الجمهورية الرومانية حمايتها على مصر عام ١٦٨ ق . م وحاربت أعداءها السلوقيين فى الشرق . وكان من نتائج ذلك أن اشتبك البطالسة فى حروب الأحزاب القائمة فى روما . ولما لجأ إلى إلى مصر ، طارده يوليوس قيصر فى عام ٤٨ ق . م . وكان ذلك فى عهد كيلوباترة ، السابعة التى أحبها القائد الرومانى أنطونيو . وقام بينه وبين أوكتافيوس صديقه منازعات لمصلحة الملكة الإغريقية انتهت بانتصار أكتافيوس فى واقعة أكتيوم البحرية عام ٣٠ ق . م ، وبانتحار كليوباترة . وصارت مصر منذ ذلك التاريخ ولاية رومانية حتى الفتح العربى فى القرن السابع الميلادى .

وبالرغم من أن الهيلينستية سادت فى ممتلكات الإسكندر بعد موته فإن حماس البطالسة فى نشر رسالة الهيلينة فى ممتلكاتهم لم يكن كافياً . واقتصر ظهور الفن الهيلينستى فى مصر على الإسكندرية العاصمة .

كان البطالسة يعيشون على الطريقة الإغريقية فى حياتهم الخاصة إلا أنهم آمنوا بالديانة المصرية القديمة واتبعوا تقاليدها . لذلك ساد الفن الإغريقى الهيلينى المرتبط بالشئون الدنيوية جنباً إلى جنب مع الفن المصرى القديم المتعلق بالنواحى الدينية . وانتشرت آثار الفن الأول فى الإسكندرية على حين انتشر الفن الدينى فى مصر العليا .

العمارة :

قامت العمائر فى الإسكندرية منذ أنشأها الإسكندر حتى آخر عهد بطليموس الثانى ، وكثرت العمائر فى عهده ، فشيد للمدينة منارة عالية لإرشاد السفن بلغ ارتفاعها حوالى مائة متر . وكان تصميمها على هيئة برج ذى طبقات من حجر أبيض (ش ٣) ، وذاعت شهرتها فى العالم الهيلينستى إلا أن زلزالا دمرها عام ١٣٠٧ م . كما شيد هذا الملك بالإسكندرية المكتبتين الشهيرتين ، وأضاف جزءاً إلى

قصر أنس الوجود . كما شيد بها بطليموس الرابع (٢٢٢ – ٢٠٥ ق . م .) معبداً للآلهة سيرابيس وأزيس .

اهتم البطالسة الذين آمنوا بالديانة المصرية بإقامة معابد للآلهة المصرية على نمط المعابد التى وجدوها بالوجه القبلى ، واقتبسوا كثيراً من معابد العهد الصاوى . فشيدوا معابد فخمة فى مدن الوجه القبلى : أدفو ، دندرة ، إسنا ، كوم امبو ، فيلة . وأحسن نموذج لدراسة المعابد البطلمية هو معبد أدفو الذى شيده بطليموس الثالث .

صمم هذا المعبد على النمط التقليدى المتبع فى المعابد المصرية ، أى طراز المعبد المستطيل الذى تقع أجزاؤه على محور واحد مستطيل . حيث يؤدى المدخل الذى يتوسط الواجهة إلى الفناء المكشوف (ش ٤) ثم إلى القاعة المغطاة ذات الأعمدة التى تنتهى بقدس الأقداس . وتتميز أعمدة هذا المعبد بالضخامة ، كما ظهرت به من جديد الأعمدة النخيلية التى اختفت فى عمارة الدولة الحديثة . كما نرى فى فناء المعبد تمثال الإله حورس الذى شيد المعبد من أجله .

النحت :

التحق ببلاط الإسكندر فى فترة إقامته بالشرق الأوسط المثال الإغريقى « ليسيباس » ويقال إنه قام بعمل تماثيل شخصية كثيرة له . ويتضح من إحدى هذه التماثيل التى تنسب له (ش ٥) ظهور الطابع الهيلينى الذى يتميز بالحيوية والتعبير .

وقد شجع البطالمة المثالين الذين يقومون بأعمال تبعاً للتقاليد المصرية ، واستطاع المثالون المحليون أن يكوّنوا طرازاً إغريقيًّا خاصًّا بهم ، فنجد أن التماثيل التى نحتت للمعابد والمقابر كانت استمراراً للأسلوب المصرى القديم مع ظهور التأثير الأغريقى . ومن التماثيل التى يظهر بها اختلاط الطرازين معاً ، تمثال عثر عليه بالكرنك (ش ٦) يوجد حاليًّا بالمتحف المصرى بالقاهرة . ونلاحظ أن رأس التمثال الذى يصور شخصية إغريقية قد نحت بالأسلوب الإغريقى المعبر بالرغم من الوقفة والزى المصرى .

إلا أن عملية خلط الأساليب لا تستمر لفترة طويلة ، وذلك لتعذر مزج الأسلوب المصرى المتزن بالأسلوب الهيلينى المعبر للاختلاف الشديد الموجود بين أسلوبهما فتظهر

بعد ذلك تماثيل منحوته إما بالأسلوب المصرى (ش ٧) أوبالطابع الإغريقى (ش ٨) ، وذلك لأن كثيراً من فنانى أثينا هاجروا إلى بلاط البطالمة فى تلك الفترة واستوطن معظمهم الإسكندرية وأنتجوا طرازاً إغريقيًّا خالصاً .

وقد كانت الإسكندرية فى عهد البطالمة مركزاً رئيسيًّا من مراكز النحت الهيلينستى ، وكان إنتاجها ينافس المراكز الهيلينستية الأخرى . وذكر أن بطليموس الرابع قد أمر بصناعة تمثال للإله سيرابيس ليوضع فى معبده ، وأن هذا التمثال الذى يرمز للعالم الآخر كان مثالا للقوة والجمال ، ويظهر على وجهه مسحة من الرقة بالرغم من الإحساس بالرهبة والجلال الذى يشعر بهما الناظر إليه . وكان ملوناً باللون الأزرق ، وعيناه مرصعتان بجوهرتين تلمعان فى ظلام المعبد . ويعلو رأس التمثال مكيال قمح يرمز لمصر التى كانت تعد مركزاً رئيسيًّا لإنتاج الغلال . ويعتقد مؤرخو الفنون أن هذا التمثال كان من عمل المثال الإغريقى بارياكس الذى تتلمذ على يد المثال سكوباس .

عثر أيضاً على تماثيل من معبد سيرابيس فى منف كانت فى الغالب تصور الآلهة المصرية : آمون ، إزيس ، سيرابيس ، إله النيل ، وكانت منحوتة بالأسلوب الإغريقى ، كما عثر على تماثيل واقعية لأفراد من الشعب . ولقد ذكر أن فن النحت قد تدهور بعد حكم بطليموس الرابع .

ومن الأعمال الفنية الرائعة التى تمثل فن النحت الهيلينستى فى الإسكندرية ، تمثال لرجل مكتمل العمر مضطجع يستند على تمثال أبى الهول ، ومن حوله ستة عشر طفلاً صغيراً (ش ٩) وترمز هذه الشخصية إلى نهر النيل وفروعه ومنابعه . وكان المثالون فى تلك الفترة يقبلون على عمل تماثيل ترمز للمدن [١] والأنهر . واقتبس الرومان هذه الفكرة الرمزية عندما نحتوا تمثالاً على هيئة رجل رمزاً لنهر التيبر الإيطالى .

وكانت الإسكندرية فى تلك الفترة تحوى فئات متعددة من الأهالى ، إغريقيين مقدونيين ، مصريين ، نوبيين ، وجالية يهودية كبيرة ، مما دعا سترابو أن يطلق عليها « خزان عالمى » . وأقبل الفنان على الاهتمام بالمواضيع الشعبية الهيلينستية ، ويتضح ذلك فى تمثال صغير من البرونز لصبى نوبى (ش ١٠) .

(١) كان يرمز للأسكندرية أو أزيس آلهة البحر بشكل سيدة على رأسها تاج .

النقش على الحجر :

لم تختلف الموضوعات المنقوشة على جدران المعابد البطلمية فى الغالب عن الموضوعات الموجودة على جدران المعابد المصرية . ويتضح ذلك فى نقش يصور الملك بطليموس الثانى مرتدياً التاج المزدوج محاطاً بالآلهة (ش ١١) . ونلاحظ أن نقوش العصر البطلمى تتميز بعمق واضح يذكرنا بنقوش الأسرة العشرين .

وبالرغم من ضعف انتشار تأثير الفن الفارسى الأكمينى بين شعوب الأقطار التى حكمها الفرس قبل الغزو الإغريقى ، فإننا نلاحظ تأثيرات منه تظهر فى العصر البطلمى . ويتضح ذلك فى نقش على جدران الدرجات الصاعدة إلى سقف معبد أدفو (١٢) حيث تذكرنا صورة الملك والكهنة يصعدون السلم فى الاحتفالات الدينية بالنقوش البارزة الموجودة على جدران قصر برسيبوليس بإيران (ش ١٣) .

ويظهر التأثير الفارسى أيضاً فى مقبرة من العصر البطلمى موجودة فى هرموبوليس - تونا الجبل - تخص بتوزيريس كبير كهنة توت . فنجد من بين النقوش التى تصور عمالا يقومون بأعمالهم ، إناء فارسى وعموداً يعلوه تاج مشكل على هيئة زهرة اللوتس ومن فوقها حيوانات رابضة (ش ١٤) . ولقد ظهرت هذه التيجان فى قصر برسيبوليس(١).

الفنون الصغيرة :

اشتهرت الإسكندرية وبرجامون بكونهما مركزين هامين لصناعة المعادن ، وقد انتشرت فى العصر الهيلينستى فكرة نقش صور الملوك على العملات الفضية ، بالإضافة إلى أشكال الآلهة . ويتضح فى نقش هذه الصور الأسلوب الهيلينستى الواقعى الذى تظهر به خصلات الشعر متطايرة . ونلاحظ ذلك فى عملة منقوشة بصورة الملك بطليموس الأول (ش ١٥) . وكان الحكام المقدونيون يشجعون الفنانين الإغريق على هجر أثينا والالتحاق ببلادهم . ومن المصورين الذين التحقوا ببلاط سوتر (بطليموس الأول)

---

(١) انظر فنون الشرق الأوسط القديم ، نعمت إسماعيل ش ٢١٥ ، دار المعارف ١٩٦٩ .

المصور انتفيلوس ، ولابد أنه عمل له صوراً شخصية نفذت على العملات الفضية .

وتفوقت الإسكندرية وأنطاكية بين البلاد الهيلينستية بكونهما مركزين لنحت حجر نصف كريم يعرف باسم «كاميو»[١]. ولقد وجدت نماذج منه نقش عليها صورة إسكندر ووالدته أوليمبيا ، كما عثر على حجر به نقش بطليموس الثانى وأخته . ولقد تقدمت هذه الصناعة فى العصر الهيلينستى وبرع الفنانون فى نقش الموضوعات التى تتميز بالدقة المتناهية . ويتضح ذلك فى حجر منقوش (ش ١٦) .

الرومان (٣١ ق . م – ٣٠٦ م)

لم تكن مصر مركزاً للحضارة الهيلينستية فى حكم الرومان مثلما كانت فى عصر البطالمة . ويختفى الطابع المصرى القديم تقريباً بعد سقوط دولة البطالمة ، ويسود طابع جديد إغريقى رومانى يعتبر امتداداً للفن الهيلينستى الذى ظهر فى البلاد التابعة لحكم خلفاء الإسكندر . وينتشر هذا الطابع الهيلينستى الرومانى بصفة خاصة فى الإسكندرية والفيوم لوجود جاليات إغريقية رومانية بهما .

العمارة :

أضاف بعض الأباطرة المصلحين أجزاء إلى المعابد البطلمية (ش ١٧) كما شيد الإمبراطور هادريان مدينة بالقرب من أسيوط عرفت باسم أنطونيو ، حاليًا « الشيخ عبادة » . ولقد أقامت الجالية اليهودية بالإسكندرية عموداً تذكاريًّا للملك دقلديانوس (ش ١٨) استمد شكله من الأعمدة التذكارية الكورنثية .

النحت :

نشط فن النحت مرة ثانية فى الإسكندرية فى القرن الأول ق . م . فى العصر الرومانى . وكانت التماثيل الحجرية التى عثر عليها من تلك الفترة ذات طابع رومانى

(١) لم أتوصل إلى التسمية العربية فى القواميس التى بحثت فيها .

بحت ليس بها أى جديد . ويتضح ذلك من تمثال لشخص يدعى ليسينوس بالمتحف المصرى بالقاهرة (ش ١٩) وتمثال لشخصية رومانية بالمتحف الإغريقى الرومانى بالإسكندرية يرجح أنها تمثل الإمبراطور دقلديانوس . حيث نلاحظ أن أسلوب نحت مدينة الإسكندر الهيلينستى قد أصبح متأثراً بالطراز الرومانى .

التصوير :

بدأ ظهور تأثير الفن الإغريقى الرومانى (الهيلينستى) فى بعض التصاوير الجدارية التى تغطى مقابر « تونا الجبل » . فنلاحظ أن الفنان المصرى قد استخدم الأساطير الإغريقية فى تصاوير الإفريسكو الملونة . ويتضح ذلك فى تصوير جدارى وجد فى مقبرة ، يوضح ثلاث مراحل من أسطورة أوديب . فترى الملك يجتاز بوابة مدينة طيبة ببلاد اليونان ويقابل أبا الهول ، وتصور المدينة على هيئة آدمى ، وفى النهاية يصور أوديب وهو يقتل والده (ش ٢٠) . ونجد فى هذه الصورة محاولة من الفنان فى إظهار الضوء والظل كما أهتم بتسجيل الخلفيات المعمارية . ومن المرجح ازدهار مدرسة التصوير الجدارى فى الإسكندرية فى العصر الرومانى وانتقلت موضوعاتها إلى الغرب . ويؤيد ذلك تصاوير جدارية عثر عليها فى مدينة بومبى (ش ٢١) تصور موضوعات نيلية مقتبسة من مدرسة الاسكندرية .

إلا أن هذا العصر يتميز بظهور صور شخصية ملونة لنساء ورجال وأولاد توضع على وجه تابوت المومياء (ش ٢٢) بدلا من الوجوه المحفورة التى كانت توضع على الجزء الأعلى من توابيت الموتى . وكانت هذه الصورة الملونة ترسم على قماش مغطى بطبقة من الجبس أوعلى اللوح الخشبى مباشرة .

ولما كان الغرض من رسم هذه الصور [لوحة ملونة ١] أن تحافظ على شبه المتوفى حتى تساعد الروح على البقاء ، لذلك يلاحظ أن هذه المجموعة التى تصور شباباً ورجالاً ونساء (ش ٢٣) تتميز بدقة فى فن التصوير الشخصى لم يظهر مثلها فى البلاد الواقعة تحت الحكم الرومانى ، حيث نلاحظ أن الفنان قد سجل الظلال التى تظهر فى الوجه حتى يبدو مجسما ، كما اهتم بتوضيح درجات اللون فى أجزاء الوجه . وتنسب هذه

المصور إلى الجالية الإغريقية التى وجدت فى الفيوم فى عهد الإمبراطور هادريان .

ومن الفنون التى انتشرت فى مصر فى العصر الرومانى فن زخرفة الأرضيات بالفسيفساء . ويدل على ذلك الفسيفساء التى عثر عليها فى تل تماى بالقرب من الإسكندرية . وتشمل هذه الزخارف موضوعات نيلية نقلها الرومان إلى بلادهم (ش ٢٤) .

ويضعف التأثير الهيلينستى فى فترة الحكم الرومانى ويؤيد ذلك الفسيفساء التى عثر عليها فى جهة شيخ زويده شرق الإسكندرية . ويرجع تاريخ هذه الزخارف إلى الفترة الواقعة بين حكم أنطونيوس تيوس - ١٢٨ م - وقسطنطين الثانى - ٣٦١ م - وربما نقلت موضوعات زخارف هذه الفسيفساء عن تصاوير جدارية . ويؤيد ذلك اللوحة الفسيفسائية التى عثر عليها فى بومبى والموجودة حاليا بمتحف نابولى والتى تصور لقاء الاسكندر بالملك دارا (ش ١) حيث ذكر أنها نقلت عن تصوير جدارى قام به المصور فيلوكيفس عام ٣٠٠ ق . م .

وكما نعلم كانت صناعة الزجاج من الفنون المشهورة فى مصر منذ قديم الزمان واستمر ازدهار تلك الصناعة فى العصرين الإغريقى والرومانى . ويتضح ذلك من المجموعة الجميلة التى عثر عليها فى منطقة كوم أوشيم (كرانس القديمة) غرب الفيوم . ويؤيد هذه البراعة إناء من الزجاج بالمتحف الرومانى به زخارف (ش ٢٥) متعددة الألوان .

الفصل الثانى

سوريا

السلوقيون (٣١٢ – ١٣٩ ق . م) فى العراق . (٣١٢ – ٦٤ ق . م) فى سوريا
الرومان (٦٥ ق . م – ٣٠٠ م)

وقعت أملاك الإسكندر الآسيوية بعد موته من بحر إيجا حتى السند فى يد نيقاطور (سلوقس) قائد المنطقة الشرقية فى عهد الإسكندر ، وبذلك أصبح سلوقس الأول (٣١٢ – ٢٨١ ق . م) ملكاً على آسيا . وأسس الدولة السلوقية وشيد لها عاصمة جديدة على الضفة الغربية من نهر دجلة أسماها سلوقية وبذلك حلت محل بابل عاصمة بلاد النهرين . كما شيد مدناً جديدة على غرار المدن الإغريقية أشهرها أنطاكية على نهر العاصى أسماها باسم والده أنطيوكس . تعاقب على حكم الدولة عدد من الملوك كان أكثرهم يحمل اسم سلوقس أو أنطيوكس . أشهرهم أنطيوكس الثالث (٢٢٣–١٨٧ ق. م) إلا أن سلوقية فقدت مركزها بعد ضعف الدولة وصارت أنطاكية مركزاً لحكم الأسرة بعد أن اقتصر نفوذها على سوريا .

كانت كل من مصر ومقدونيا دولة متضامنة متجانسة ومن السهل نسبيًّا الدفاع عنها ، على حين كانت الإمبراطورية الآسيوية تنقصها الوحدة ، لذلك لم يتمكن ملوكها من الاحتفاظ بإمبراطوريتهم . فسرعان ما استعادت البنجاب استقلالها ، كما تمكن الفرثيون من الاستقلال بحكم إيران فى عام ٢٥٠ ق . م وفرضوا سلطانهم على البلاد الواقعة شرق نهر دجلة . وتمكنوا من الاستيلاء على بلاد النهرين عام ١٣٩ ق . م فى عهد أنطيوكس السابع ، الذى اقتصر حكمه على سوريا فقط . وبذلك وجد خلفاء سلوقس أنفسهم محصورين فى منتصف القرن الثانى الميلادى فى الأراضى الواقعة بين الفرات شرقاً وبين دولة البطالمة ، أى بين فارثيا ونفوذ روما .

(١) تعرف أطلالها حاليًّا بتل عمر .

تمكنت الجيوش الرومانية التى تطمع فى بلاد الشرق الأوسط من فتح سوريا عام ٩٥ فى عهد الملك أنطوكس التاسع ، وبـقى الجزء الشمالى لفترة تحت حكم الأسرة إلى أن زال تماماً بعد استيلاء الرومان عليه عام ٦٥ ق . م .

كان الملوك السلوقيون أكثر الأسرات المقدونية الإغريقية حماساً للحضارة الهيلينية وعملوا على نشرها فى ممتلكاتهم . واقتبس سكان هذه الأقطار مع من هاجر إليها من البلاد الإغريقية لسكنى المدن الجديدة مظاهر الحضارة الهيلينة . وظلت سلوقية مدينة إغريقية حتى بعد أن استولى عليها الفرثيون .

لاحظنا أن تأثير الفن الهيلينستى كان بسيطاً فى مصر لقلة حماس البطالمة لنشر رسالة الهيلينية ، غير أن حكام سوريا الذين كانوا يحبون الهيلينية حبًا جمًّا ساعدوا على انتشار الهيلينية وفنونها ، وإنه للأسف لم يعثر على آثار تذكر فى سوريا من فترة حكمهم . وكانت أكثر الآثار الهيلينية التى عثر عليها المنقبون فى المدن السورية تعود إلى الفترة الرومانية . وتظهر الآثار الهيلينية ايضاً فى المدن الصحراوية الواقعة على حدود الدولة السورية .

العمارة :

كانت مدينة بعلبك مدينة مهمة فى العصر الرومانى لموقعها ، وعرفت بمدينة الشمس فى عهد السلوقيين ، وكانت الشهرة العالمية للمدينة مصدرها المعبد الذى أنشئ قبل العصر السلوقى لعبادة الإله السورى المحلى بعل . ويقال إنه كان يضم تمثالاً ذهبيًا للآله . ولقد تناوب الرومان توسيع المعبد من القرن الثانى الميلادى حتى القرن الثالث . وتفوق آثاره أى آثار عثر عليها فى سوريا من العهد الرومانى (ش ٢٦) . وقد خصص بالمعبد مكان لعبادة الإلهين جوبيتر وباكوس . وتتضح عمارة هذا المعبد الجميلة فى مجموعة الأعمدة الحجرية التى تعلوها تيجان كورنثية . ويظهر الأسلوب الهيلسنتى فى أسلوب نحت أوراق النبات بالشكل الطبيعى .

غير أن هناك أسلوباً شرقيًا يظهر فى طريقة نحت زخارف أوراق الشجر الموجودة فى إطارات الفتحات ، حيث نلاحظ أن النحت عميق ، وهذا طابع شرقى اشتهر به

العمال السوريون . وانتقل هذا الأسلوب إلى شمال أفريقيا فى عهد الإمبراطور سويروس الذى أحضر فنانين من سوريا لنقش جدران البازيليكا التى شيدها فى مدينة لبده بليبيا . (ش ٢٣٨) ولقد انتقل هذا الأسلوب بعد ذلك إلى إيطاليا وظهر فى عهد النهضة فى روما . ولو فرض أن مدينة الشمس مدينة رومانية فإننا نلاحظ أن الشرق قد ترك بصماته على هذا المعبد الذى يميزه عن أى مبنى رومانى فى أوربا .

النحت :

صاحب التغييرات الثقافية التى ظهرت فى العصر الهيلينى تغييرات أساسية فى فن النحت . واتجه الفنان إلى الاهتمام بالواقع فى الحركة والتعبير وفى نوع الموضوع الذى يختـــاره . وانحصر اهتمام المثالين فى تلك الفترة فى عمل تماثيل شخصية للملوك أو الآلهة أو الشخصيات الشعبية . وتظهر مقدرة الفنان فى التعبير عن شخصية الحاكم فى رأس تمثال الملك أنطيوكس الثالث (ش ٢٧) الذى انتعشت فى عهده الدولة السلوقية .

تكونت أيضاً فى المدن الواقعة على الحدود السورية ذات الأصل العربى مراكز مهمة للفن الهيلينستى فى سوريا . ولقد انتقل إليها هذا الفن بعد ازدهاره فى بعض الدول الرومانية . وهذه المدن هى تدمر فى الشمال ، ودورا أوربا على نهر الفرات ، ومدينة البتراء جنوب الأردن وقد حكمت هذه المدن عائلات عربية حافظت على علاقاتها الودية بجيرانها الأقوياء . كذلك انتشرت الفنون الهيلينستية فى بعض المراكز العربية الواقعة تحت حكم السلوقيين ، مثل اليمن وجزيرتى فيلكه (الكويت) والبحرين وشمال أفريقيا فى فترة خضوعها للرومان .

مدينة تدمر :

عرفت هذه المدينة فى عهد الإغريق باسم « بالميرا » [1] . وترجع نشأتها فى الصحراء السورية إلى عهد الفرثيين ، وكان يسكنها فى أول نشأتها قبائل عربية . وساعد

(١) هذه تسمية أغريقية معناها مدينة النخيل .

موقعها المنعزل فى الصحراء على أن تكون مركزاً هاماً من مراكز القوافل التجارية فى عصر السلوقيين . وفى عصر الإمبراطور أغسطس كانت منطقة فاصلة ووسيلة اتصال بين فرثيا وروما . وكان التدمريون يقومون بالقسط الأكبر من تجارة البحر الأبيض المتوسط مع بلاد فارس والهند والصين ، مما نتج عنه أن أصبحت تدمر أكثر مدن سوريا والشرق الأوسط ثروة وفخامة .

حافظ أمراء تدمر على استقلالهم وحيادهم لمدة طويلة ، وكانوا على صلات ودية مع الإمبراطورية الرومانية فى فترة حروبها مع الفرثيين ودولة الساسان الذين خلفوهم فى حكم إيران . إلا أن هذا الاستقلال لم يكن من السهل المحافظة عليه حينما اشتد نفوذ الإمبراطورية الرومانية فأصبحت تدمر تابعة لروما لفترة تمكن بعدها « اذينة » ملك تدمر غير المتوج من الاستقلال بها . وبعد أن هزم شاهبور الساسانى لقبته الإمبراطورية الرومانية بلقب « ملك الملوك » حاكم الشرق . وامتد حكمه من أرمينيا إلى شمال مصر .

وورثت هذا اللقب زوجته زنوبيا أو « الزباء العربية » . واتسعت الدولة فى عهدها وشملت سوريا وجزءاً من آسيا الصغرى وشمال الجزيرة العربية والإسكندرية . إلا أن جيوش الإمبراطور أورليان تمكنت من هزيمتها فى أنطاكية عام ٢٧١ م ، وماتت فى الأسر الرومانى . ولقد نهبت تدمر ودمرت فى هذه الحروب ولم تقم لها قائمة بعد ذلك .

وتعتبر آثار تدمر من أحسن الآثار السورية التى تأثرت بالنمط الهيليستى . وتدل هذه الآثار على الرخاء الذى كانت تتمتع به هذه المدينة التجارية .

المعابد :

كانت المعابد التى شيدت فى تدمر مخصصة للآلهة التدمرية المحلية ، وكان تصميم المعبد الكبير الذى شيد لعبادة الإله بعل فى القرن الثانى الميلادى مزيجاً من تصميم المعابد الإغريقية ومعابد بلاد النهرين . وكان التدمريون الذين لم يكن لهم تقاليد فنية قديمة خاصة بهم يميلون إلى العمارة الكلاسيكية ، واستخدموا فى ذلك مهندسين إغريقيين ورومانيين . إلا أننا نلاحظ أنه بالرغم من أن طراز الأعمدة والعقود إغريقى رومانى (ش ٢٨) فإنه يوجد طابع شرقى إلى جانب الأسلوب الإمبراطورى . حيث تظهر بالأعمدة

الموجودة بالمعبد دعائم حجرية بارزة لوضع تماثيل الأفراد الذين قاموا بأعمال جديرة بالتقدير وهذا الأسلوب تدمرى شرقى .

النحت :

تتميز مدينة تدمر بتماثيل تبرز من ألواح جنائزية وجدت فى مدافنهم . ولقد ساعدت هذه الألواح الفريدة على معرفتنا بشكل رجال ونساء الطبقة الحاكمة فى المدينة . ويتضح من لوحة حجرية كانت تستعمل كشاهد لقبر سيدة (ش ٢٩)،تأثر الفنان بالأسلوب الشرقى فى تسجيله لثنيات النسيج وتوضيحه شكل المصاغ الذى يدل على الترف . وفى بعض الأحيان كان شكل المتوفى ينقش مع عائلته فى لوحة واحدة ،كما كان الاسم يكتب باللغتين السورية والإغريقية . ولقد أثر أسلوب تدمر بعد ذلك فى الفن البيزنطى .

وقد عثر فى مدينة حمص الواقعة بالغرب من تدمر على خوذة معدنية على هيئة وجه آدمى (ش ٣٠) وهذه الخوذة مصنوعة من الحديد والفضة . واستعمال معادن مختلفة فى عمل فنى واحد هو أسلوب اشتهر به الحيثيون فى الأناضول قبل ذلك . ويمكن أن تعتبر هذه الخوذة مثال لفترة مبكرة من فن تدمر حيث إن المسافة بين تدمر وحمص تبلغ حوالى مائة وخمسين كيلومتراً .

دورا أوربا :

أنشأ مدينة دورا أحد قواد الإسكندر المقدونى فى الصحراء السورية عند منتصف نهر الفرات شمال مدينة مارى . ولقد نشأت هذه المستعمرة الهيلينسية فى حوالى عام ٣٠٠ ق . م . وكانت مركزاً للقوافل التى تخترق آسيا الصغرى فى طريقها إلى إيران والهند فى عهد السلوقيين ، ثم وقعت فى أيدى الفرس فى عهد الأسرة الفرثية . واستخدمها الرومان كحصن ضد الفرثيين على حدود الإمبراطورية من جهة نهر الفرات بعد عصر الإمبراطور تراجان ، واحتلها الساسانيون فى عام ٢٦٠ م ودمرت بعد عام ٢٥٠ م .

احتوت هذه المدينة على معابد للآلهة الإغريقية والرومانية وآلهة بلاد النهرين وإيران

وسوريا ، بالإضافة إلى آلهة قوافل تدمر والآلهة العربية . كذلك عثر فى هذه المدينة على معبد يهودى ومنزل كان يقيم به جالية مسيحية تقيم طقوسها الدينية فيه . ويتوسط هذا المنزل فناء مكشوف وتغطى جدران هذه المبانى تصاوير جدارية ملونة .

التصاوير الجدارية :

وترجع أهمية مدينة دورا إلى التصاوير الجدارية التى تغطى جدران المبانى الدينية ، لدرجة أن أطلق عليها بومبى الشرق . وتنسب هذه التصاوير إلى العهود المختلفة التى مرت بها المدينة ، ويغلب على فنها الهيليستنى كثير من الأساليب الشرقية .

ومن أهم الصور التى وجدت فى معبد الآلهة التدمرية صورة ترجع إلى حوالى ٨٥ م تصور كهنة يمارسون الطقوس الدينية (ش ١٣١) ونلاحظ فى رسم هؤلاء الأشخاص أنهم واقفون فى وضع المواجهة وهذا تأثير من الفن الفرثى الإيرانى . ولقد وقعت هذه المدينة فى قبضة الفرثيين فى القرن الأول الميلادى .

وتختلف موضوعات التصاوير الجدارية الموجودة على جدران المعبد اليهودى عن الموضوعات السابقة حيث غطيت الجدران بموضوعات من كتاب « العهد القديم » ويرجع تاريخها إلى حوالى ٢٤٥ م . ونلاحظ فى إحدى هذه الصور قصة النبى موسى عندما وضع فى سلة فى النهر وهو رضيع (ش ٣١ ب) ورأته أبنة فرعون فأمرت خادمها باحضار السلة . وتظهر الأميرة مرة أخرى تستعطف فرعون مصر لعدم قتل الطفل وإعطائه إياها . وهذا الأسلوب القصصى عن طريق التكرار مستمد من الشرق .

وإذا كنا قد لاحظنا أن تصاوير الآلهة التدمرية متأثرة بالشرق ، نجد أن صور المعبد اليهودى بها عدة أنماط . فالطابع الهيلنستى يظهر بصفة خاصة فى الصورة المليئة بحركة الأشخاص وفى الخلفية المعمارية . كما يتضح التأثير الإغريقى فى رسم بعض الأشخاص ومركز ثقلهم على قدم واحدة . ويظهر التأثير الشرقى الفرثى فى رسم الأشخاص بوضع المواجهة وفى المبالغة فى إظهار ثنيات الزى السورى الرومانى .

---

(١) مدينة بومبى تقع بالقرب من نابولى بإيطاليا وتشتهر بالتقارير الجدارية .

مدينة البتراء :

نشأت هذه المدينة قرب العقبة فى الصحراء السورية الواقعة فى شرق الأردن وعرف سكانها العرب فى العصر الهيليستى باسم الأنباط . وكانت مركزاً هاماً من مراكز القوافل التجارية بين الجزيرة العربية والشمال . وعظم شأن البتراء النبطية فى أواخر القرن الرابع قبل الميلاد ، حيث نجحوا فى صد هجوم أحد خلفاء الإسكندر فى عام ٣١٢ ق . م واشتهر من أمرائهم فى القرن الثانى قبل الميلاد الحارث وعبادة . وأصبحوا قوة هامة فى القرن الأول الميلادى بعدما انتزعوا جزءاً من سوريا من أيدى السلوقيين فى حوالى عام ٨٥ ق . م . وأصبحت البتراء ولاية رومانية بعد أن استولى عليها الإمبراطور تراجان عام ١٠٩ م .

العمارة :

أظهر الأنباط تفوقاً كبيراً فى فن العمارة وكانت عمائرهم تشتمل على المعابد والقبور . وكانت المعابد عبارة عن مساحات مستطيلة مسورة يضعون فيها أصنامهم الحجرية . إلا أنهم ابتكروا نموذجاً فريداً فى عمارة قبور ملوكهم التى حفروها فى الصخور (ش ٣٢) حيث يظهر بالواجهة نحت بارز به أعمدة وفتحات هيلينستية الطراز يجعلها تبدو كأنها عمارة مبنية . وتعرف هذه المقبرة باسم « الخزنة » . وربما أتى ملكهم « الحارث » بالصناع السوريين إلى العاصمة فأدخلوا معهم هذا الأسلوب الإغريقى الرومانى .

وجدت مقابر مشابهة لهذه المعابد فى مدينة « صالح » الواقعة فى الجهة الشمالية من طريق القوافل . وتذكرنا هذه القبور المحفورة ذات الواجهة المعمارية بقبور ملوك الإكمنيين الفرس . ولقد اقتبست جرش وعمان من العمارة الرومانية إلا أن آثار البتراء المعمارية تفوق هذه الآثار .

أما فن النحت فقد عثر منه على بقايا تماثيل كاملة بالقرب من البتراء إلا أن طرازها لا يتميز بأى طابع خاص .

الفصل الثالث

الجزر العربية

١ – شبه الجزيرة العربية

نشأ فى جنوب الجزيرة العربية قبل قيام مدن القوافل التجارية الإغريقية مدن أقام فيها العرب الذين كانوا يشتغلون بالتجارة وتصدير الحاصلات والعطارات إلى الأسواق الشمالية فى مصر وسوريا . وتعرف هذه المنطقة حاليًّا باليمن . ولقد تمتعت هذه المنطقة بحضارة قديمة منذ عام ١٠٠٠ ق . م . وكانت قبائل سبأ[١] ساكنوها يشيدون المدن والمصارف ، ويشهد على ذلك سد مأرب العظيم الذى يرجع إلى الألف الأول قبل الميلاد . ولقد تسبب الرخاء الذى تمتعت به اليمن عن طريق التجارة فى جعلها مطمعاً لجيرانها الأقوياء ، فحارب الأشوريون والبابليون على التوالى قبائل سبأ فى القرنين الثامن والسادس قبل الميلاد .

وتدل الحفريات التى أجريت فى المدن اليمنية على أن أهم حقبة حضارية لقبائل سبأ تقع فى الفترة ما بين عام ٣٥٠ إلى عام ٥٠ ق . م . وهى الفترة التى تلت غزو الإسكندر المقدونى لبلاد الشرق الأوسط وانتشرت الهيلينستية فيها[٢] . وكانت السفن المصرية البطلمية ترابط فى البحر الأحمر فوصلت الهيلينستية إلى اليمن عن طريق الإسكندرية .

لم يكن التأثير الهيلينستى قويًّا فى عمارة جنوب الجزيرة العربية فى عصر خلفاء الإسكندر ، ومن هذه الفترة يوجد عمود ذو طراز إغريقى فى مسجد فى مدينة صنعاء نقل من معبد قديم كان قائماً فى المدينة فى تلك الفترة . إلا أن التأثير الهيلينستى ينتشر بصورة

(١) قبائل سبأ تنسب إلى سبا بن قحطان حفيد إبراهيم .

(٢) جمع تيوفر استوس الإغريقى فى القرن الثالث تقارير العلماء الذين أرسلهم الإسكندر إلى هذه البلاد لدراسة الأعشاب والعطور العربية .

أوضح فى العصر الرومانى . وذلك لأن الرومان تغلغلوا فى قلب الجزيرة العربية أكثر من الإغريق . فنى عام ٢٤ ق . م غزا آليوس كالوس جنوب شبه الجزيرة العربية . وفى عام ١٠٦ احتل تراجان مدينة البتراء العربية وأقام حامية رومانية حولها ، كما وجدت مراكز رومانية فى بصره وجيرش وتدمر .

يظهر التأثير الهيلينستى الرومانى فى أجزاء من أعمدة عثر عليها فى شبه الجزيرة العربية محفوظة حاليًّا بمتحف اسطنبول . وتذكرنا زخارف تفريعات العنب والحيوانات المنقوشـــة على الأعمدة بالتأثير الرومانى الذى وجد فى معبد مدينة بعلبك فى القرن الثانى الميلادى أو بعد ذلك . إلا أن التأثير الرومانى الذى وصل إلى اليمن كان فى هذه المرة عن طريق سوريا .

ونلاحظ تأثير الفن الإغريقى الرومانى بصورة أوضح فى فن النحت حيث تبدو الآلهة اليمنية فى ثياب ذات طراز إغريقى رومانى . فنجد مثلا تمثال الإله اللات مرتدياً ثياباً من هذا الطراز ، كما يظهر منات إله مكة المفضل على هيئة إله شمسى هيلنستى .

ينعكس الأسلوب الهيلستنى على شواهد القبور أيضاً ، ويتضح ذلك فى شاهد قبر تبرز منه نحت لسيدة تدعى « عبان » يرجع إلى القرن الثانى الميلادى (ش ٣٣) ونلاحظ فى هذا النحت المسحة الهيلنستية التى وجدت فى النحت الجنائزى التدمرى . ولقد صادف الأسلوب الهيلينستى الذى يتميز بالحركة نجاحاً عند الفنان العربى الذى لم يكن يعرفه قبل ذلك ، فأقبل على تقليده بكثرة . ويظهر ذلك فى نقش بارز على حجر من البازلت حاليًّا فى متحف أسطنبول ، ويرجع نسبته إلى القرن الأول ق . م ، يصور رجلا ممتطياً جواداً فى وضع متحرك .

اشتهرت قبائل سبأ بالصناعات المعدنية وكانت الألواح المعدنية تستعمل فى تغطية الأبواب الخشبية . ويظهر النمط الهيلنستى فى كثير من الأشغال المعدنية ، ويتضح ذلك فى زوج من التماثيل البرونزية عثر عليها فى تمنا ، حيث يصور كل منها كيوبيد ممتطياً أسداً . ولو أن الكتابة المنقوشة عليهما تدل على أنهما من صناعة محلية فإن الأصول التى نقلت منها كانت نماذج من الإسكندرية . ويتضح فى رأس من البرونز بالمتحف

البريطانى – وترجع إلى القرن الثانى الميلادى – (ش ٣٤) أن الأسلوب مستمد من أصول كلاسيكية مع بقاء طابع شرقى محلى يظهر فى الوجه .

وفى ختامنا لدراسة آثار الجنوب فى الجزيرة العربية فى الفترة الهيلنستية يجب ألا نغفل الإشارة إلى النقوش الكتابية التى استخدمتها قبائل سبأ والحموريون فى زخرفة أعمالهم الفنية . ولقد انتقل هذا الأسلوب من العصور الوثنية العربية إلى الفنون الإسلامية .

ب – الكويت والبحرين

ذكر المؤرخ الإغريقى « أريان » الذى دون التاريخ الإغريقى عام ١٧٠ م ، أن الإسكندر الأكبر أخضع لسلطانه جزيرتين فى الخليج العربى على مقربة من مصب الفرات وأمر بإنشاء بعض المدن الساحلية والقلاع بهما لسكنى جنوده . كما ذكر أن الجزيرة الصغرى كان بها معبد للآله أرتميس ، وأن الإسكندر أطلق على الجزيرة الصغرى اسم إيكاروس ، وعلى الكبرى تيلوس .

ويرجح العلماء من الآثار التى عثر عليها فى الجزيرتين ، أن إيكاروس الصغيرة هى جزيرة فيلكة الكويتية ، وأن البحرين هى جزيرة تيلوس . ولقد دلت عمليات التنقيب التى قامت بها البعثة الدانمركية فى الجزيرتين على أنهما كانتا مركزين ثقافيين إداريين فى العصر السلوقى الهيلينى[١] ، كما ساعد موقعهما الجغرافى على كونهما من أهم مراكز التجارة بين الشرق والغرب .

وفى القرن الرابع الميلادى وقعت البحرين التى كانت تعرف باسم « أوّال » فى تلك الفترة تحت سيطرة شاهور الساسانى الذى استولى على جزء كبير من الساحل العربى .

وتدل الآثار التى عثر عليها فى جزيرة فيلكه على أن الجزيرة كانت واقعة تحت نفوذ الدولة السلوقية فى العصر الهيلينستى ، حيث عثر بها على قطعة من الحجر المنقوش عليه بالأحرف الإغريقية رسالة موجهة من ملك لم يذكر اسمه إلى أهل إيكاروس . وقد استنتج من أسلوب نقش الحروف أن الملك غالباً هو سلوقس الثانى .

(١) James Belgvave : Bahrain - p. 66 - 67.

ويؤيد هذا الزعم مجموعة من العملات الفضية والنحاسية عثر عليها فى الجزيرة حيث وجد على إحداها نقش باسم الإسكندر فى عهد سلوقس الأول حوالى ٣١٠ – ٣٠٠ ق . م . كما وجدت قطعتان نحاسيتان من عهد أنطيوكس الثالث الذى حكم الدولة السلوقية فى الفترة ٢٢٣ – ١٨٧ ق . م . كذلك عثر على قطعة تحمل صورة أنطيوكس الثالث وربما تكون سكت فى سوريا . وتظهر هذه العملات السلوقية فى جزيرة البحرين أيضاً ونجد فى بعضها صور الإسكندر المقدونى .

العمارة :

وقعت هاتان الجزيرتان العربيتان تحت السيطرة الرومانية التى ورثت الدولة الهيلينستية فى الشرق الأوسط . وكشفت الحفريات التى تمت فى الجزيرتين عن آثار وثيقة الصلة بآثار الشرق الأوسط الهيلنستية الرومانية .

فعثر فى جزيرة فيلكه على آثار قلعة مربعة طول ضلعها حوالى ٧٠ متراً ، وبكل ركن من أركانها الأربعة يوجد برج مربع . وينفذ الزائر إلى القلعة عن طريق بوابتين إحداهما بالجهة الشمالية والأخرى بالجهة الجنوبية . ويحتوى الجزء الشرقى من القلعة على معبدين أحداهما كبير والآخر صغير . ويشغل الجزء الغربى آثار مساكن . وتدل تيجان الأعمدة التى وجدت بالمعبد الكبير على أنه كان من الطراز الأيونى (ش ٣٥) على حين تدل تيجان الأعمدة التى عثر عليها فى المعبد الصغير أنه كان من الطراز الدورى . وتذكرنا النقوش المنحوتة فى قاعدة العمود بالأعمدة الفارسية التى وجدت فى برسيبوليس .

وتدل الآثار التى عثر عليها فى موقع المعبد أنه كان مشيداً على الطريقة الهندسية الإغريقية للآلهة الإغريقية ، حيث عثر على المذبح خارج المعبد . وربما شيد هذان المعبدان فى عصر الإسكندر الأكبر أو فى عهد أحد خلفائه السلوقيين الذين أكثروا من المراكز الهيلينية فى فترة حكمهم لنشر الثقافة الهيلينية .

النحت :

وجدت فى حفريات جزيرة فيلكه قوالب كثيرة من الآجر فى إحدى غرف منزل ،

وعندما صبت هذه القوالب نتج عنها تماثيل لشخصيات آدمية رجح الباحثون نسبة أحدها إلى الإسكندر المقدونى ، كما نسب أحد التماثيل النسائية إلى إلهة النصر الإغريقية .

كذلك عثر على تماثيل من الطين المحروق يظهر فيها أسلوب من النحت الهيلينى ، ويوضح ذلك تمثال ربما يمثل الإلهة أفروديت (ش ٣٦) ورأس تمثال صغير ربما يمثل الملك الإسكندر أو أحد الملوك السلوقيين .

ويمثل طراز الفترة التالية تمثال من الطين المحروق يصور ملكاً فى وضع جالس (ش ٣٧) وتذكرنا لحيته وزيه بتماثيل ملوك العرب الذين حكموا الحضر فى القرن الأول الميلادى .

الفصل الرابع

شمال أفريقيا

تعتبر منطقة شمال أفريقيا أكثر الولايات الرومانية الواقعة فى جنوب البحر الأبيض المتوسط ثراء فى تعدد الآثار الرومانية . وتساعد دراسة هذه الآثار على معرفة طراز العهد الرومانى الشرقى الذى لم يعثر على آثار كافية له فى منطقة الشرق الأوسط .

بعد أن تم لروما القضاء على قرطاج مركز الفينيقيين ، فى الحرب الفينيقية الثالثة (١٤٩ – ١٤٦ ق . م) ، بدأت تتدخل فى شؤون البلاد الواقعة على سواحل البحر الأبيض المتوسط . وكان يحكم أفريقيا الشمالية فى تلك الفترة ملوك محليون كانوا قد فقدوا نفوذهم المطلق بسبب احتلال الفينيقيين لبلادهم . حيث كان الفينيقيون يمسكون بزمام السلطة فى المنطقة التى تشمل تونس الآن وجزءاً من ولاية قسنطينة . أما بقية شمال أفريقيا فكانت مقسمة إلى عدة ممالك يحكمها ملوك برابره تحت إشراف قرطاج أو بتحالف معها .

وكان مسينا ملك نوميديه (الجزائر حالياً) قد تمكن بانحيازه إلى الجانب الرومانى ضد قرطاج من إقامة مملكة نوميدية كبيرة تمتد من مراكش (المغرب) إلى برقه (ليبيا) . وذلك بعد أن أمرت روما قرطاج بتسليمه المدن الطرابلسية التى كانت تحت حكمه . إلا أن مسينا توفى فى السنة الأولى من الحرب الفينيقية الثالثة فى عام ١٤٩ ق . م .

وقد حاول حفيده « يوغرتا » مناهضة الحكم الرومانى فى شمال أفريقيا ، فنشبت بينه وبين روما حروبا جديدة انتهت بأسره عام ١٠٤ ق . م . وشنقه فى روما . وفى فترة النزاع التى قامت بين بومبى ويوليوس قيصر فى عام ٤٩ ق . م . انحاز الملك « يوبا الأول » ملك نوميديه إلى جانب بومبى . إلا أن قيصر تمكن من إنزال جنوده فى تونس بعد أن تم له النصر على خصمه فى عام ٤٨ ق . م .

انتهزت المدن الطرابلسية « لبده وصبراته وأويا » فرصة المنازعات القائمة بين روما والدولة النوميدية فوقعت معاهدة صداقة مع روما نالت على أثرها نوعا من الاستقلال الذاتى .

حلت روما محل قـرطاج فى حكم شمال أفريقيا فى عهد يوليوس قيصر الذى أعاد تنظيم شمال أفريقيا بعد أن أزال المملكة النوميدية من الوجود . وجعل قيصر الجزء الأكبر من أقاليم شمال أفريقيا ولاية رومانية باسم إفريقيا الجديدة وعين عليها حاكما رومانيا .

ولقد كانت روما تترقب الفرصة لبسط نفوذها كاملاً على شمال أفريقيا ، ونجحت فى مد حكمها إلى شمال أفريقيا كله بعد انتصار أكتافيوس على أنطونيوس فى معركة أكتيوم وزوال حكم البطالمة لولاية برقة .

وباستثناء ولاية أفريقيا الجديدة الرومانية ، ترك الرومان حكم بقية البلاد الأفريقية إلى ملوكها المحليين ، فأعاد اكتافيوس « أغسطس » تكوين المملكة النوميدية ، ووضع على عرشها عام ٢٥ ق . م الأمير يوبا الثانى ليكون واليا على عرش أجداده .

وكان هذا الملك قد نشأ وتربى تحت رعاية أغسطس فى روما وتزوج من ابنة كيلوباترة من أنطونيو ، ولذلك تسربت الديانة المصرية إلى تونس والجزائر عن طريق هذه الملكة .

كانت هذه الدولة آخر مملكة وطنية حكمت شمال أفريقيا قبل الحكم الرومانى المباشر. ولقد استمر الاحتلال الرومانى لشمال أفريقيا حتى سقوط روما على يد الفندال . وتميز عهد تراجان (٩٨ – ١١٧) بانتعاش سياسى كما ازدهرت البلاد بصفة خاصة فى عهد الامبراطور سبتميوس سويروس ١٩٣ – ٢١١ .

ليبيا :

عرفت ليبيا الغربية عند الإغريق باسم « تريبوليس » ، وعربت إلى اسمها الحالى طرابلس . وتضم منطقة طرابلس ثلاث مدن رئيسية : « لبده الكبرى » – وعرفت عند الرومان باسم لبتس ما جنا – « وأويا » – طرابلس الحالية – « وصبراتة » الواقعة غرب

مدينة طرابلس . وتميزت مدينة لبده من بين مدن المنطقة بأنها كانت مركزاً تجارياً هاماً فى العهود الفينيقية والرومانية ، كما كانت لها عملة نقدية خاصة فى عهد الامبراطور أغسطس وخليفته طبيريوس . ونالت مدينة لبدة ازدهاراً واضحاً فى عهد الامبراطور سبتميوس سويروس (١٩٣ - ٢١١ م) الذى يرجح أنه كان من أصل ليبى .

كان تقسيم مدينة لبده يشبه كثيرا تخطيط المدن الرومانية ، وازداد نمو المدينة واتساعها باهتمام الأباطرة بها . وانشأ بها أحد أثرياء المدينة مسرحاً قدمه إلى الامبراطور أغسطس . وكان على هيئة مدرج نصف دائرى وأقيم على جانبى المسرح تمثالان للآلهة ديونيسوس وهرقل المكلفان بحماية لبده .

توالى إنشاء المبانى فى عهود الأباطرة الرومان ويمكن أن نميز من بينها مبنى « الكلكيديكوم » وملعباً مدرجاً . وأقام تراجان بالمدينة ميداناً وقوس نصر وبازيليكا ، كما شيد بها هادريان حمامات ضخمة بين عامى ١٢٦ - ١٢٧ .

وقد حظيت لبدة باهتمام عمرانى خاص من الإمبراطور سبتميوس سويروس الذى ينتسب إلى المدينة وابنه كاركالا ، فشيد بها الأول بازيليكا (ش ٣٨ ا) (أتمها ابنه) وميداناً .

وتعتبر بازيليكا لبده من أفخر الآثار الباقية بها . ويزين الأعمدة المرمرية المتصلة بالجدران زخارف جميلة بها عناصر آدمية مع عناقيد العنب وأوراق الأكنتس (ش ٣٨ ب) وتتشابه هذه الزخارف مع الزخارف المنقوشة على دعائم معبد بعلبك . وربما استعان سويرس بنحاتى أحجار من سوريا فى أعمال البناء الكثيرة التى قام بها لتجميل مسقط رأسه .

وتتميز مدينة صبراته ثانى مدن اقليم طرابلس بآثار متعددة ترجع إلى القرنين الأول والثانى من تأسيس الامبراطورية الرومانية . وكشفت أعمال الحفائر عن مسرح (ش ٣٩) وبازيليكا وميدان أسوة بما هو متبع فى المدن الرومانية .

وبالاضافة إلى الآثار السابقة عثر فى شرق طرابلس على آثار إغريقية ورومانية فى مدينتى قورينه وطلميثه بولاية برقه وكانت هذه المدينة الأخيرة تابعة للبطالمة . وأطلق عليها بطليموس الثالث إسمه بعد أن تزوج من « برنيق » أميرة قورنيه . وأزدهرت مدينة

بطليموس فى العهدين البطلمى والرومانى الذى بدأ عام ٧٤ ق . م .

انتشرت الفنون الهيلينستية من الإسكندرية إلى المراكز الإغريقية الأخرى . ولقد عثر فى طلميثة على قصر هيلينستى وميدان ومسرح . ويحتوى متحف المدينة على مجموعة من الفسيفساء كانت تزخرف المبانى ، وتظهر بها زخارف نيلية بها أسماك وطيور .

وتتميز مدينة قورينه حالياً « شحات » بآثار إغريقية ورومانية بديعة . فقد عثر بها على معابد ترجع إلى العصر الإغريقى للآلهة باخوس وهرمس كما عثر بها على معبد الآلهة زيورس من الطراز الدورى ومن أهم آثار المدينة حمامات انشئت فى عهد تراجان ورممت فى عهد هادريان ، ومسارح وأقواس نصر . ويضم متحف قورينه عدداً من التماثيل (ش ٤٠) التى عثر عليها فى المدينة . ويتضح من دراستها أنها تذكرنا بتماثيل الإلهة أفروديت الإغريقية .

الجزائر وتونس :

ومما يؤيد إنتقال الثقافة والتقاليد الهيلينستية من الشرق إلى شمال أفريقية عن طريق الإسكندرية منذ العصر البطلمى . تمثال من البرونز يصور ايروس (ش ٤١) عثر عليه فى مياه شاطئ مدينة مهدية ويوجد حالياً بمتحف باردو بتونس .

وظهرت آثار هذه الثقافة فى العصر الرومانى فى فترة حكم الملك « يوبا الثانى » الذى اختار مدينة شرشال – حالياً الجزائر – لتكون عاصمة له . ولأن هذا الملك تربى فى روما نجد أنه حرص على نشر الفنون الرومانية فى عاصمته فشيد بها معبداً ومسرحاً وحماماً ومدرجات وبازيليكا وأقواس نصر . واقتبس المهندسون والمثالون الذين استعان بهم من فنون روما وأثينا والاسكندرية .

وانتشرت الفنون الرومانية فى مراكز مملكة « يوبا الثانى » ، تيبازا وقرطاج وطنجة ولما زادت أهمية أفريقيا فى عصر الامبراطور تراجان لكونها المورد الذى يرسل القمح إلى الامبراطورية ، انتشرت العمائر الرومانية فى المراكز تيمقاد وتبديس ولا مبيز وتيبازه وجملاى وجميلة .

ولقد كشفت الحفريات التى تمت فى مدينة تيمقاد على ان المدينة كان بها حمامات

ومكتبة وقوس نصر أقامه الامبراطور تراجان (ش ٤٢) . وكانت هذه المدينة رباطا للجنود فى أول الأمر ثم تحولت إلى مدينة كبيرة بعد ذلك . كما تحتوى مدينة تبسه على معبد رومانى وقوس نصر أقامه الامبراطور كراكالا .

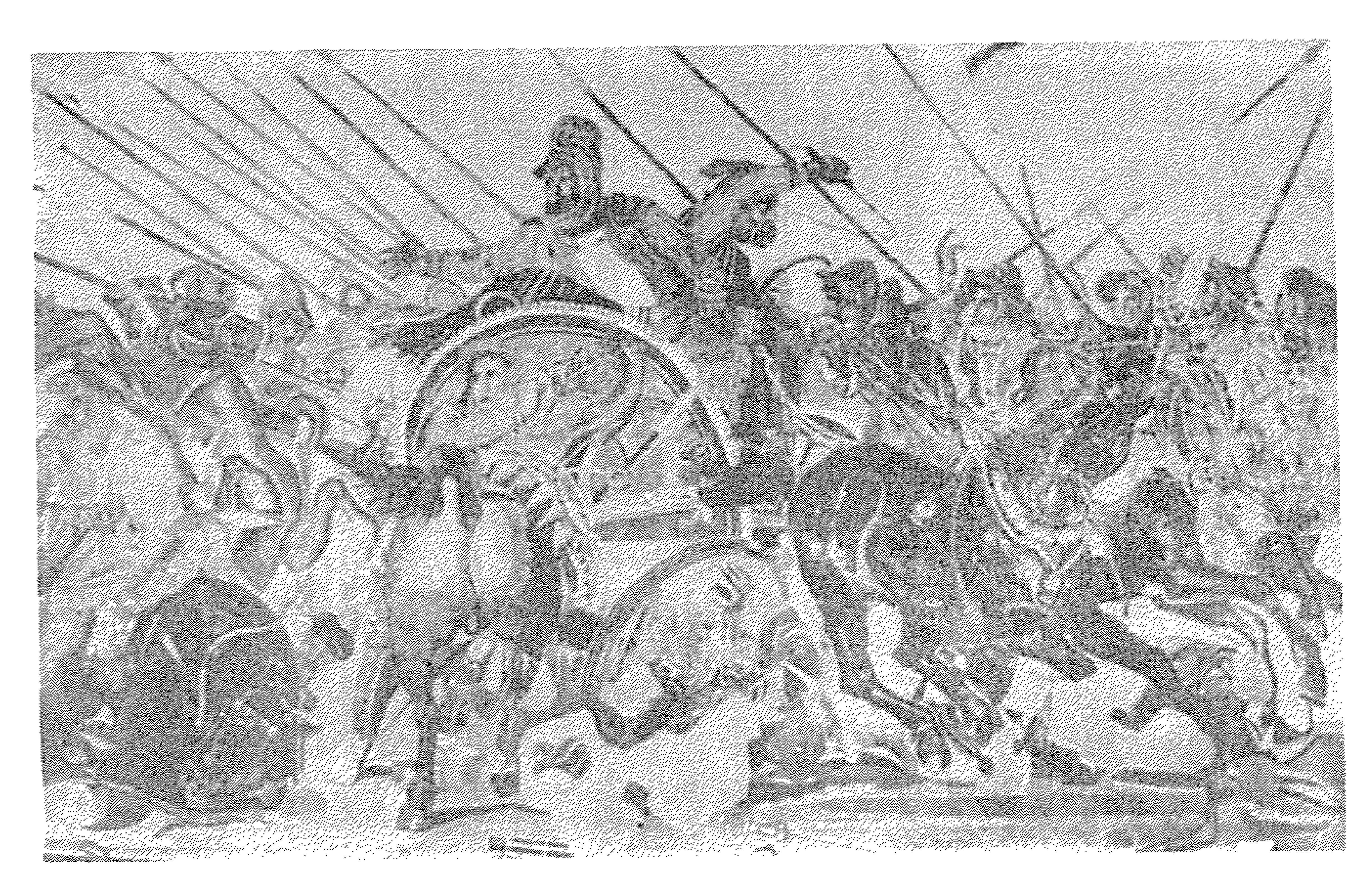
عثر فى المراكز التونسية أيضاً على عمائر إغريقية رومانية ، ويتضح ذلك فى آثار مدينة قرطــاج التى ازدهرت فى القرن الثانى الميلادى ، فعثر بها على معبد للاله أبولو وحمامات ومسارح (ش ٤٧) ، وكانت تزين هذه العمائر أعمدة ذات تيجان كورنيثية (ش ٤٣) .

كان لمصر تأثير واضح فى فنون عاصمة الملك يوبا الثانى المتزوج من ابنة كليوباترة السابعة ، حيث عثر فى مدينة شرشال على تماثيل للإلهة المصرية أيزيس مرتدية زيا رومانيا (ش ٤٤) ، كما عثر على أوان ومسكوكات من بينها قطعة ذهبية منقوشة بصورة الملكة كليوباتره السابعة .

ومن أجمل ما عثر عليه فى هذه المدن من الفنون الرومانية ، زخارف الفسيفساء التى تحتفظ متاحف تونس والجزائر بمجموعات كبيرة منها . ولقد عثر فى مدينة شرشال على فسيفساء توضح شكل العمائر المدنية الرومانية . ولقد انتقل طراز فسيفساء الاسكندرية إلى شمال البلاد التونسية فى أول الأمر ، لذلك كانت الزخارف الأولى تشتمل على الموضوعات النيلية المفضلة فى الإسكندرية .

وكان أهم ما أنتجته تونس هو فن الفسيفساء ، وقد عرف القرطاجنيون هذا الفن عن طريق اليونان منذ القرن الثالث ق . م . وظهرت آثار منه فى مدينة كركوان وبعض منازل قــرطاج القديمة قبل تدميرها وإنشاء مدينة رومانية على أنقاضها . وذاع صيت المدينة بصفة خاصة فى القرن الرابع وكان لفسيفسائها طابع خاص . ويتضح ذلك فى أرضية عثر عليها فى منزل تصور قصر وحديقة السيد جوليوس (ش ٤٥) صاحب المنزل .

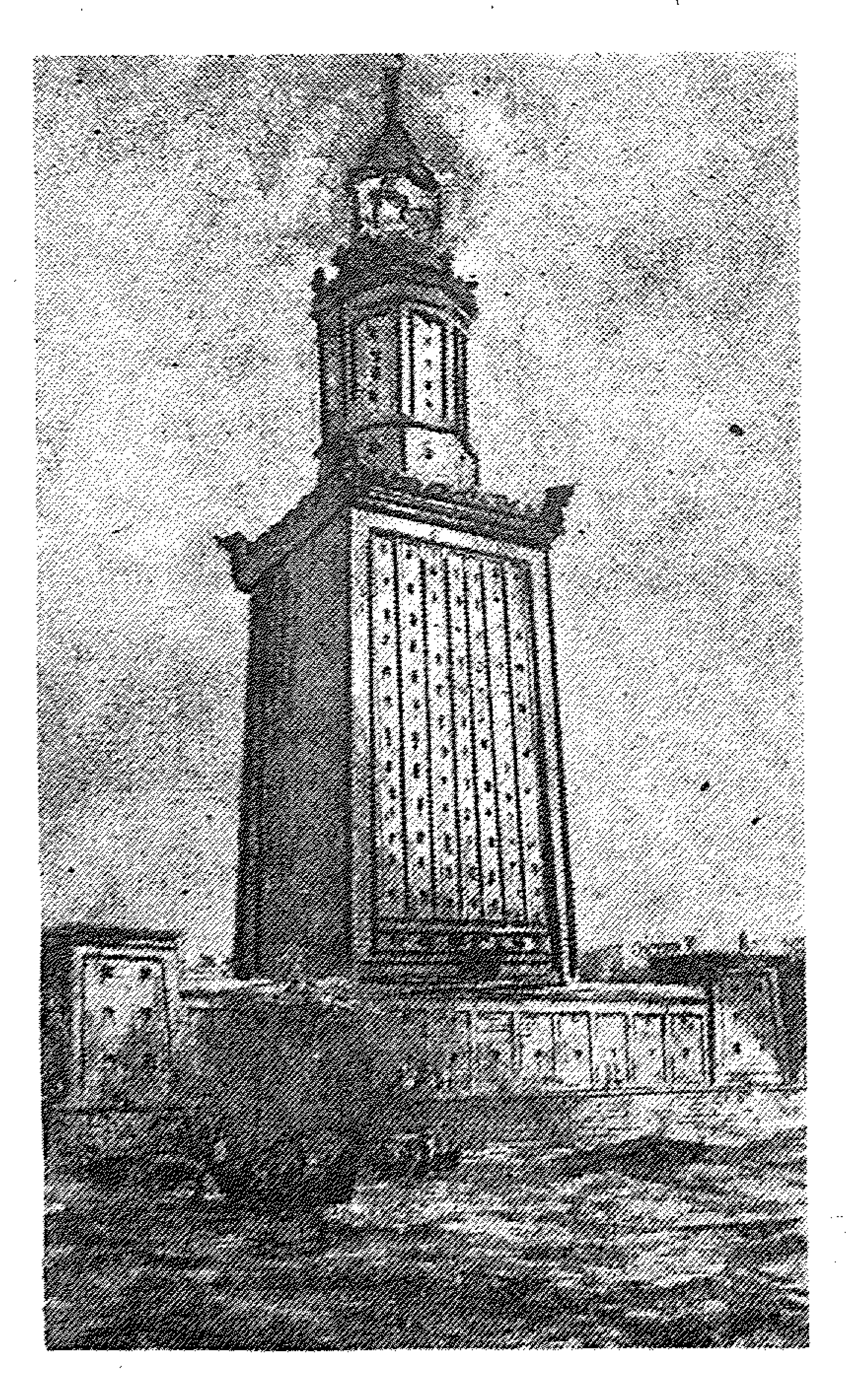
ولا تقل فسيفساء المراكز الجزائرية فى جمال الموضوعات عن المراكز التونسية ، ويتضح ذلك فى فسيفساء عثر عليها فى منزل فى مدينة لامبيز تصور حوريات على ظهر حيوانات بحرية خرافية . (ش ٤٦) . وهذه من المواضيع التى انتشرت فى زخارف الفن الإغريقى الرومانى فى الشرق الأوسط .



(شكل ١) فسيفساء منقولة من أرضية قصر فاونر بمدينة بومبى إلى متحف نابولى ، تصور معركة حربية بين داريوس الثالث واسكندر المقدونى . وترجع إلى القرن الأول أو الثانى ق . م . منقولة عن تصوير جدارى من عهد الإسكندر ، القرن ٣ ق . م .

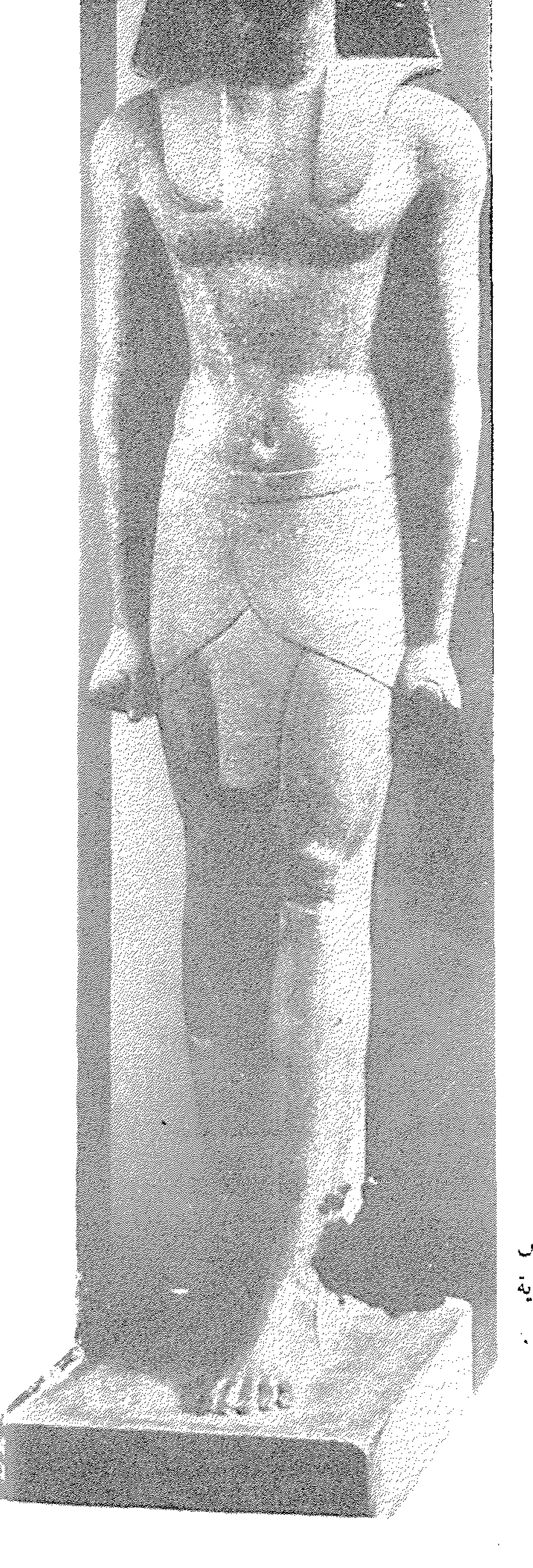


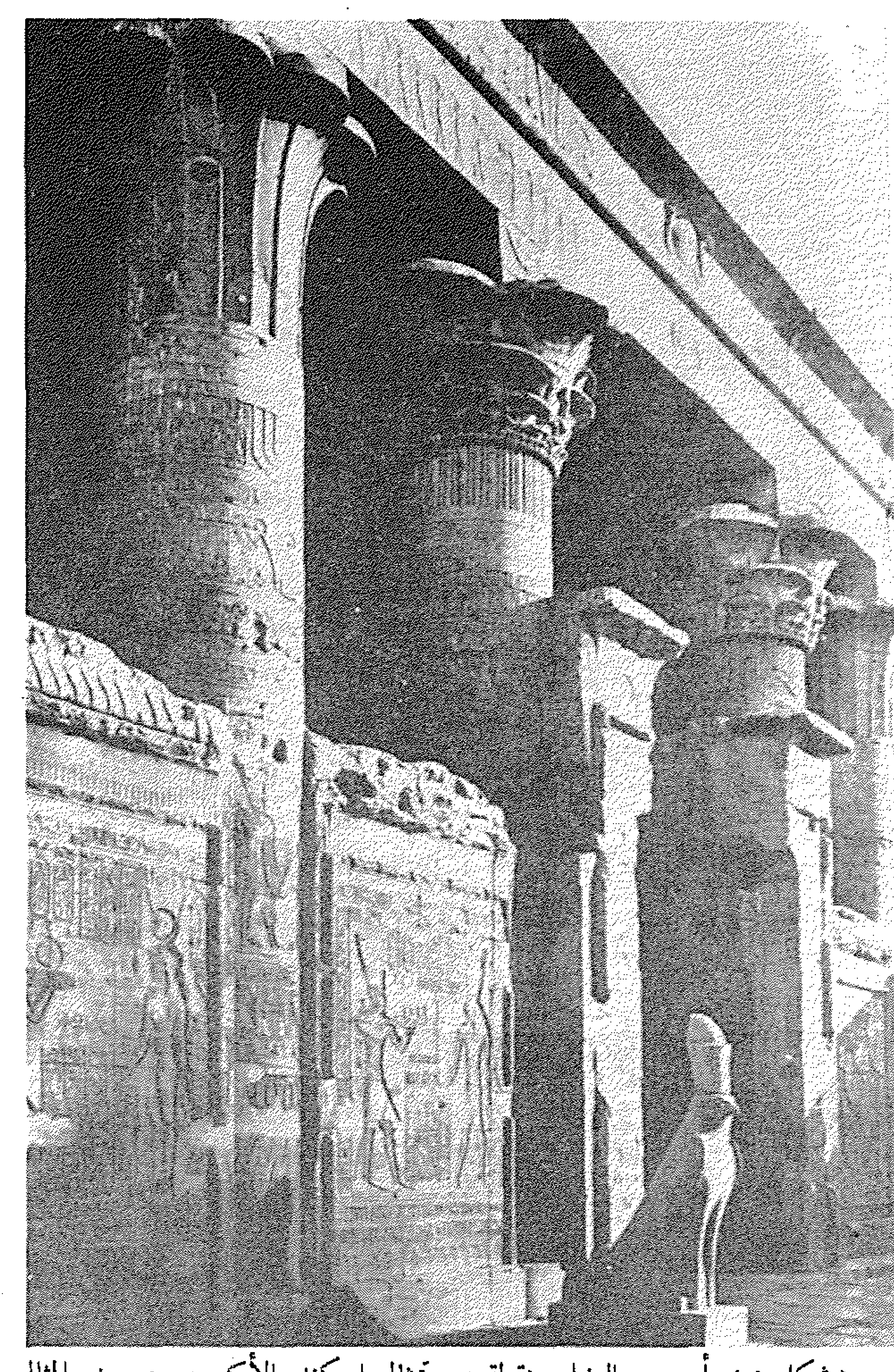
(شكل ٢) عملة منقوشة بصورة الإسكندر مرتدياً تاجاً مصرياً ذا قرنين ، حوالى ٣٠٠ ق . م .



(شكل ٣) رسم لفنارة الإسكندرية كما كانت قبل زوالها .

(شكل ٤) الفناء المكشوف بمعبد إدفو ، ويقف بجوار مدخل القاعة المغطاة تمثال الإله حورس . ويلاحظ تيجان الأعمدة المركبة والنخيلية ، العصر البطلمي .

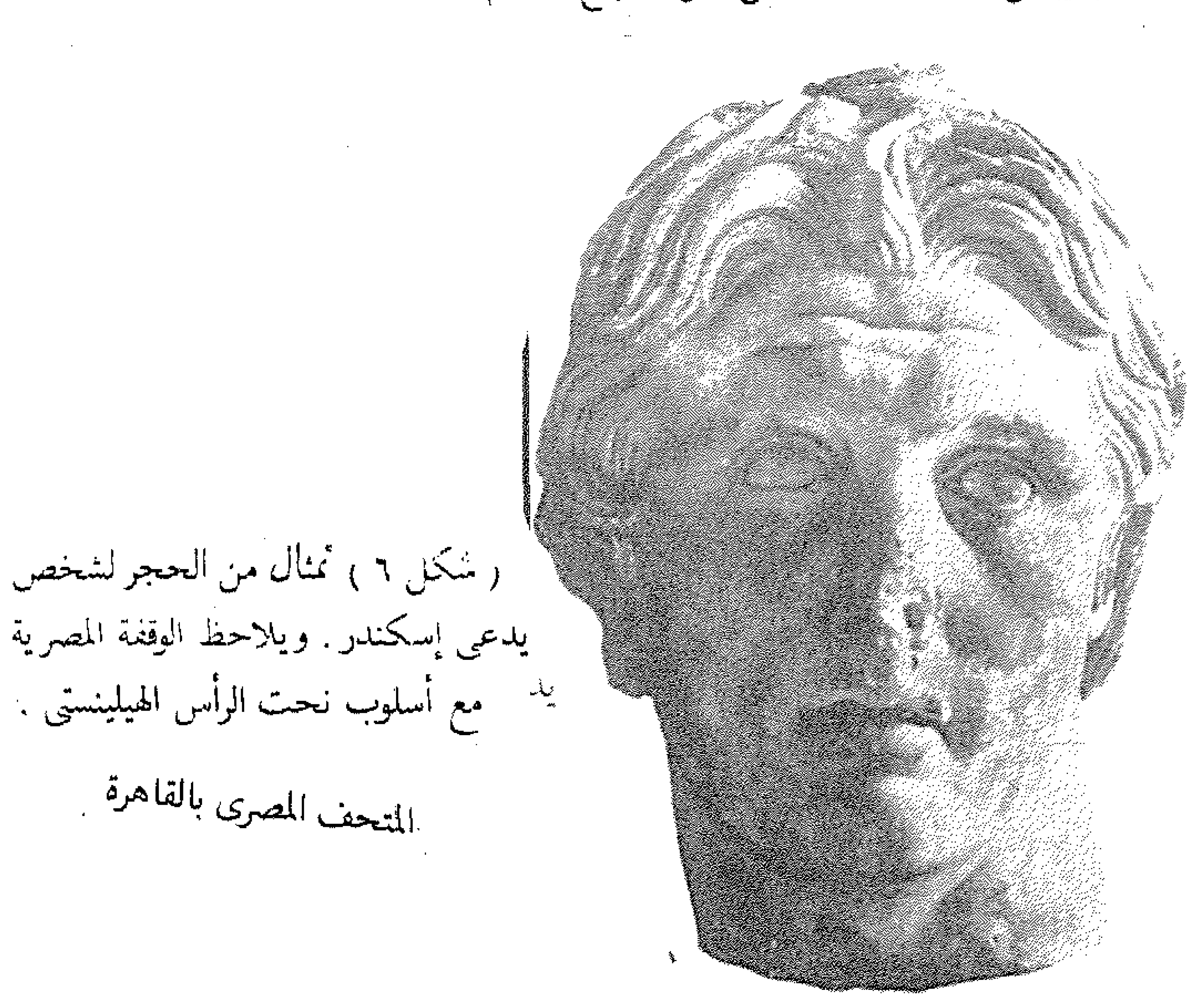




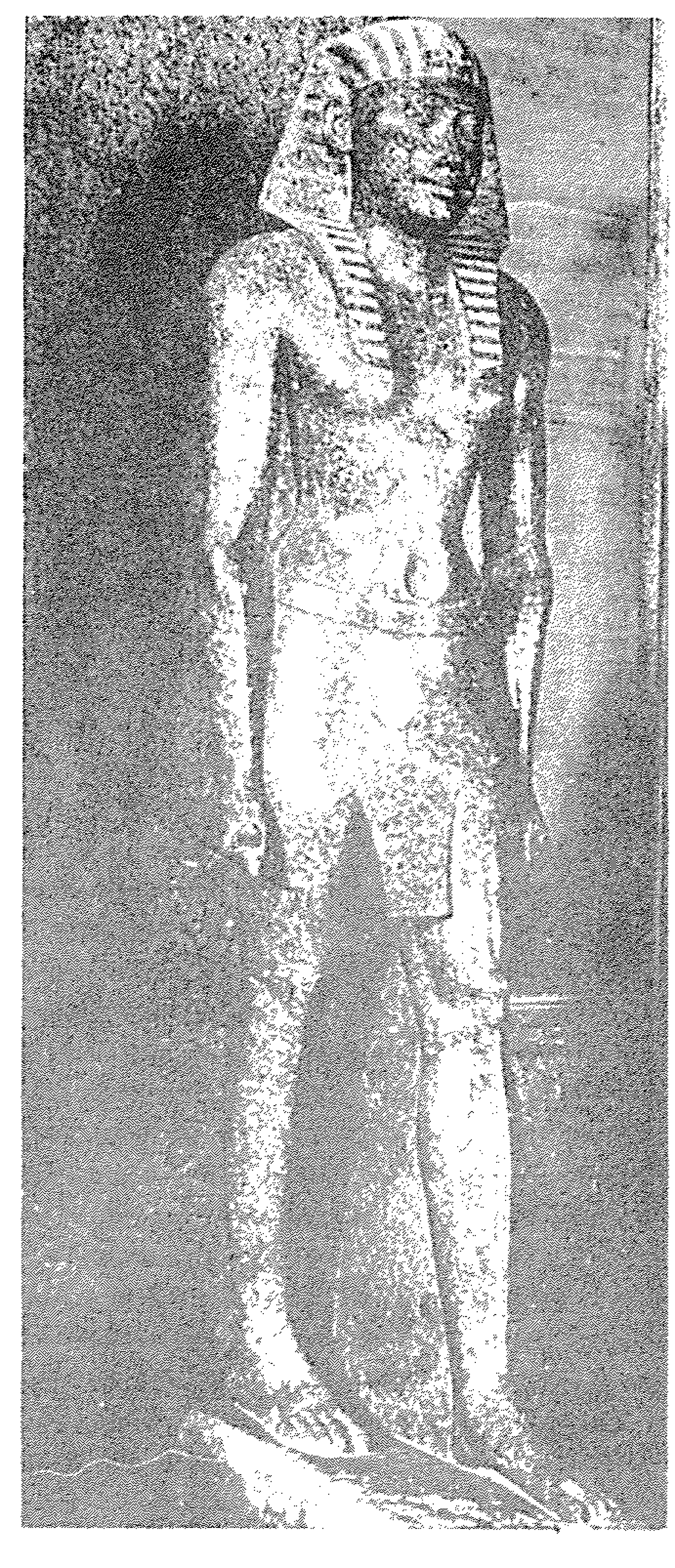
(شكل ٥) رأس من الرخام منقولة عن تمثال إسكندر الأكبر ، من صنع المثال ليسيباس . النصف الثانى من القرن الرابع ق . م .

(شكل ٦) تمثال من الحجر لشخص يدعى إسكندر . ويلاحظ الوقفة المصرية مع أسلوب نحت الرأس الهيلينستى .

المتحف المصرى بالقاهرة .



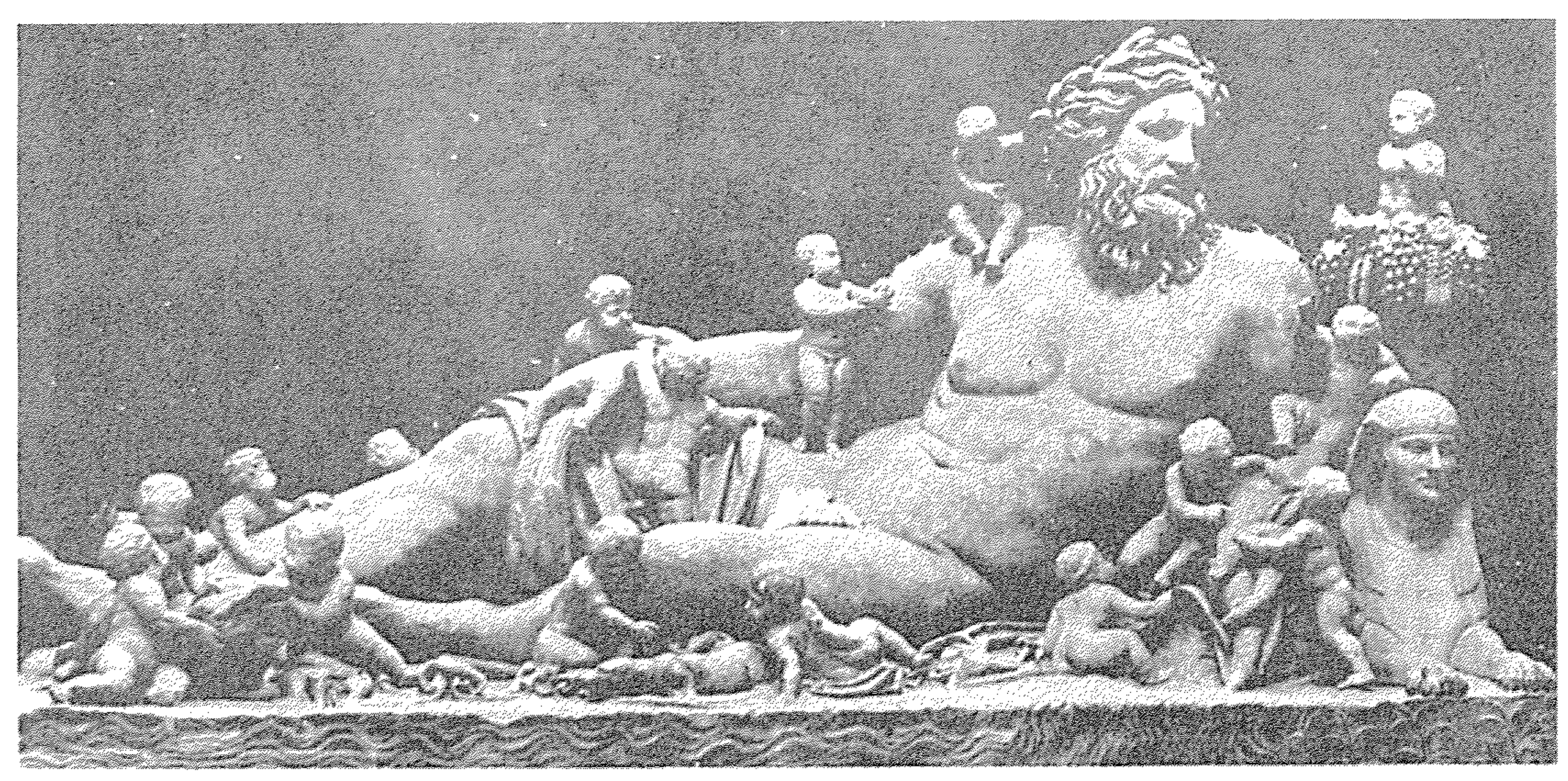
(شكل ٧) تمثال من الحجر لبطليموس الثانى
فى الوقفة المصرية ، متحف الفاتيكان .





(شكل ٨) رأس تمثال سيدة من الحجر ، العصر الهيلينستى ،
حالياً بالمتحف الاغريقى الرومانى بالإسكندرية .

(شكل ٩) تمثال النيل ، على هيئة رجل مكتمل العمر مضطجعاً ومستنداً إلى
تمثال أبو الهول ، ومن حوله ستة عشر طفلاً يمثلون فروعه . ينسب إلى مدرسة
الإسكندرية فى العصر الهيلينستى . متحف الفاتيكان .

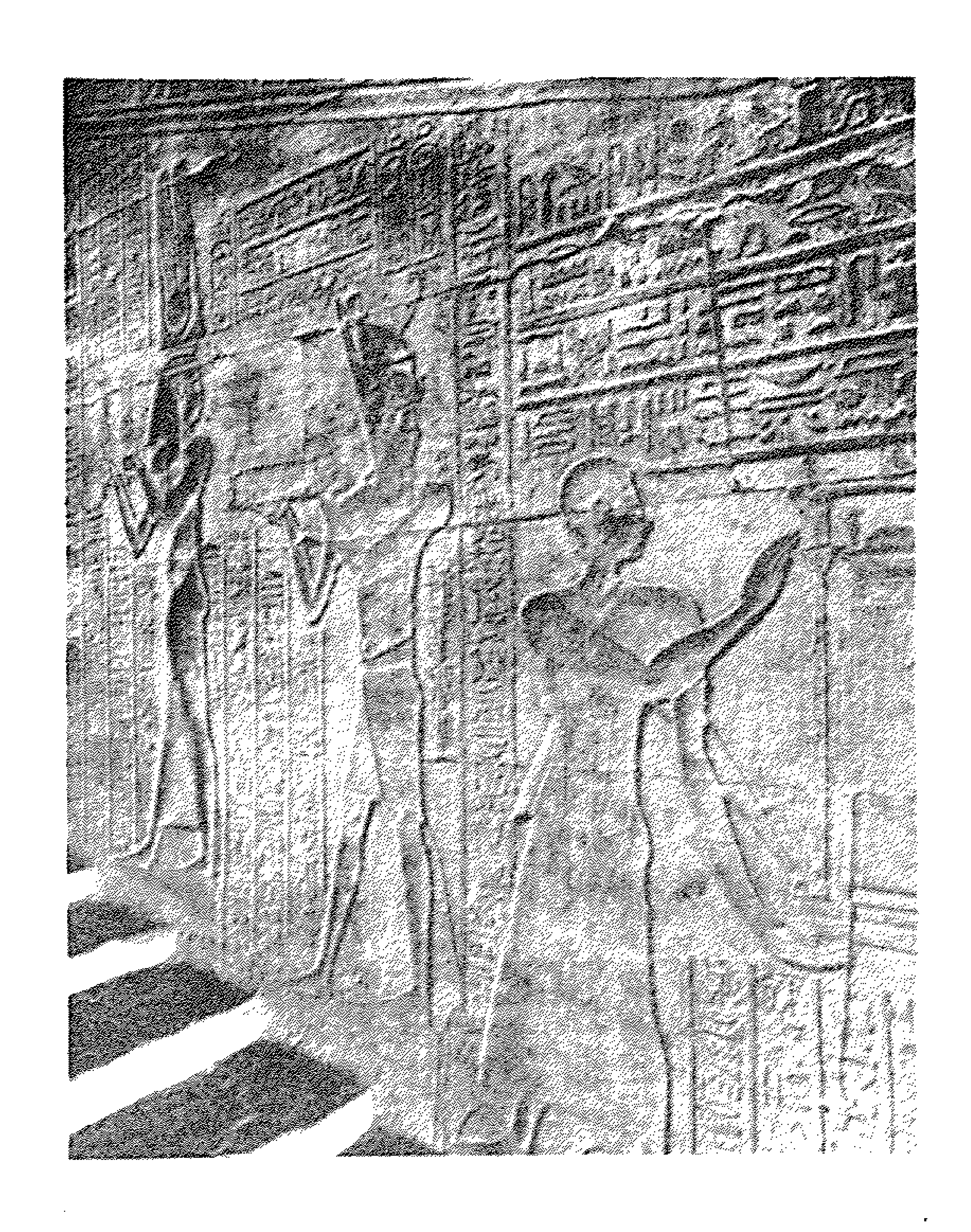




(شكل ١٠) تمثال صغير من البرونز لصبي نوبي ، مدرسة الإسكندرية ، العصر الهيلينستي ، متحف اللوفر .

(شكل ١١) نقوش غائرة على إحدى جدران معبد إدفو تصور الملك بطليموس الثانى محاطا بالآلهة .

(شكل ١٢) نحت على جدار درجات معبد إدفو يصور المواكب الصاعدة فى الاحتفالات الدينية .



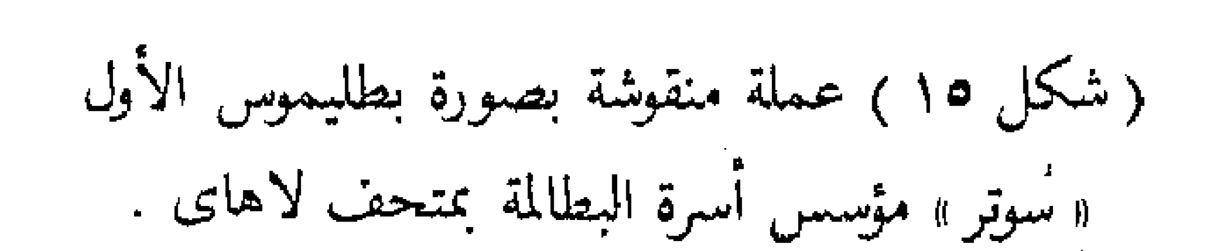
(شكل ١٣) نقش بارز على جدار درجات قصر برسيبوليس ، العصر الأكمينى ، إيران .



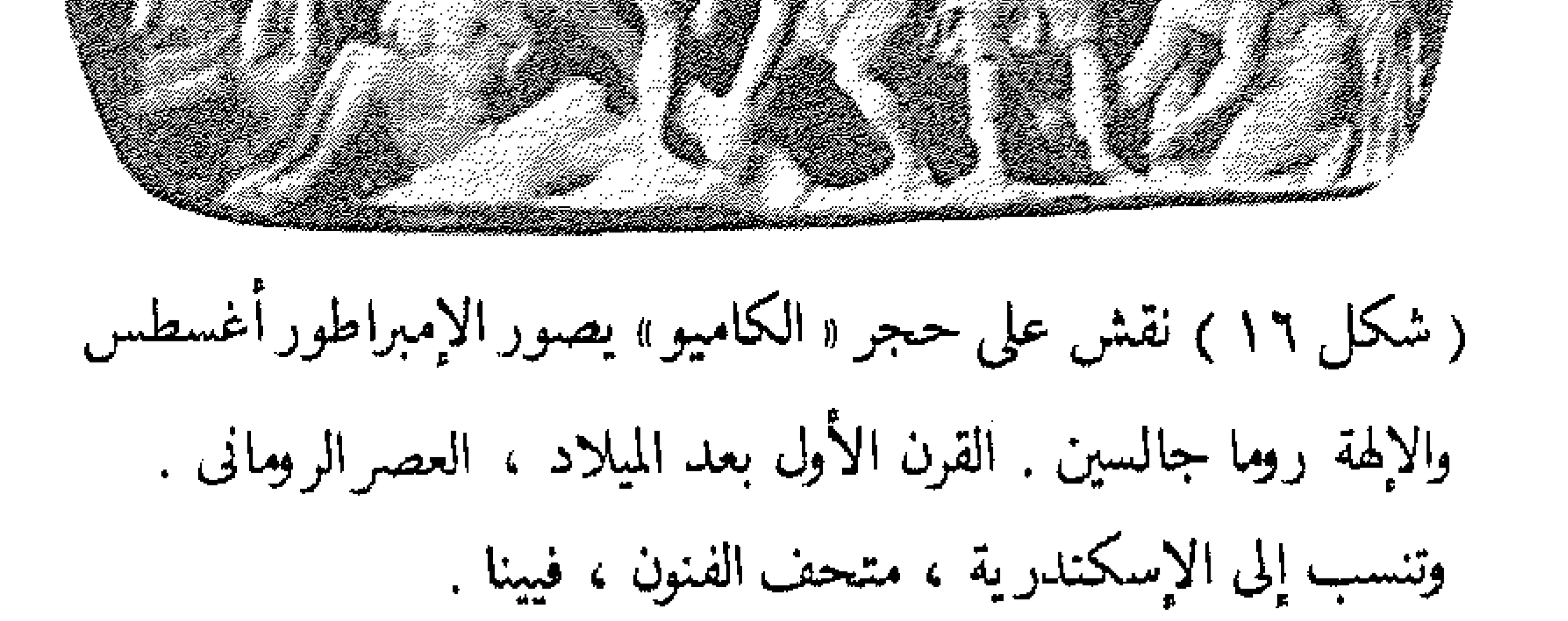


(شكل ١٤) نقش على جدار مقبرة الكاهن بتوزيريس بتونا الجبل ، مصر العليا ، يصور صناع المعادن . العصر البطلمى

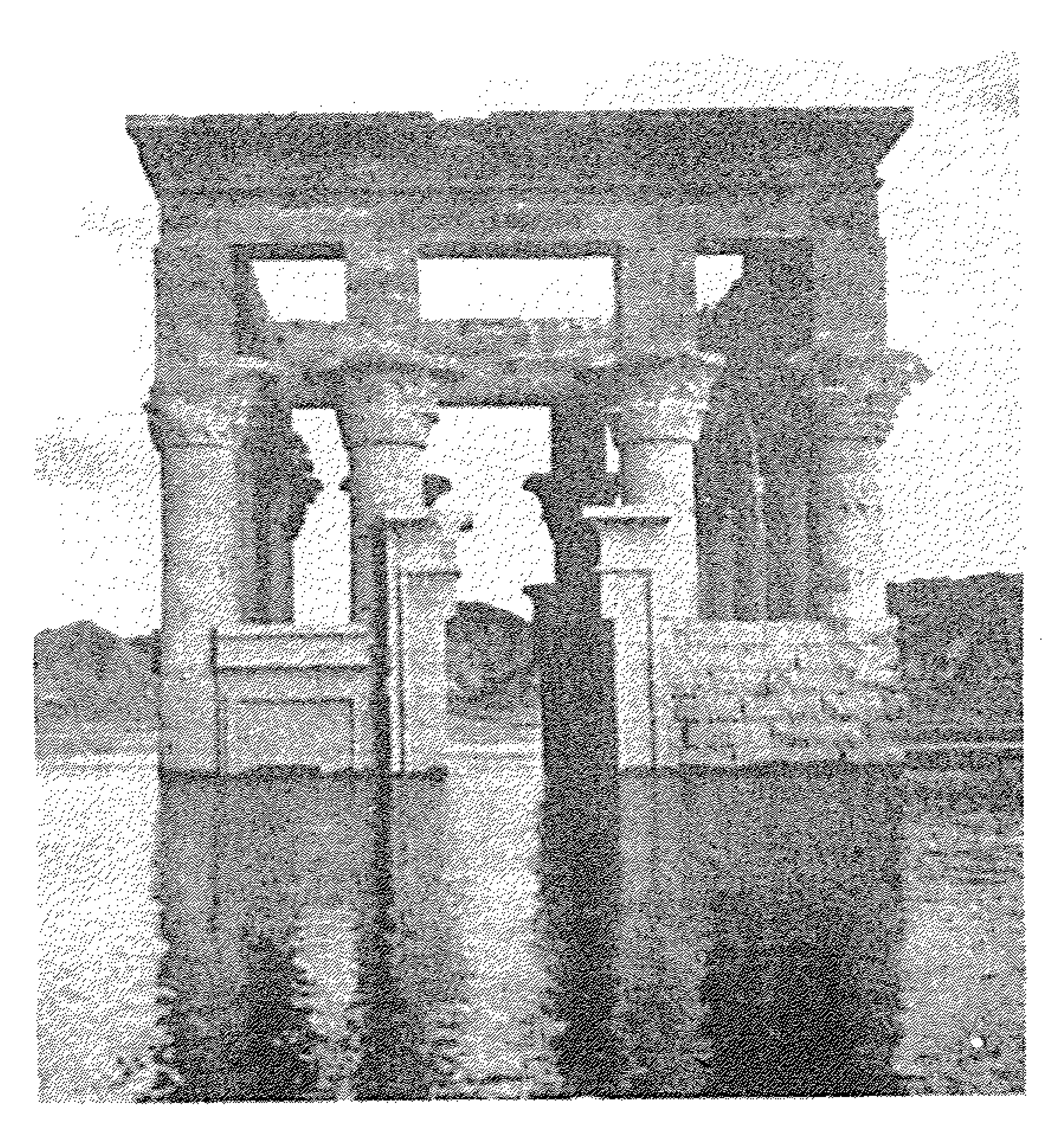




(شكل ١٥) عملة منقوشة بصورة بطليموس الأول «سُوتر» مؤسس أسرة البطالمة بمتحف لاهاى .



(شكل ١٦) نقش على حجر «الكاميو» يصور الإمبراطور أغسطس والإلهة روما جالسين . القرن الأول بعد الميلاد ، العصر الرومانى . وتنسب إلى الإسكندرية ، متحف الفنون ، فيينا .

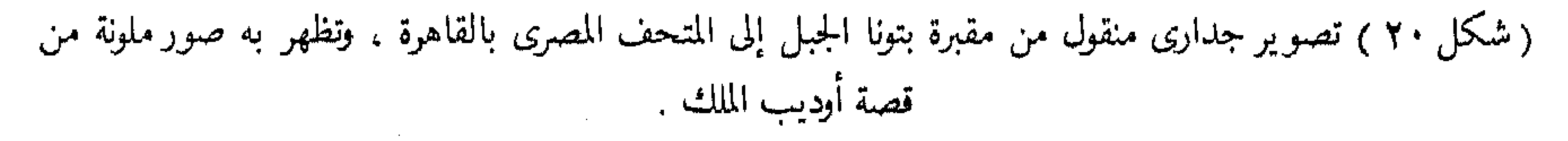


(شكل ١٧) جزء من معبد فيلة ، يرجع إلى العصر الرومانى فى فترة حكم تراجان ، القرن بعد الميلاد .



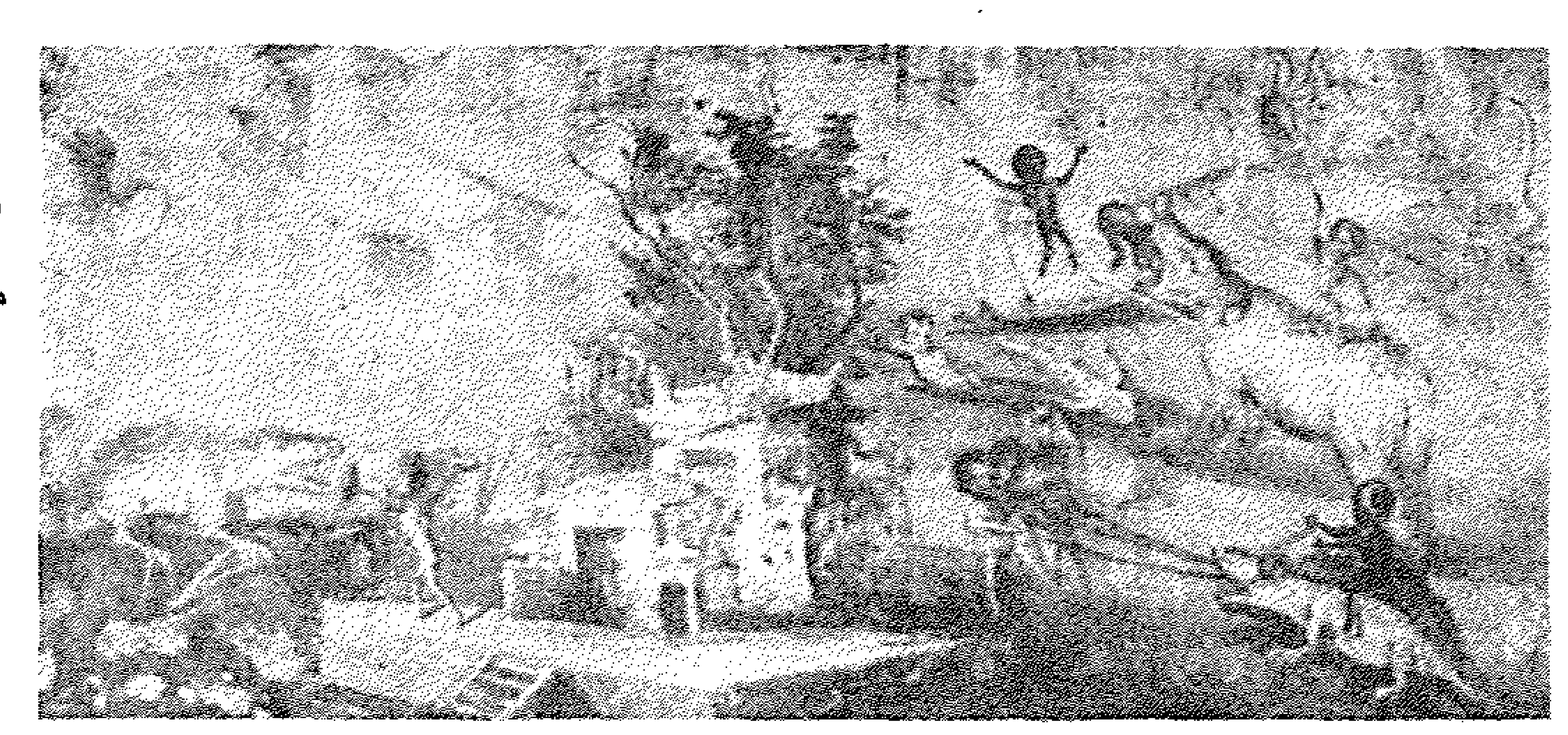
(شكل ١٨) عمود السوارى بالإسكندرية .
العصر الرومانى .

(شكل ١٩) تمثال الحاكم ليبسينس ٣٠٨ – ٣٢٤
العصر الرومانى المتحف المصرى بالقاهرة .

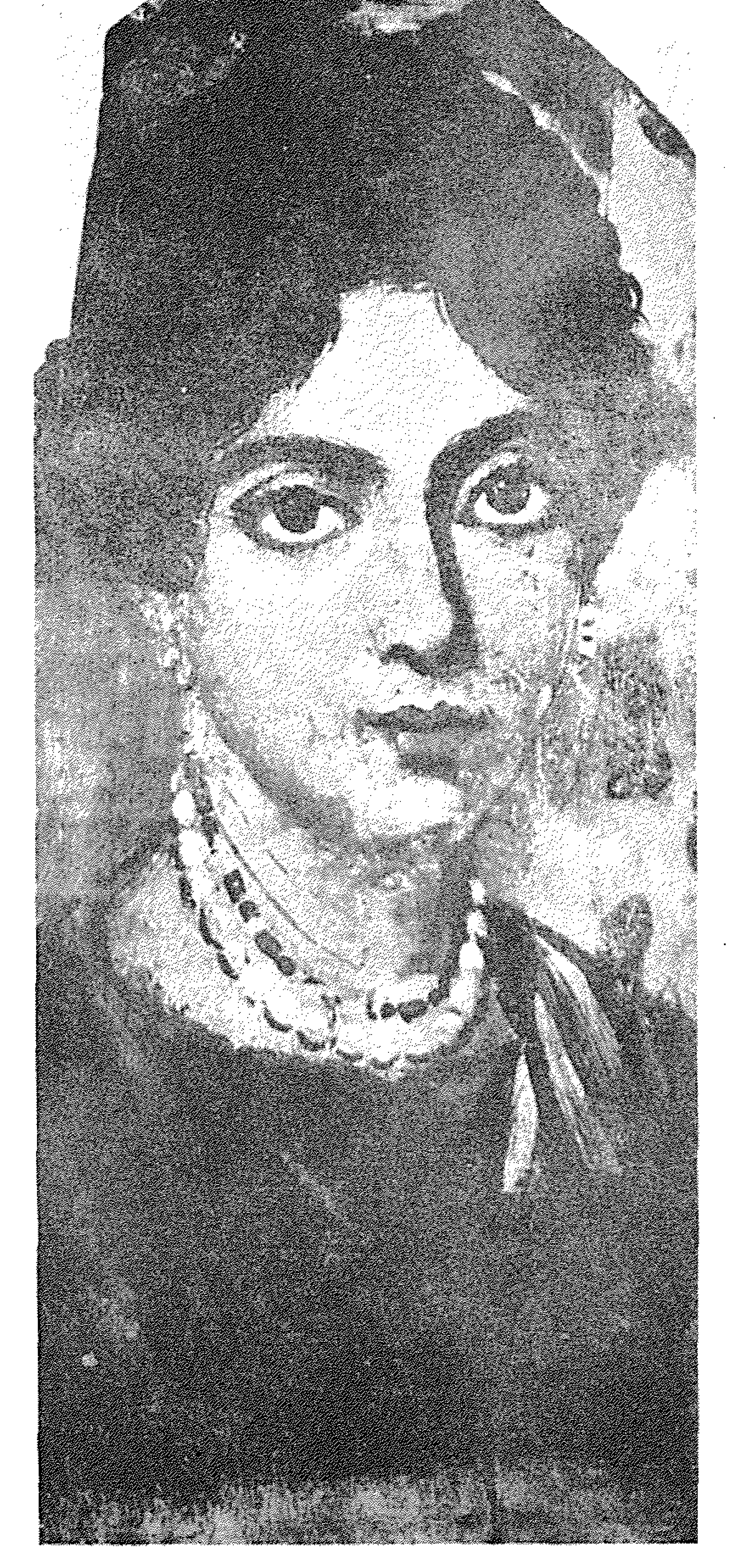


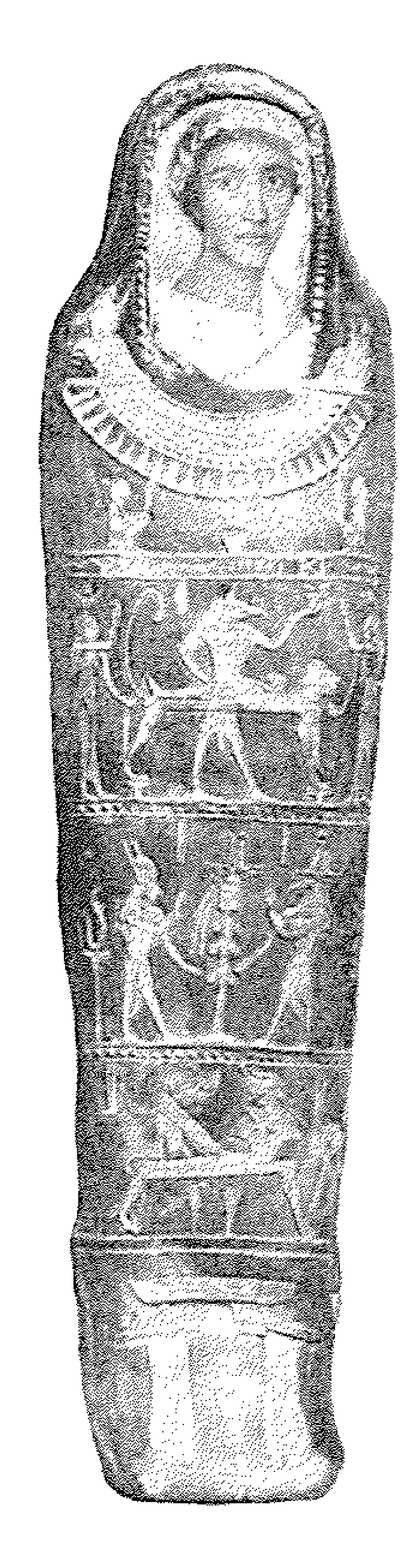
(شكل ٢٠) تصوير جدارى منقول من مقبرة بتونا الجبل إلى المتحف المصرى بالقاهرة ، وتظهر به صور ملونة من قصة أوديب الملك .





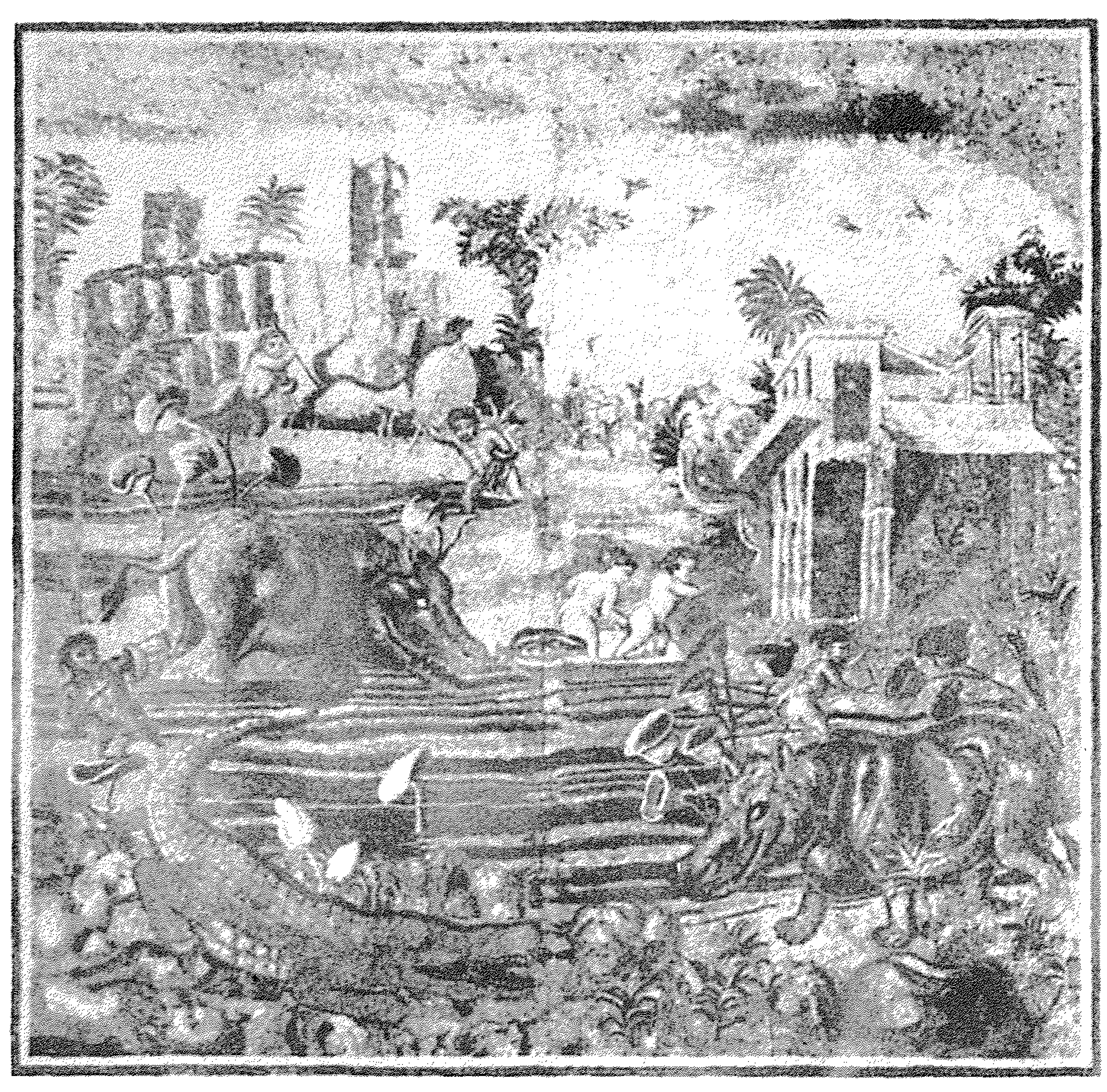
(شكل ٢١) تصوير جدارى بمناظر نيلية متأثرة بأسلوب مدرسة الإسكندرية ، عثر عليه فى مدينة بومبى ونقل إلى المتحف الأهلى بنابولى .



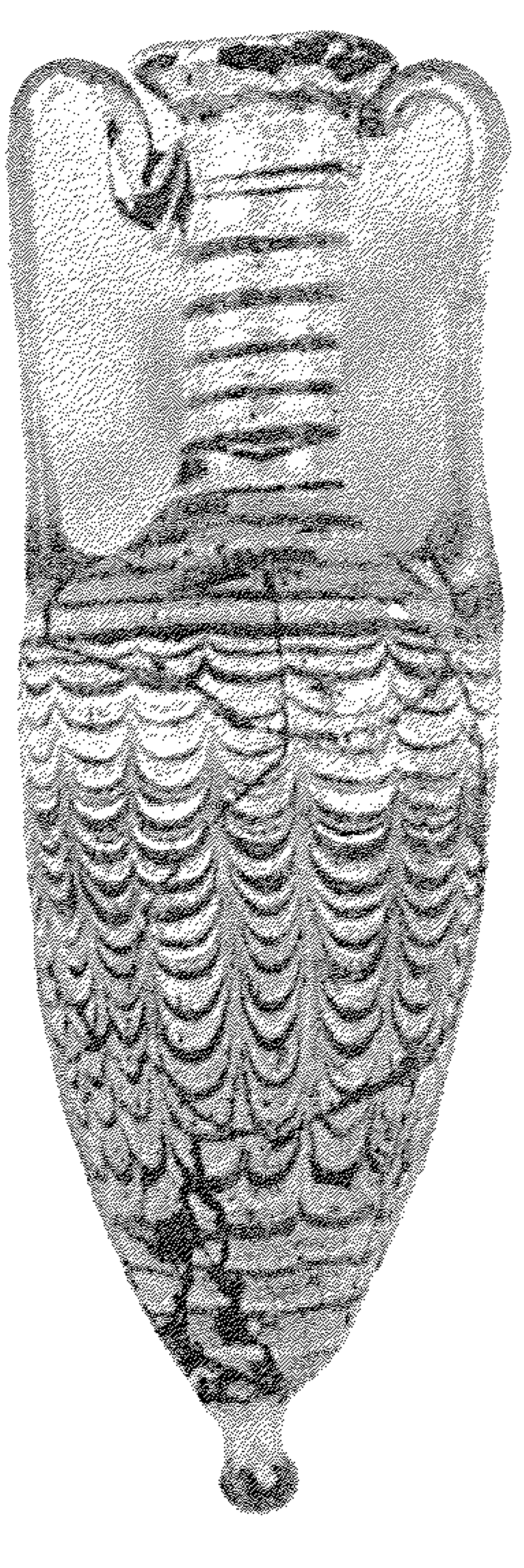


(شكل ٢٢) وجه مرسوم على كفن مومياء عثر عليه فى الفيوم ، القرن الثانى الميلادى العصر الرومانى ، متحف برلين .

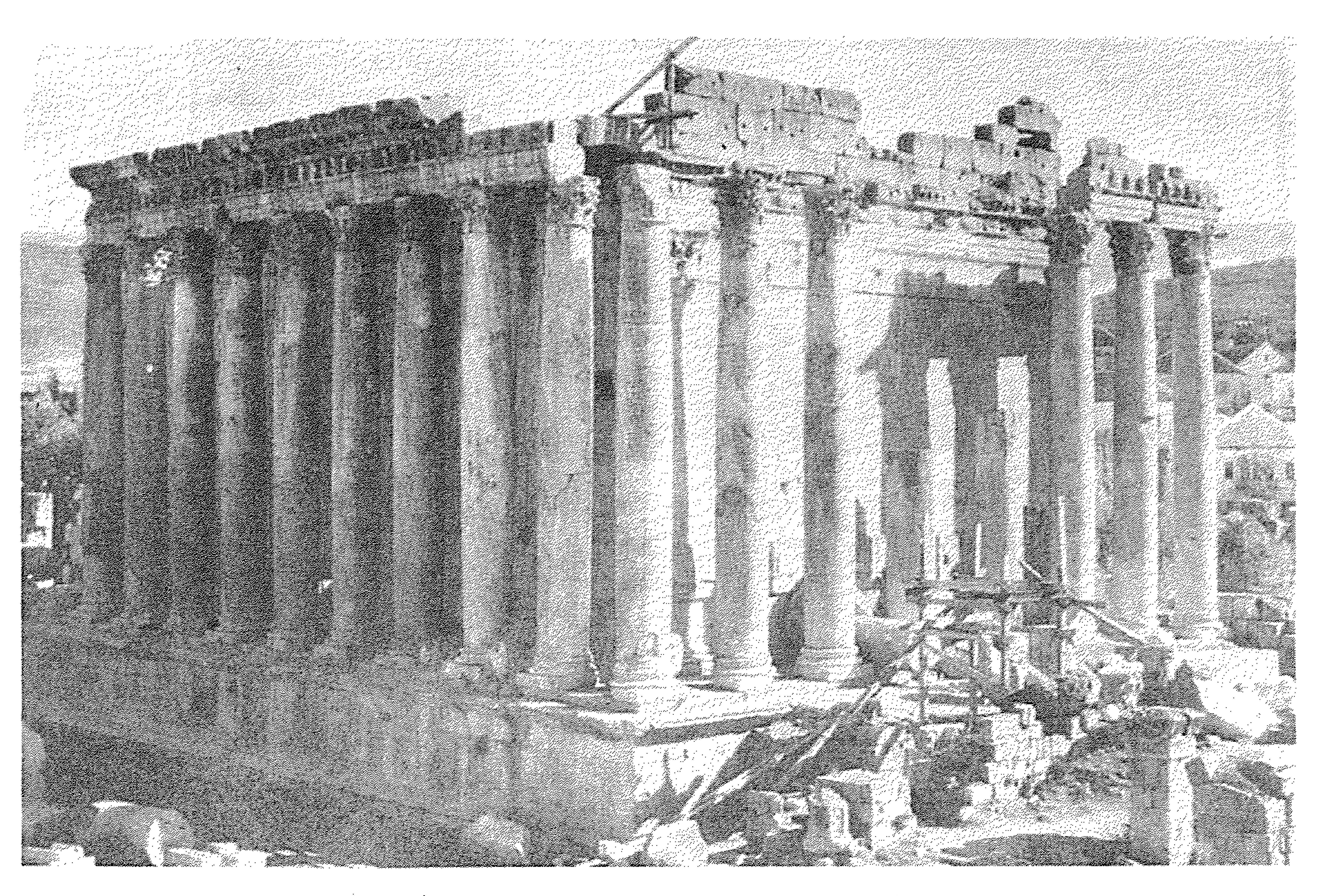
(شكل ٢٣) وجه سيدة مرسوم على تابوت ، عثر عليه فى الفيوم القرن الثانى الميلادى العصر الرومانى . متحف تاريخ الفنون بمدينة فيينا .



(شكل ٢٤) فسيفساء عثر عليها فى منزل فى بومبى ، تصور مناظر نيلية منقولة عن أصول اشتهرت بها مدرسة الإسكندرية .

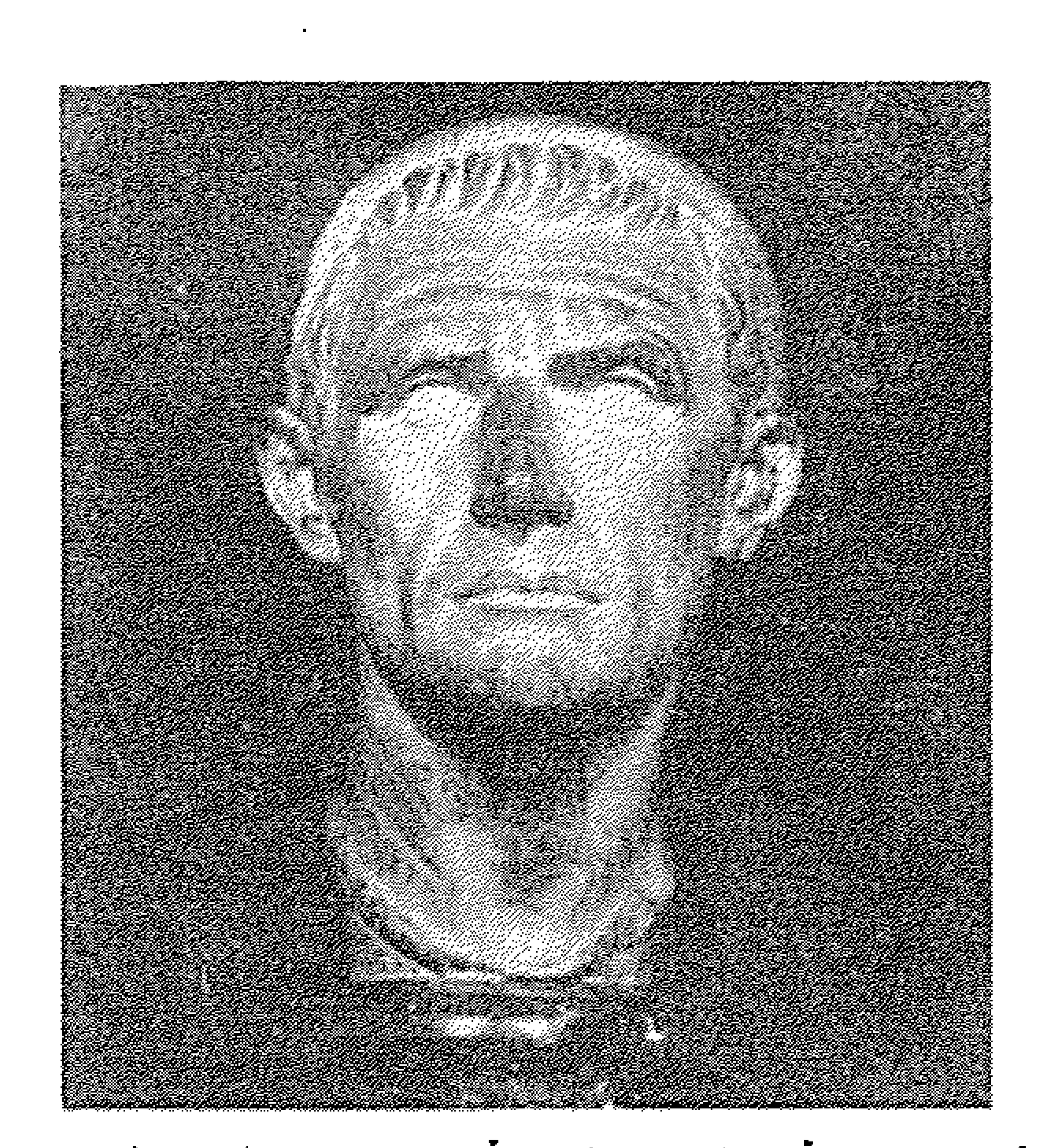


(شكل ٢٥) إناء من الزجاج عثر عليه فى كوم أوشيم ، العصر الرومانى . مجموعة خاصة .

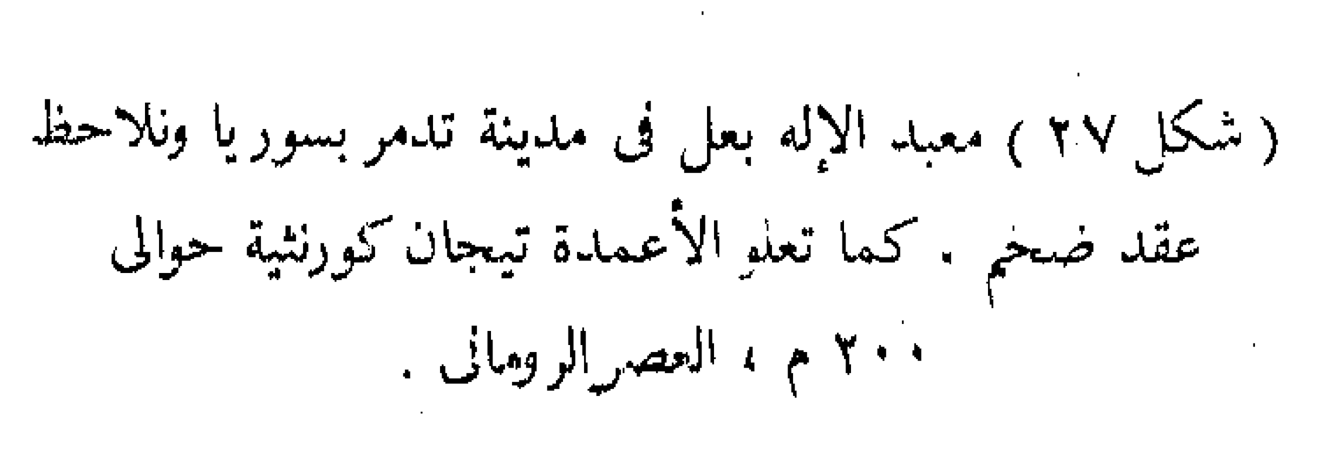


(شكل ٢٦) معبد بمدينة بعلبك (سوريا) العصر الرومانى .





(شكل ٢٨) رأس تمثال الملك أنطيوكس الثالث عثر عليه فى ساوفية ، القرن الثالث ق . م . حالياً بمتحف اللوفر .



(شكل ٢٧) معبد الإله بعل فى مدينة تدمر بسوريا ونلاحظ عقد ضخم . كما تعلو الأعمدة تيجان كورنثية حوالى ٢٠٠ م ، العصر الرومانى .

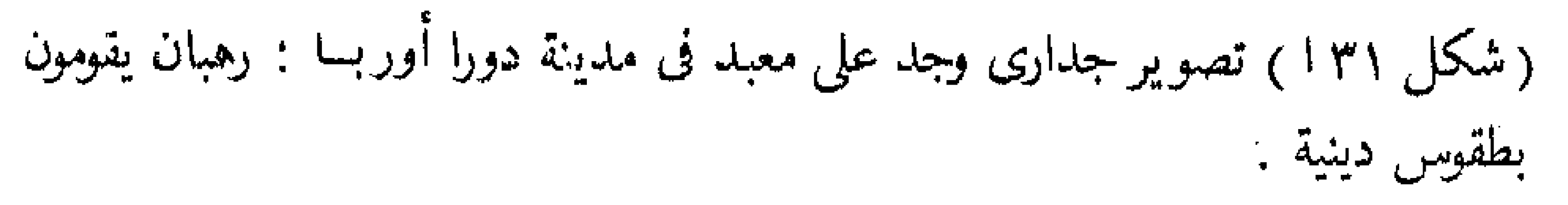


(شكل ٣٠) خوذة معدنية مشكلة على هيئة وجه آدمى من آثار الحضارة التدمرية ، حالياً متحف دمشق .



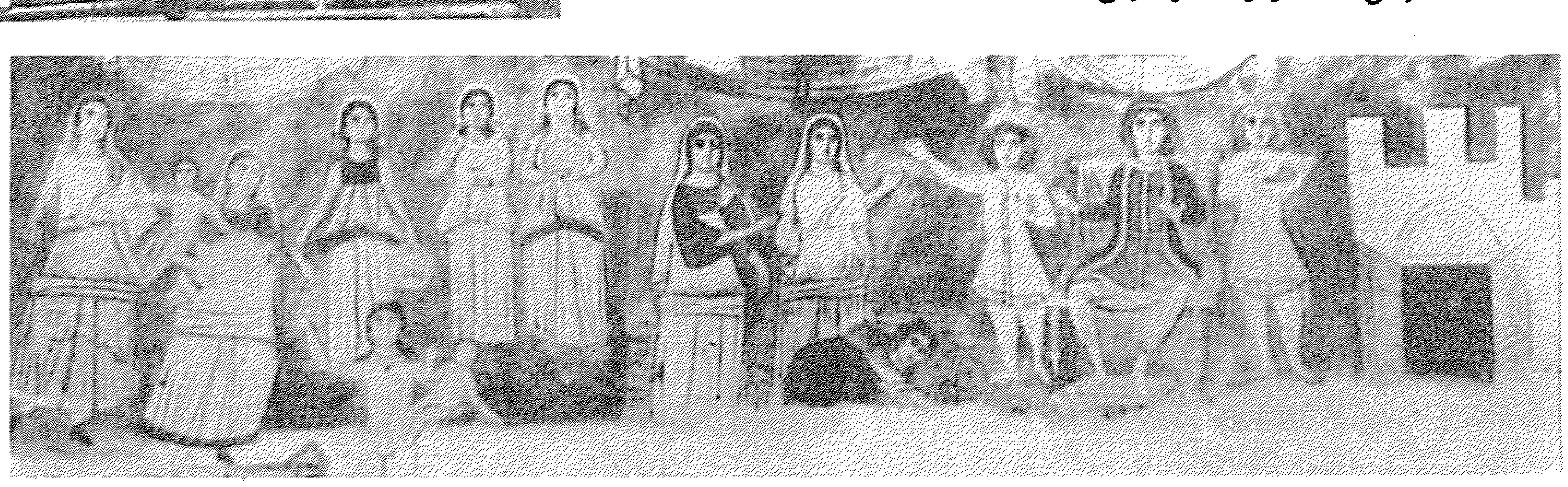
(شكل ٢٩) لوحة حجرية كانت تستعمل شاهد قبر فى مدينة تدمر . وبالرغم من الأسلوب الهيلينستى الواضح ، إلا أن المبالغة فى تسجيل تفاصيل الزى يبعد اللوحة عن الفن الإغريقى .



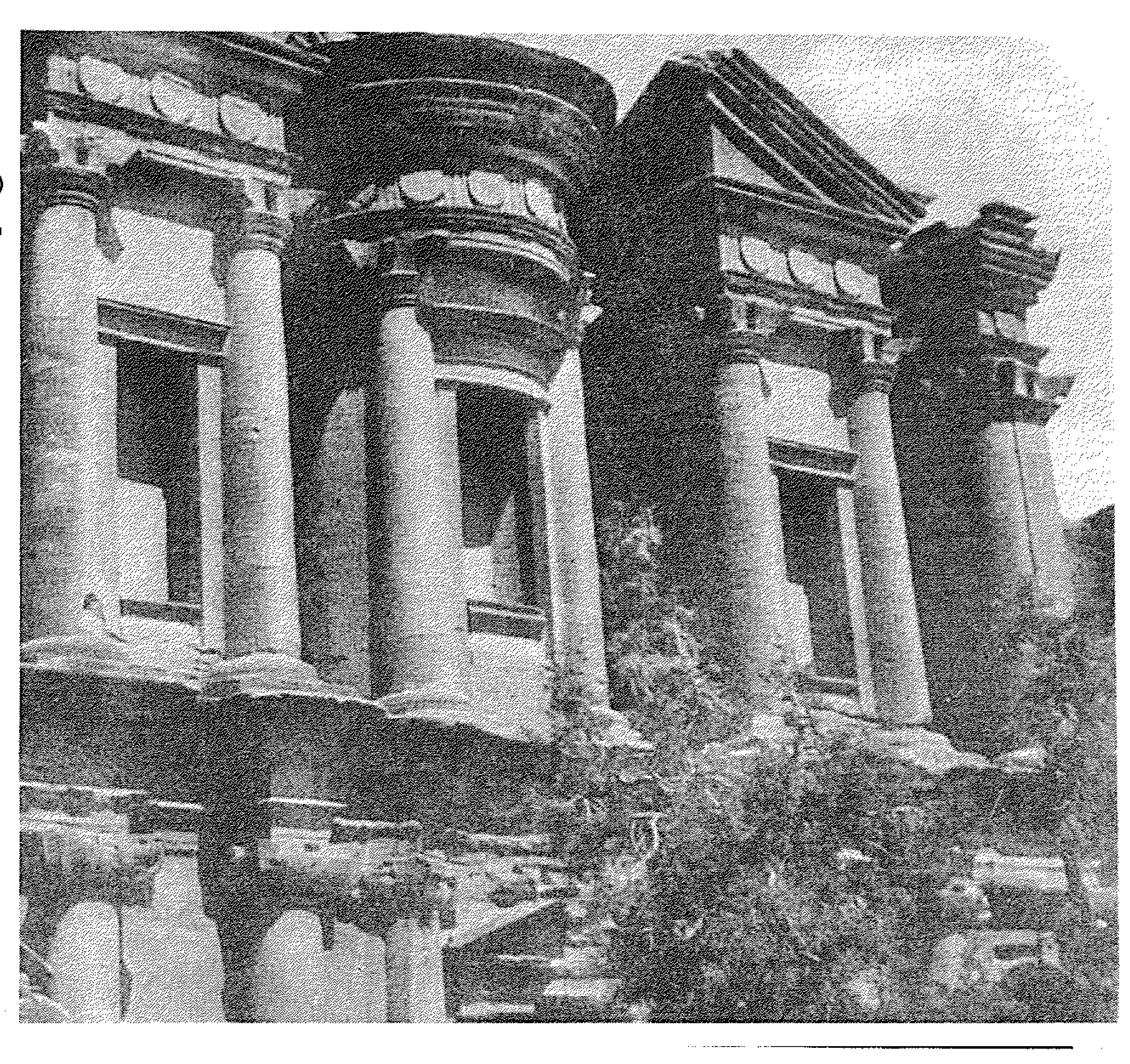


(شكل ٣١ أ) تصوير جدارى وجد على معبد فى مدينة دورا أوربسا : رهبان يقومون بطقوس دينية .

(شكل ٣١ ب) صورة جدارية وجدت فى معبد يهودى بمدينة دورا أوربا تصور عدة مناظر من قصة فرعون مصر وموسى منذ كان طفلاً .



(شكل ٣٢) قبر أحد الملوك الأنبا
منحوت فى الصخر (مملكة البتراء

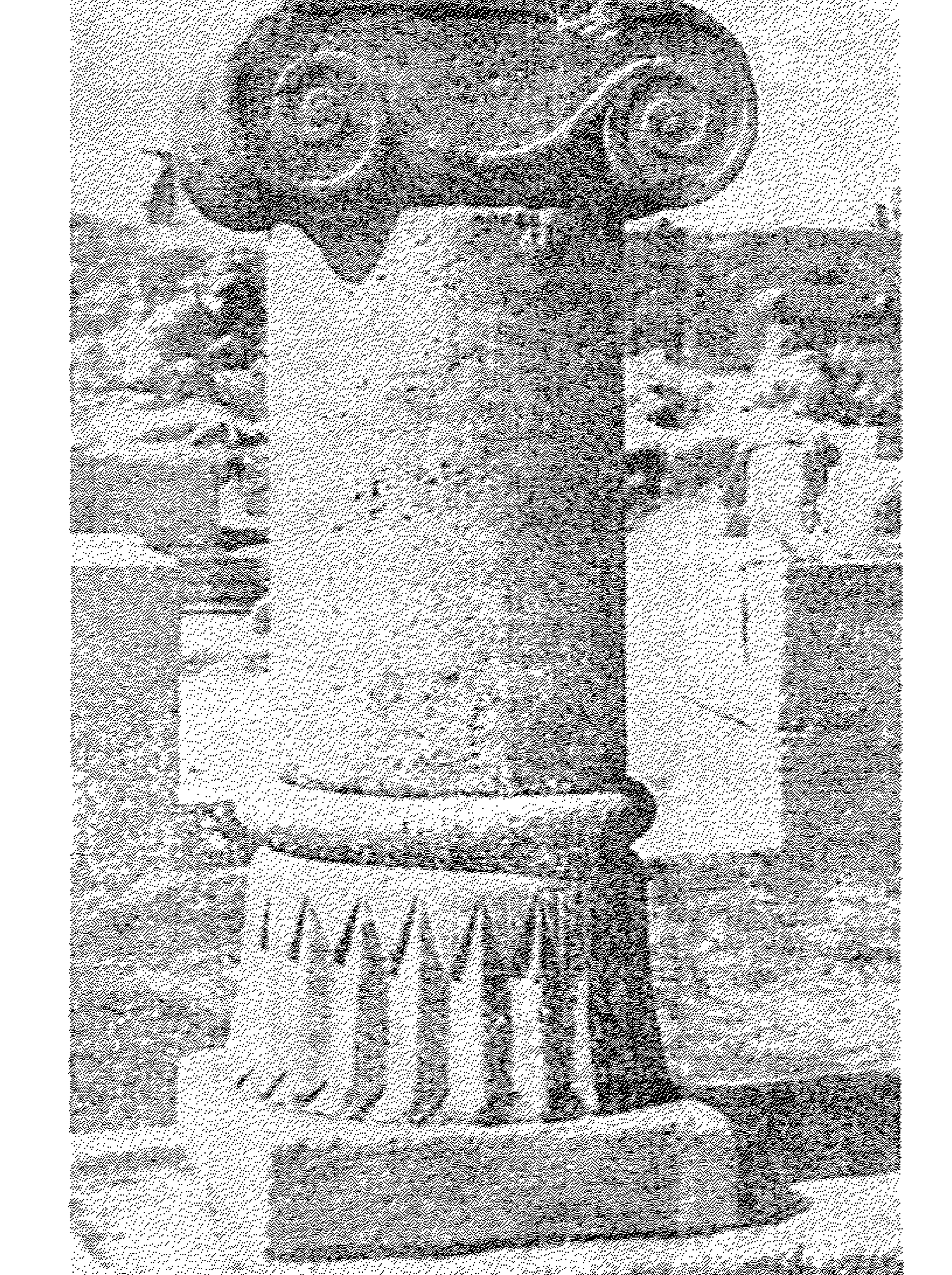


(شكل ٣٣) شاهد قبر نحت بارز لسيدة عثر عليه
فى جنوب الجزيرة العربية ، القرن الثانى الميلادى .



(شكل ٣٤) رأس من البرونز لسيدة ، من
صنع قبائل سبأ فى اليمن . المتحف البريطانى .





(شكل ٣٥) أجزاء من عمود عثر عليه فى معبد فى جزيرة فيلكة (الكويت) ويلاحظ التاج الأيونى والقاعدة التى تذكرنا زخارفها بأعمدة برسيبوليس . العصر الهيلينستى.

(شكل ٣٦) تمثال من الطين المحروق لسيدة تذكرنا بتماثيل الإلهة أفروديت . العصر الهيلينستى ، حالياً بمتحف الكويت





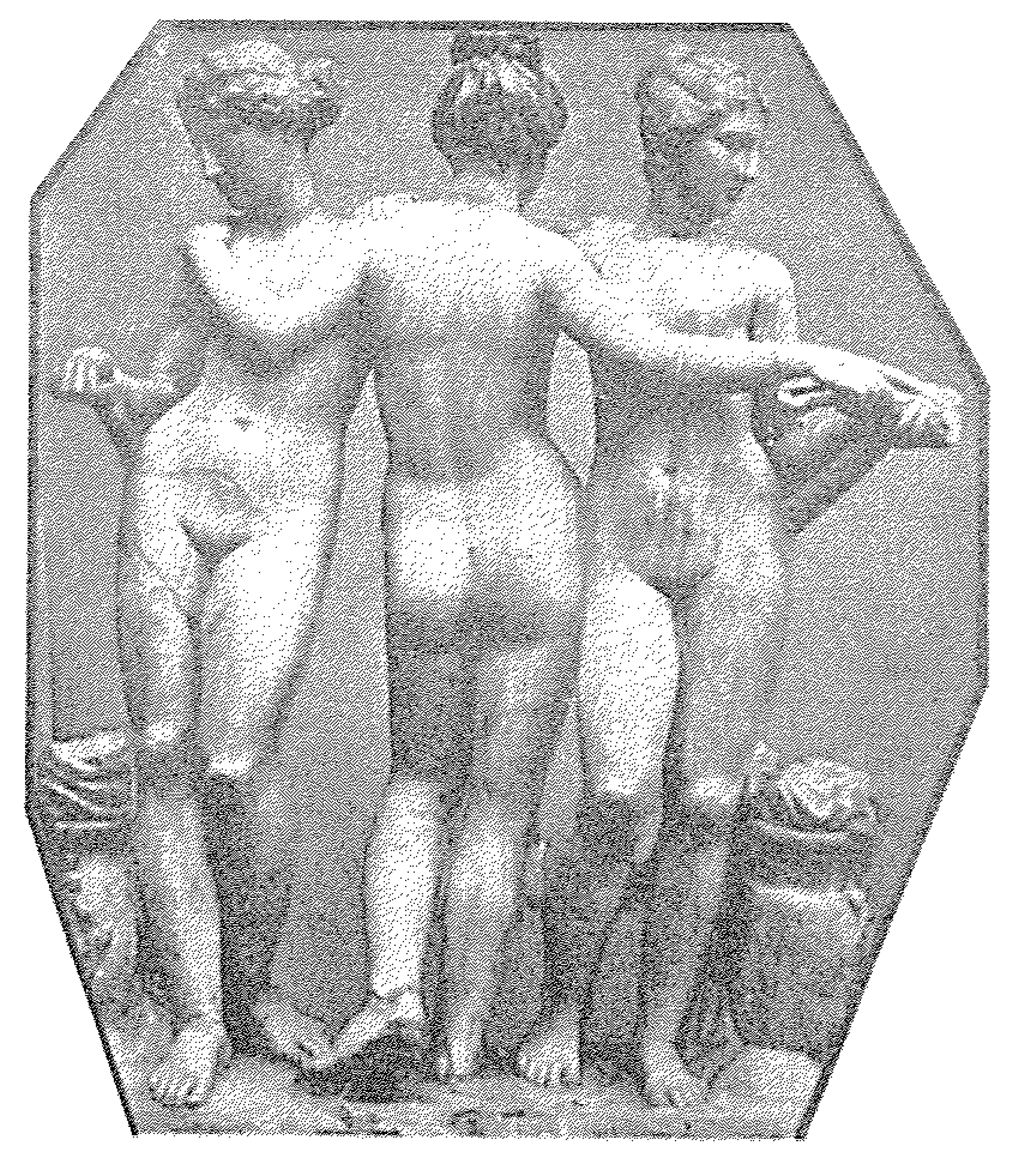
(شكل ٣٧) تمثال من الطين المحروق لرجل عثر على الجسم وعلى الرأس مبعثرين ، إلا أنه أمكن تثبيت الرأس على الجسم . العصر الهيلينستى . حالياً بمتحف الكويت .

(شكل ١٣٨ ، ب) بازيليكا مدينة لبدة « ميدان سويروس » ليبيا . ويلاحظ فى شكل « ب » نقوش بارزة على الدعائم تتكون من تفريعات نباتية تحصر بينها عناصر حية .





(شكل ٣٩) مسرح عثر عليه فى مدينة صبراتة ليبيا .

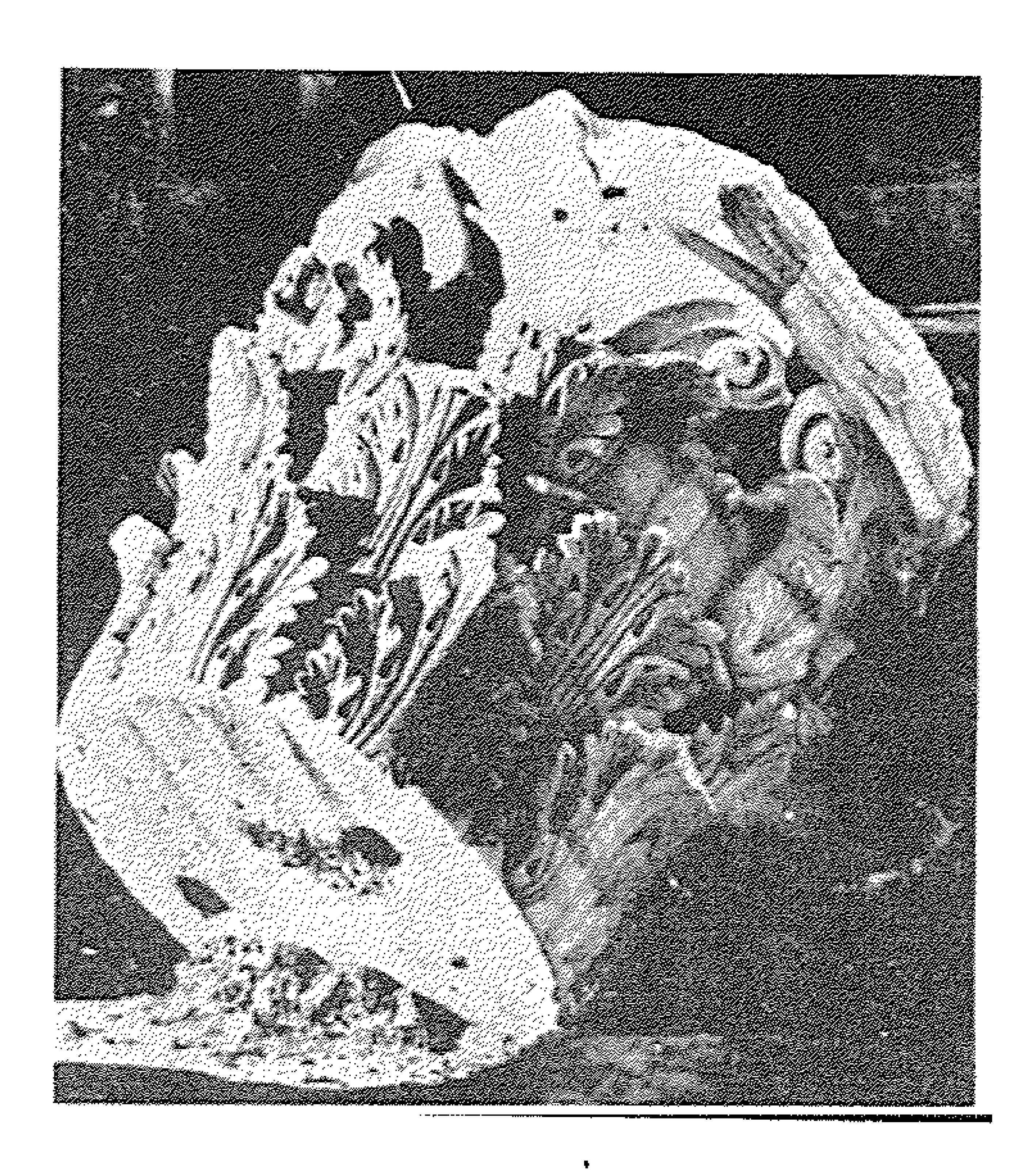


(شكل ٤٠) تماثيل الحوريات الثلاث .

آثار رومانية بمدينة قورنية شرق طرابلس ليبيا .

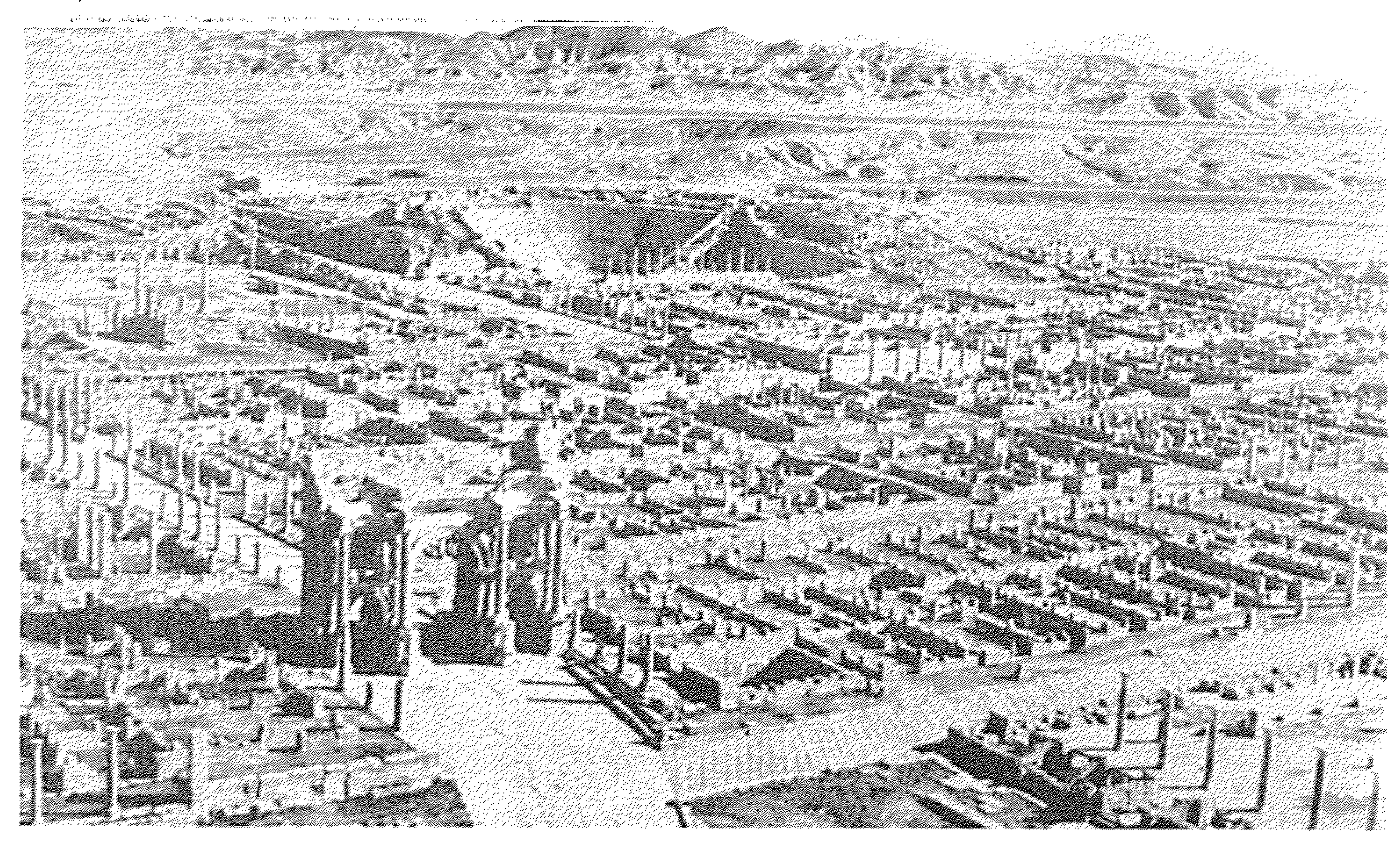
(شكل ٤١) تمثال من البرونز يصور الإله إيروس ، حالياً متحف باردو ، تانس .

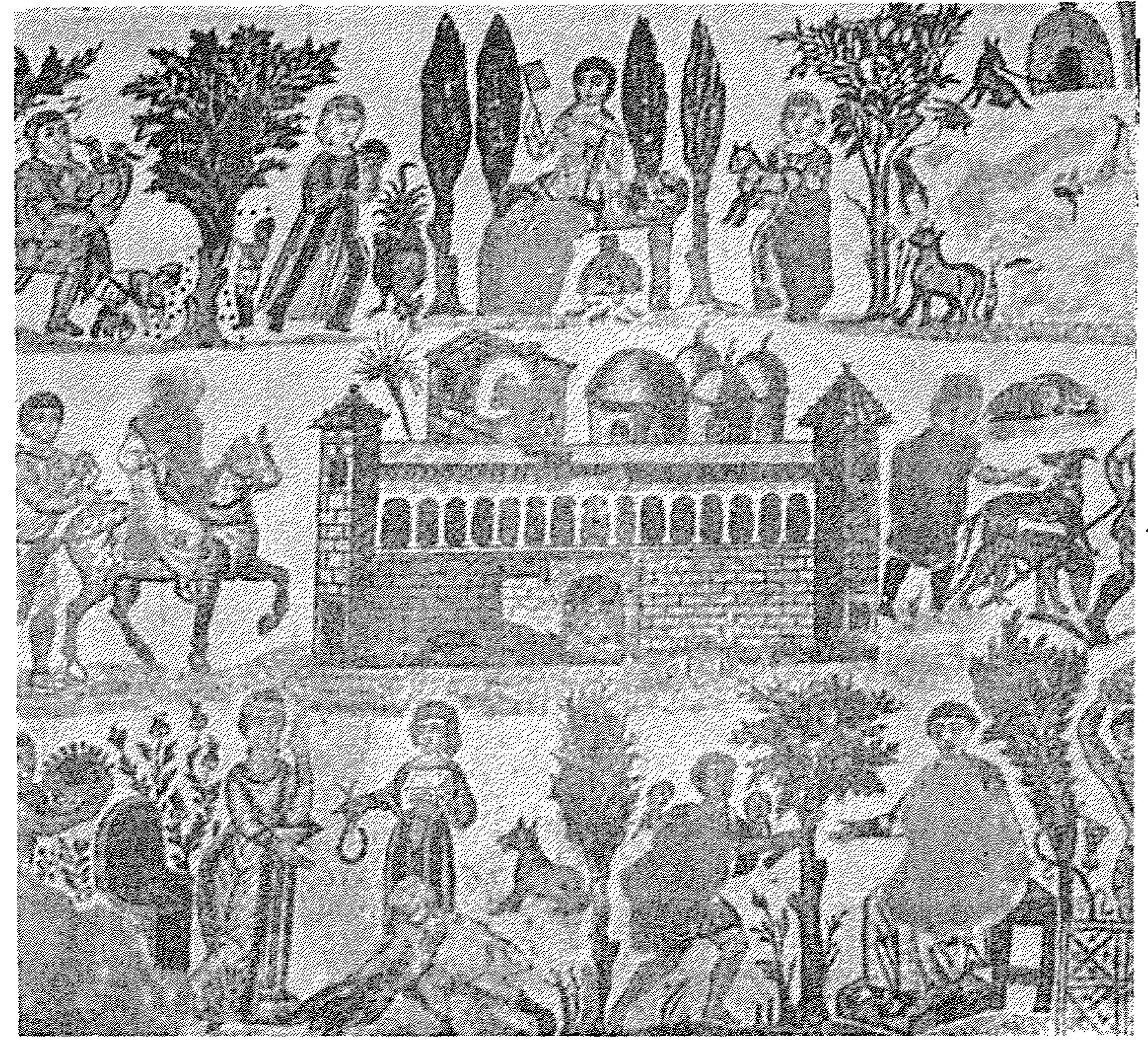




(شكل ٤٣) تاج عمود كورنثى عثر عليه فى حمامات أنطونين . قرطاج .

(شكل ٤٢) آثار رومانية بمدينة تيمقاد (الجزائر حاليًّا) ويظهر فى المقدمة بوابة تراجان وفى المؤخرة المسرج .
القرن الثانى – الثالث الميلادى



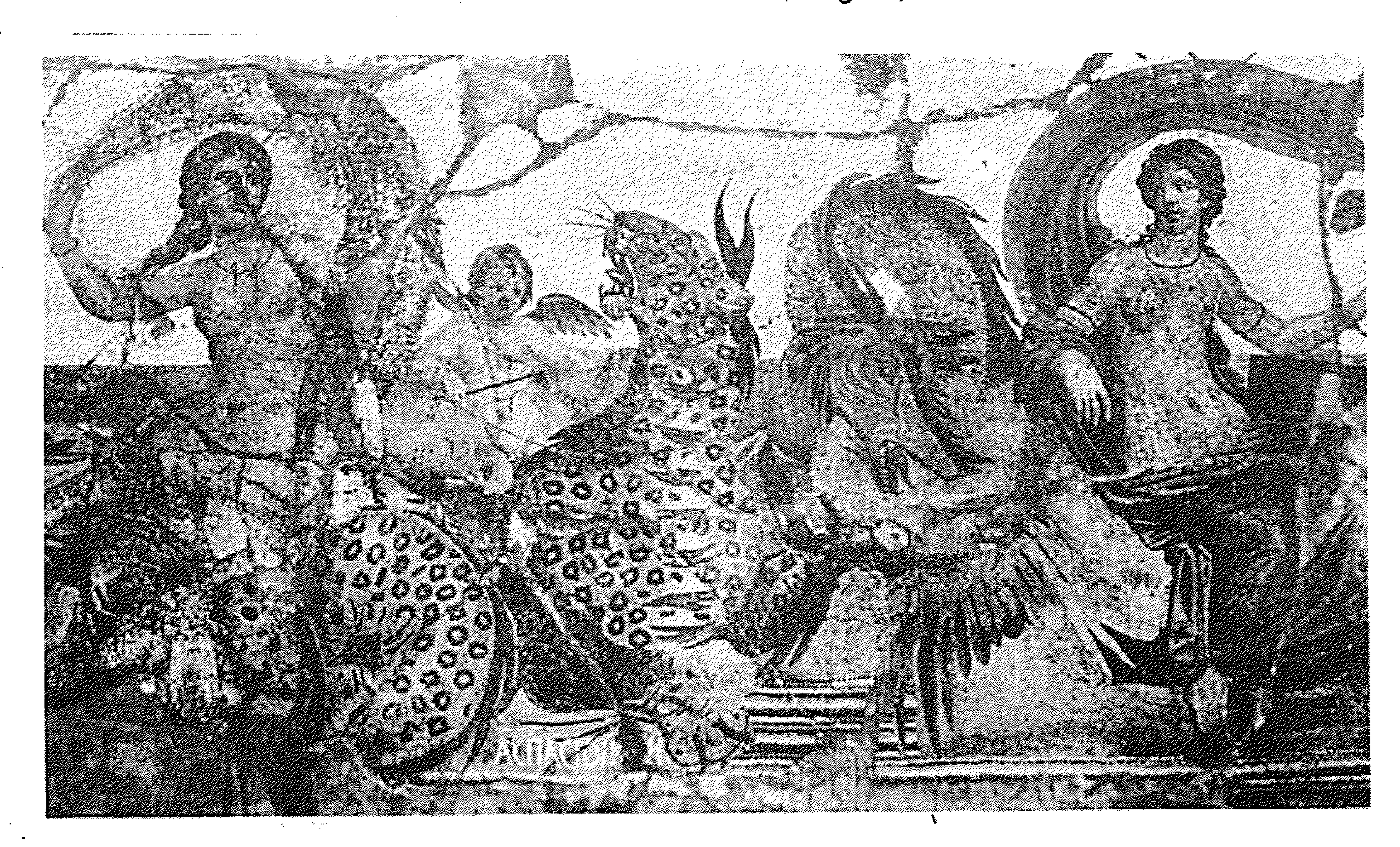


(شكل ٤٥) فسيفساء عثر عليها فى قرطاج تصور ضيعة السيد جوليوس وما تحتويه من مبان وأشجار وحيوانات . القرن الثانى أو الثالث بعد الميلاد - حاليًّا متحف باردو . تونس

(شكل ٤٤) تمثال من الحجر يصور الإلهة المصرية إيزيس مرتدية زيًّا رومانيًّا بمتحف الجزائر .



(شكل ٤٦) فسيفساء عثر عليها فى منزل بمدينة لامبيز حاليًّا بمتحف المدينة . الجزائر .



الباب الثانى

العصر المسيحى فى الشرق (القرن الرابع
القرن الخامس عشر الميلادى)

تمهيد تاريخى :

ظهر الدين المسيحى فى فلسطين فى أوائل عهد الإمبراطور كاليجول (٣٧ – ٤١ م) وانتشر فى خلال الخمسة قرون التالية بين شعوب الإمبراطورية الرومانية . ولقد عارضت الدولة الحاكمة بطبيعة الحال الدين الجديد ، وبدأت سلسلة من الاضطهادات منذ عصر الإمبراطور نيرون (٥٤ – ٦٨ م) . وكثر الاضطهاد فى القرن الثالث وأوائل الرابع فى عهد الأباطرة دسيوس (٢٤٩ – ٢٥١ م) وفاليريان (٢٥٧ – ٢٥٨ م) . إلا أن التنكيل بلغ أشده فى عهد دقلديانوس (٢٨٤ – ٣٠٥ م) الذى أصدر مرسوماً بذلك عام ٣٠٣ م . وقلت هذه الاضطهادات بالتدريج فى أنحاء الإمبراطورية فى الغرب بعد استقالة دقلديانوس ، وفى الشرق بعد المرسوم الذى أصدره جاليريوس عام ٣١١ م .

وعندما تولى قسطنطين (٣٠٦ – ٣٣٧ م) حكم الإمبراطورية ، ترك الحرية كاملة لممارسة الدين الجديد ، وذلك بعد انتصاره على معارضيه وإصدار مرسوم ميلان عام ٣١٣ م . وبالرغم من أن قسطنطين كان متعاطفاً مع الدين الجديد ، فإنه لم يعتنقه إلا بعد عام ٣٢٤ م . وبذلك صار الدين المسيحى تقريباً دين الدولة الرسمى .

نقل قسطنطين مركز حكم الإمبراطورية الرومانية الموحدة من روما إلى الشرق ، واختار مدينة بيزنطة لتكون موقعاً للعاصمة الجديدة التى أطلق عليها القسطنطينية . تولى حكم الإمبراطورية بعد أسرة قسطنطين ، ثيودوسيوس العظيم (٣٧٩ – ٣٩٥ م) الذى أحيا المسيحية وأصدر مرسوماً بإغلاق المعابد الوثنية . وكان آخر الأباطرة الذين حكموا إمبراطورية موحدة امتدت من فرنسا فى الغرب إلى بغداد فى الشرق ، حيث

انقسمت الإمبراطورية بعد وفاته بين أبنائه إلى شرقية عاصمتها القسطنطينية وغربية عاصمتها روما . وكانت بلاد الشرق الأوسط تابعة للإمبراطورية الشرقية .

وبينما سببت الحروب التى خاضتها الإمبراطورية الغربية مع أعدائها إنهيارها ، نجد أن الإمبراطورية الشرقية التى لم تحارب إلا الفرس تواصل ازدهارها ، وعندما تولى جستنيان (٥٢٧ – ٥٦٥ م) حكم الإمبراطورية الشرقية ، كان العالم البيزنطى يشمل شبه جزيرة البلقان فى أوربا وسوريا وبلاد الأناضول فى آسيا ، ومصر فى أفريقيا . ويعرف عهده بالعهد الذهبى الأول للحضارة البيزنطية .

وتمكن جستنيان من توسيع الإمبراطورية بالاستيلاء على شمال أفريقيا وجنوب أسبانيا وجزز البليار . إلا أنه انهزم أمام خسرو العظيم الحاكم الساسانى . ولقد تخلل حكم الدولة البيزنطية حروب مع دولة الساسان الفارسية ، كان يهدئ من حدتها بعض معاهدات السلام التى كانت توقع بين الأباطرة البيزنطيين والفرس .

تمكن هرقل (٦١٠ – ٦٤١ م) من طرد الفرس من ممتلكات الإمبراطورية . إلا أن الأمة الإسلامية التى نشأت فى شبه الجزيرة العربية تمكنت من الاستيلاء على سوريا وفلسطين ومصر بعد انتصارها فى موقعة اليرموك . وقد تمكن الإمبراطور ليون الثالث (٧١٧ – ٧٤٠ م) من صد هجوم العرب على القسطنطينية فى عام (٧١٧ – ٧١٨ م) . ولقد بدأ صراع فى عهده بين رجال الكنيسة بين مؤيدين ومعارضين لاستخدام التصوير وسيلة فى الإرشاد الدينى بعد إصداره مرسوماً بذلك عام ٧٢٦ م . إلا أن ابنه قسطنطين الخامس (٧٤٠ – ٧٧٥ م) أصدر مرسوماً ثانياً عام ٨٤٢ م بإعادة الصلة بين الكنيسة والفن . وانتهى النزاع فى عام ٨٤٣ م بواسطة الإمبراطورة ثيودورا .

عادت للإمبراطورية أمجادها فى عهد الأسرة المقدونية التى أسسها بازيل الأول (٨٦٧ – ٨٨٦ م) ومن أشهر حكامها قسطنطين السابع (٩١٣ – ٩١٩ م) الذى أعاد مجد الإمبراطورية البيزنطية . وامتدت حدود الدولة حتى روسيا فى عهد بازيل الثانى (٩٦٣ – ١٠٢٥ م) . وتعرف هذه الفترة بالعهد الذهبى الثانى للحضارة والفنون البيزنطية .

توالى على حكم الدولة البيزنطية عدد من الأسر حتى عام ١٤٥٣ الذى استولى فيه

محمد الفاتح العثمانى على القسطنطينية . إلا أن الحضارة والفنون البيزنطية استمر ظهورها لعدة قرون فى روسيا وفى دول البلقان .

كان الطراز الفنى الذى أتى فى أعقاب العصر الهيلنستى (الإغريقى الرومانى) طرازاً دولياً مسيحياً استمر من القرن الرابع حتى القرن السادس . ولقد تطور هذا الفن فى البلاد الغربية وفى الشرق وطرأت عليه تغيرات ارتبطت كلها بالعقيدة المسيحية الجديدة .

وبطبيعة الحال لم يكن لهذا الفن المسيحى مركز خاص ينبع منه وينسب إليه ، بل نجد أن الشعوب قد مارسته فى وقت واحد فى مراكز الإمبراطورية المختلفة مثل روما والإسكندرية وأنطاكية . . إلخ . وكان الفن المسيحى فى كل من هذه المناطق المختلفة متأثراً بأساليب الفن المحلى . ولقد أدى انقسام الإمبراطورية الرومانية إلى شرقية وغربية إلى ظهور فن مسيحى شرقى عرف بالفن البيزنطى . وسوف نتتبع فى الشرق أيضاً الفنون الميسيحية فى الفن القبطى المصرى والفن المسيحى فى سوريا وشمال أفريقيا .

الفصل الأول

القسطنطينية ـــ الفن البيزنطى

كانت بيزنطة التى اختارها قسطنطين لتكون مركزاً للعاصمة الإمبراطورية الرومانية بدلا من روما العاصمة القديمة الوثنية ، مدينة صغيرة أنشأها الإغريق عام ٦٥٠ ق . م على بحر مرمرة . ولقد ساعد موقعها الجغرافى بين الشرق والغرب على أن تكون مركزاً تجارياً هاماً فى العصر الإغريقى الرومانى . وأصبحت للعاصمة الجديدة قسطنطينية [١] بعد أن انتقل إليها قسطنطين فى عام ٣٣٠ م ، نفوذ سياسى ودينى ينافس نفوذ روما . وكانت الثقافة خليطاً من الحضارة الإغريقية الهيلينستية وتأثيرات رومانية أتى بها الرومان النازحون إلى العاصمة المسيحية . وصارت القسطنطينية منذ القرن السادس المركز الرئيسى للحضارة والفن البيزنطى حتى سقوطها فى أيدى الأتراك فى منتصف القرن الخامس عشر .

والفن البيزنطى الذى بدأ نهضته الأولى فى القرن السادس ، هو المرحلة المسيحية للفن الإغريقى الرومانى فى الشرق ، أى أنه طراز مشتق من امتزاج عناصر من روما ومن العالم الهيلينستى مع عناصر شرقية محلية ، خضعت بعد انصهارها لتأثيرات من الدين الجديد . لذلك يجب على دارس الفن البيزنطى أن يكون ملماً بفنون الشرق الأوسط التى أثرت فيه . فمن بلاد النهرين وإيران انتقلت عناصر من الفن الساسانى ، كما ظهرت به عناصر من الفن الهيلينستى الذى كان منتشراً فى الإسكندرية وسوريا وفى المدن الصحراوية . ولقد وجدت فى الفن البيزنطى عناصر من الفن الحيثى الذى نشأ فى آسيا الصغرى . كما يمكن الرجوع إلى العالم الكلاسيكى فى فن التصوير البيزنطى .

ولقد ساعد على تكوين الطراز البيزنطى الإيمان بالدين المسيحى الذى استقرت قواعده فى القرن السادس [٢] فى عهد الإمبراطور جستينيان . ويمكن مقارنة النهضة

(١) احتفظ العلماء بالاسم القديم بيزنطة لوصف الثقافة والفنون المسيحية التى ظهرت فى الشرق .

(٢) لم تكن الديانة مستقرة ، حيث شجع الإمبراطور جوليان (٣٦١ – ٣٦٣ م) على الرجوع إلى الوثنية .

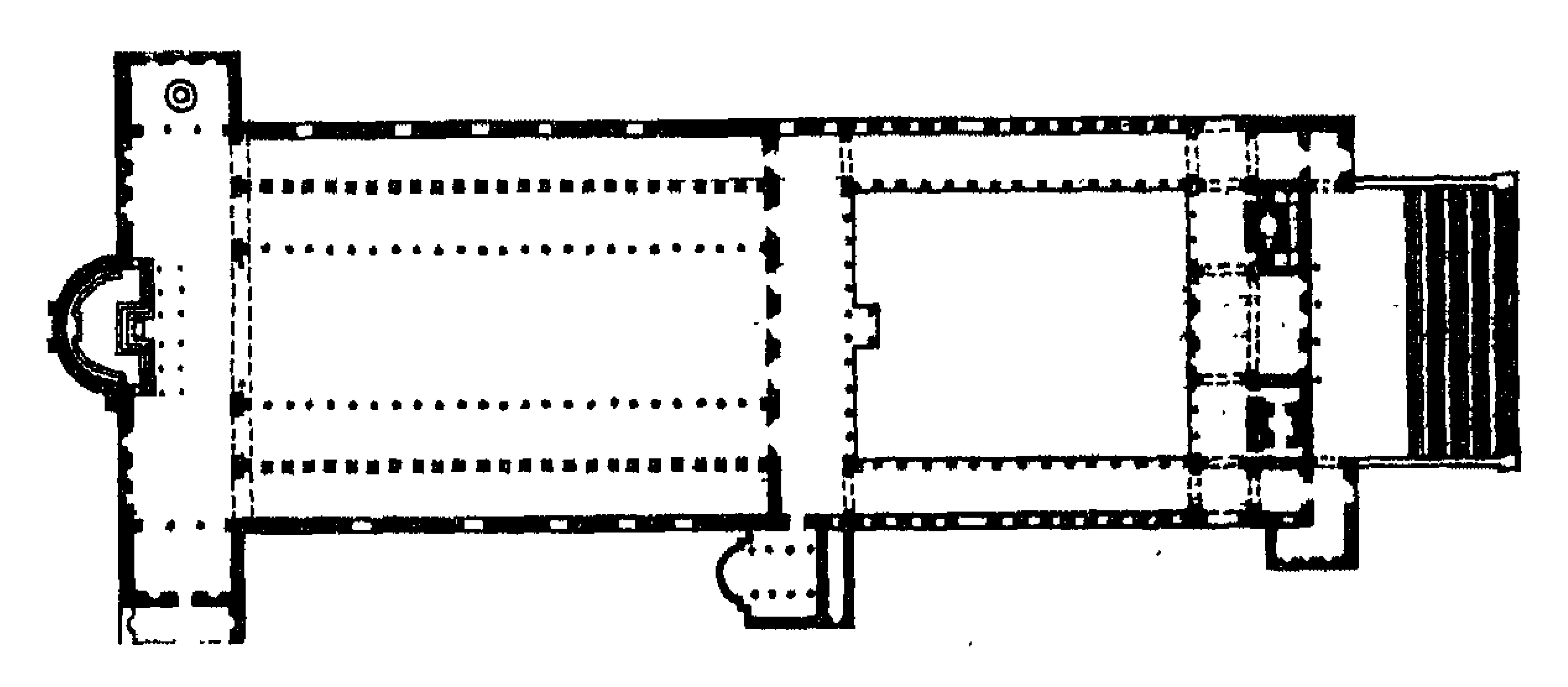
الفنية التى ظهرت فى عصره بالازدهار الذى ظهر فى أوربا فى عصر النهضة . ولقد انتاب الفن البيزنطى فترة خمول منذ الفترة التى كثر فيها الصراع بين رجال الكنيسة فى القرن الثامن حول استخدام الفن كوسيلة إرشاد دينى . إلا أنه ازدهر مرة ثانية فى العهد الذهبى الثانى للفن البيزنطى . وكان من أهم مظاهر النشاط الفنى الذى صاحب التغيير الدينى ، انتشار المبانى المسيحية البيزنطية فى المدن المهمة . لذلك نجد أن المسيحية لم تقتصر على كونها إحدى العوامل التى أثرت فى تطور الفن البيزنطى ، بل كانت أهم العناصر التى كونته .

العمارة :

نشطت الحركة المعمارية بعد ظهور المسيحية . ومن أهم نشاط ذلك العصر المبانى الدينية التى داوم الأباطرة على إقامتها لإحياء رسالة الدين . وينقسم طراز المبانى الدينية إلى قسمين : الأول قبل انتقال العاصمة إلى الشرق والثانى بعد تشييد القسطنطينية حيث تظهر فى الفن الرومانى المسيحى تأثيرات شرقية .

عمارة الكنيسة :

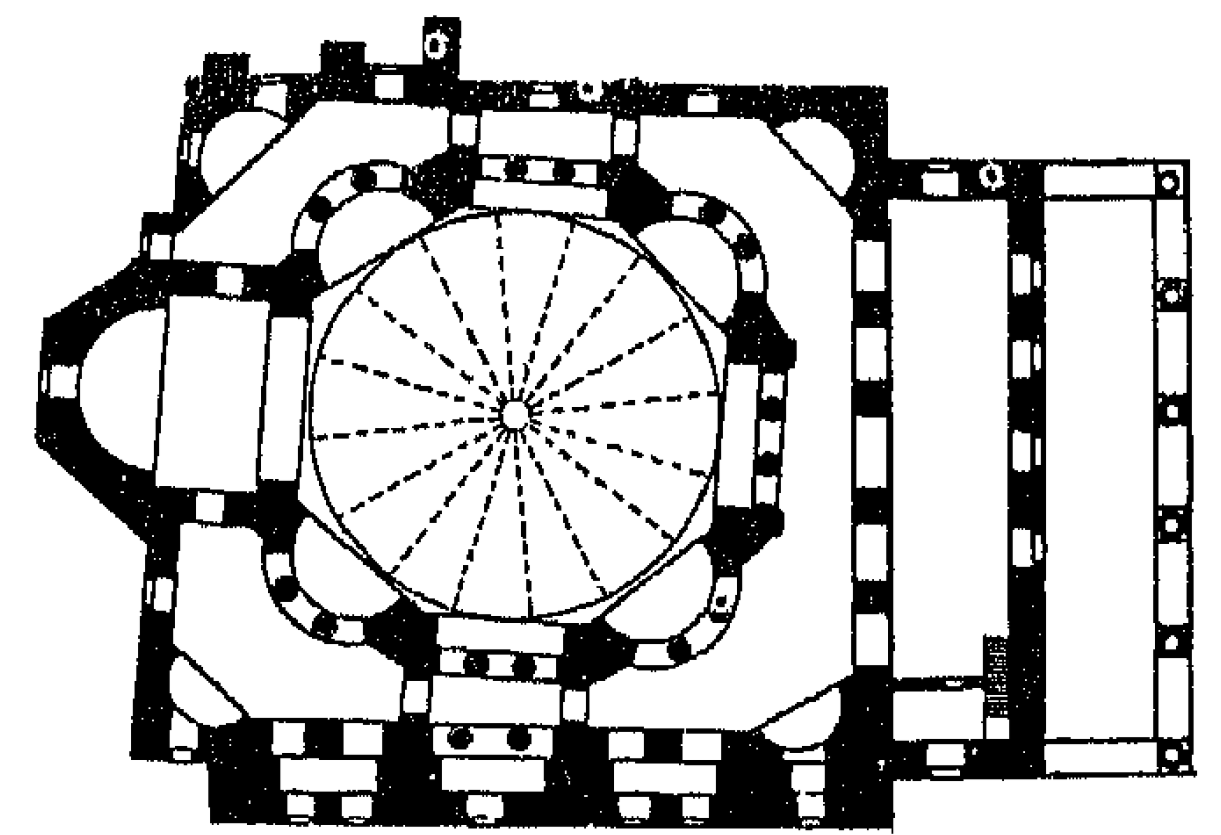
عندما انتشرت المسيحية فى عهد قسطنطين كان تصميم العمائر الدينية الأولى (رسم ١) مقتبسا من البازيليكا الرومانية ذات السقف الخشبى وليس من المعابد

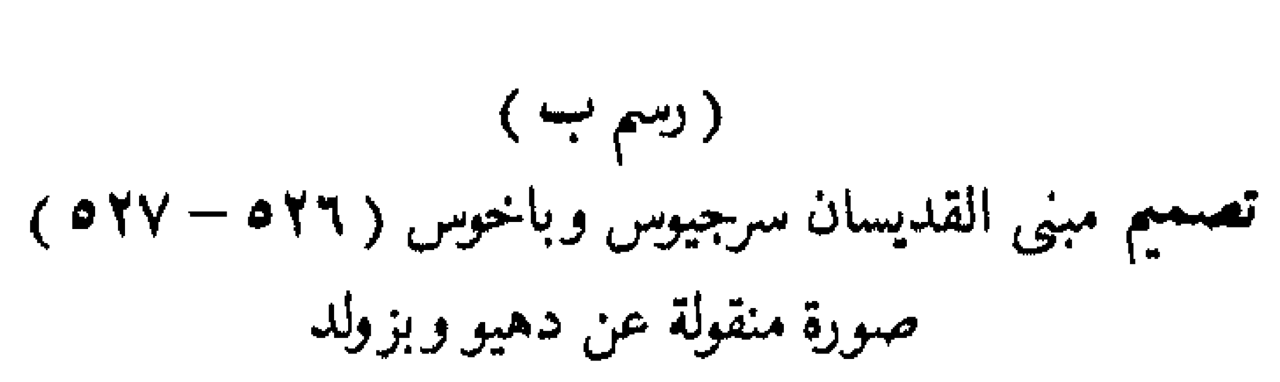


(رسم ١) تصميم كنيسة القديس بطرس القديمة بروما

الوثنية . وذلك لأن البازيليكا التى كانت تستخدم لأغراض دنيوية ، يوجد بها من الداخل مكان متسع يصلح للاجتماعات بعكس المعابد الوثنية التى كانت طقوس العبادة تقام خارجها . ولقد أطلق على هذا النوع من الكنائس (ش ٤٧) « الكنيسة البازيليكية » .

وبعد انتقال عاصمة الدولة الرومانية إلى بيزنطة ، ظلت البازيليكات (ش ٤٨) الطراز السائد فى أوربا حتى آخر القرن الثامن ، على حين نشأ فى الدولة الشرقية الطراز البيزنطى منذ القرن السادس ، ظل سائداً إلى وقت فتح العثمانيين القسطنطينية .

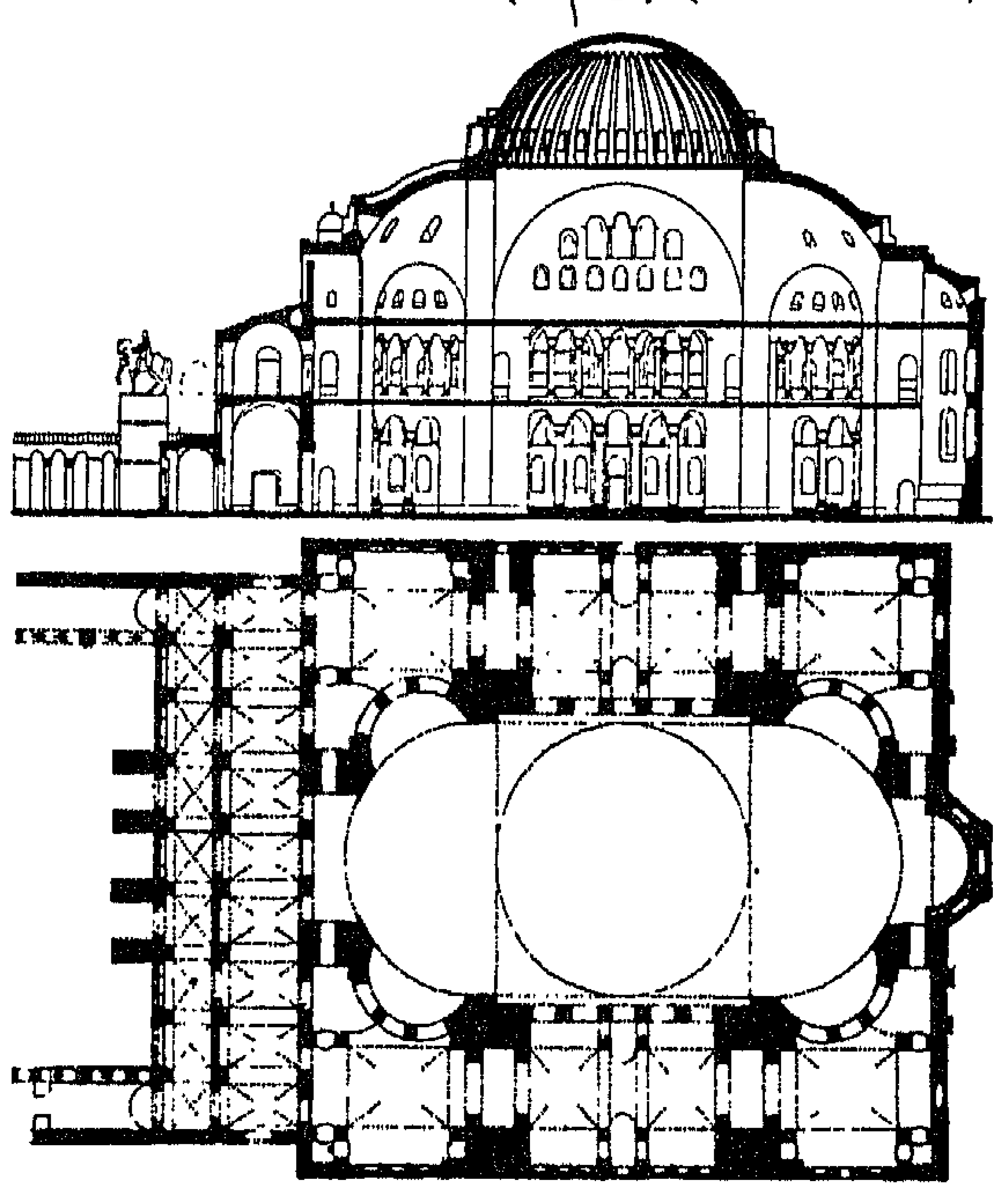




(رسم ب)
تصميم مبنى القديسان سرجيوس وباخوس (٥٢٦ – ٥٢٧)
صورة منقولة عن دهيو وبزولد

كانت العمائر الدينية التى شيدت فى القرن السادس فى أنحاء الإمبراطورية الرومانية تنقسم إلى أربعة طرز مختلفة : (١) الكنيسة البازيليكية ذات السقف الخشبى مثل كنيسة القديسة مارى بالقسطنطينية وكنيسة القديس أبولينار فى رافينا ، (ش ٤٩).(٢) المبانى التى تعتمد على تصميم مركزى مثل مبانى التعميد المستديرة أو المتعددة الأضلاع مثل مبنى القديسيْن سرجيوس وباخوس فى القسطنطينية (٥٢٦ – ٥٣٧م) (رسم ب) و (ش ٥٠) وكنيسة القديس فيتال فى رافينا. (٣) الكنيسة المغطاة بقبة مثل كنيستى القديسة إيرين ٤٣٢ م والقديسة صوفيا (٥٣٢ – ٣٧٠) بالقسطنطينية (رسم حـ) . وكان هذا الطراز مقتبساً من الطرازين السابقين . (٤) الكنيسة التى يعتمد تصميمها على الصليب الإغريقى المتساوى الأضلاع . وهذا طراز بيزنطى صرف ظهر فى القرن السادس وفيه تعلـو قبة مركز تقاطع أضلاع الصليب

الإغريقى الموجود داخل مربع ، وظهر هـــذا الأسلوب فى كنيسة الرسل المقدسة بالقسطنطينية[١] (٥٣٦ - ٥٤٦) (رسم د) .



(رسم حـ) تصميم وقطاع فى كنيسة القديسة صوفيا، القسطنطينية . (منقول عن جرلت ، سيبل)

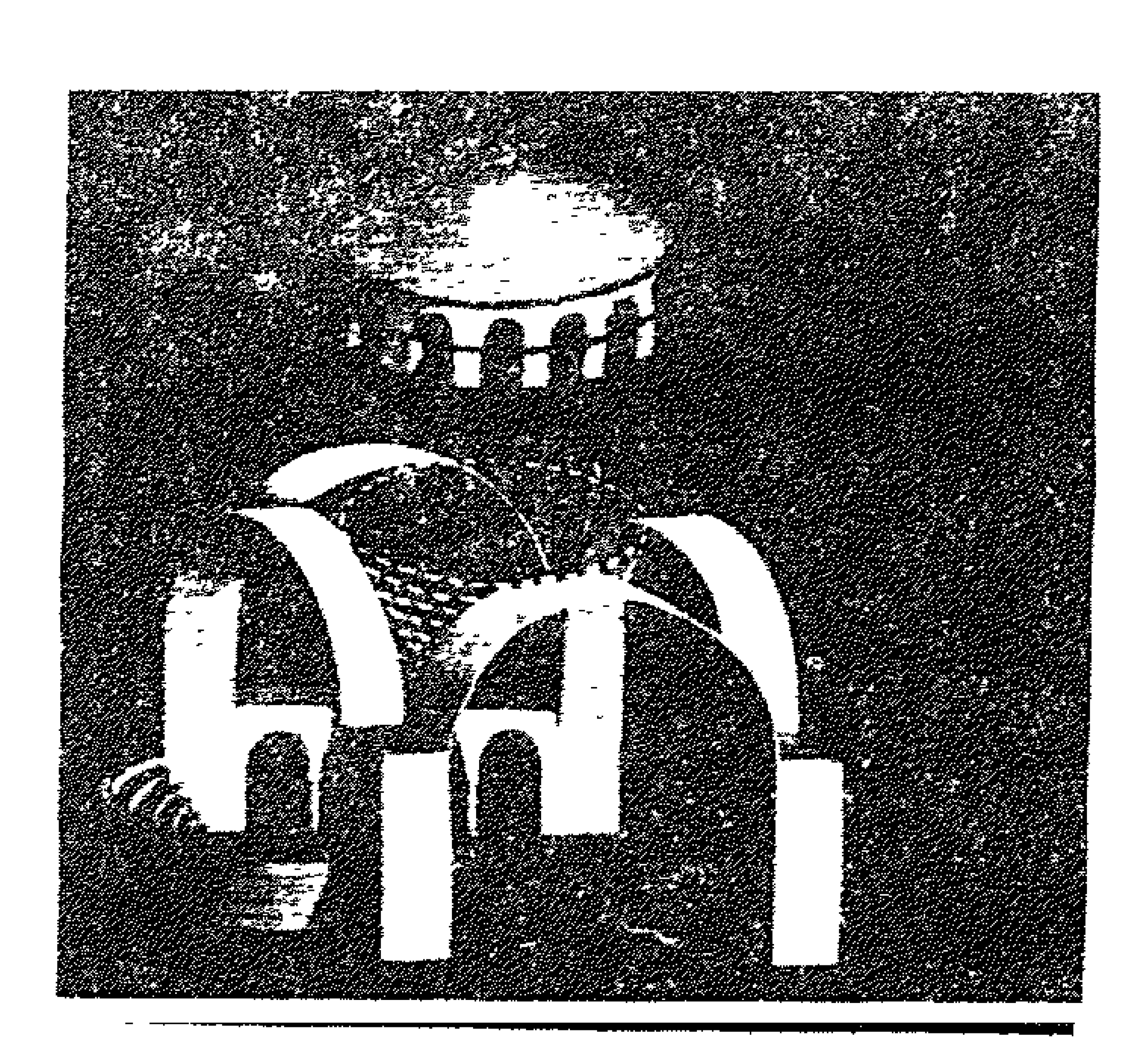
تعتبر كنيسة القديسة صوفيا (ش ٥١) أعظم العمائر التى شيدها الإمبراطور جستينيان عند تعميره للعاصمة . وكانت تعد فى تلك الفترة مفخرة العمارة البيزنطية كما أن لها أهمية خاصة فى تاريخ العمارة للابتكارات التى ظهرت بها . ولقد ذاع صيتها وعرفت أسماء مصمميها الإغريق[٢] . وقد تحولت إلى مسجد بعد الفتح العثمانى وأضيف إليها أربعة مآذن كما غطيت زخارف الفسيفساء المصورة بطبقة من الجير الأبيض .

يتضح من دراسة كنيسة أياصوفيا أن تصميمها يجمع بين عناصر مختلفة . فيظهر بها المحور الطولى المعروف فى الكنائس البازيليكية ، إلا أن الجزء المتوسط من الرواق

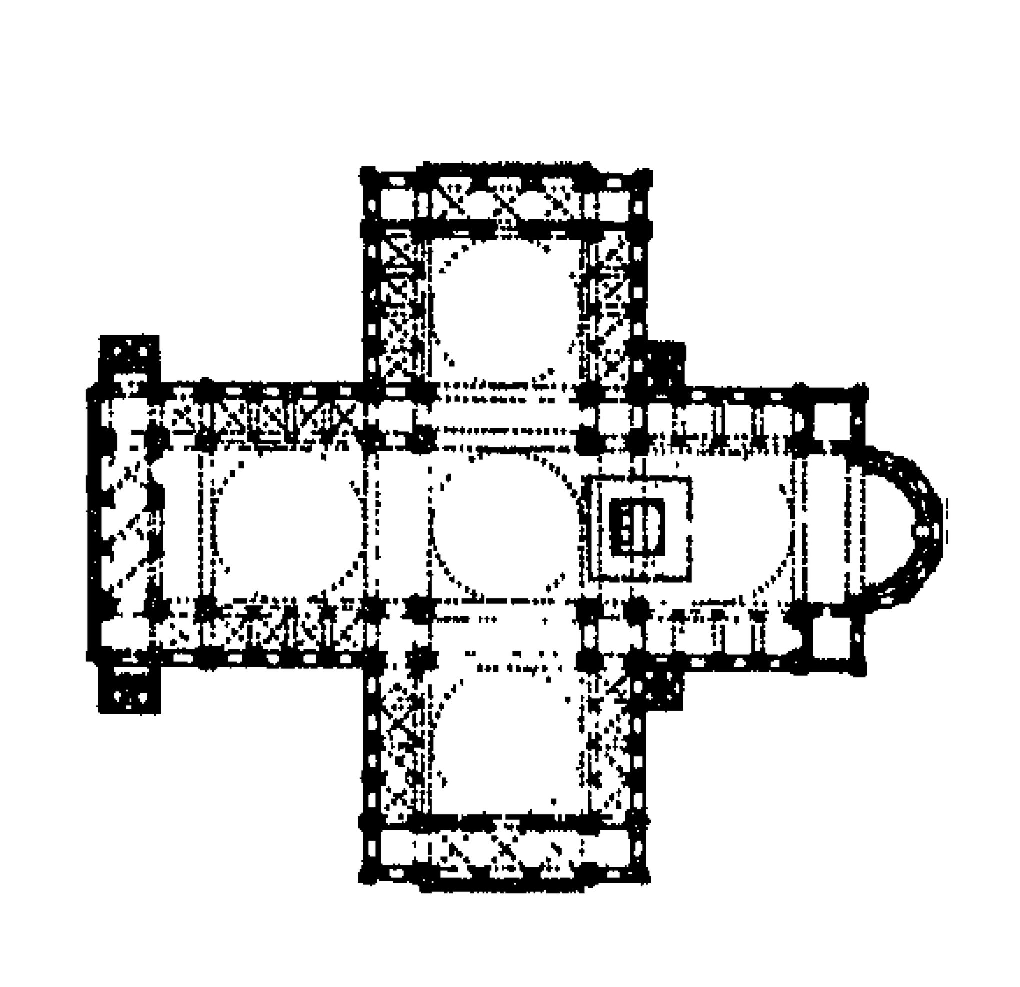
(١) هدم الأتراك هذه الكنيسة وشيدوا مسجداً مكانها .

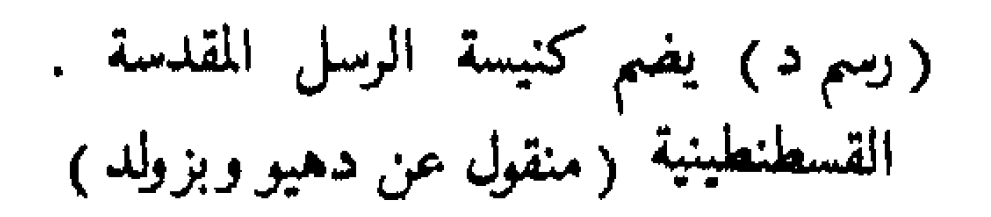
(٢) عرف من بينهم أنثيمسنوس وإيزيدورس .

البازيليكى يتوسطه مربع يعلوه قبة ضخمة . وتغطى بقية الإيوان أنصاف دوائر من كل جانب وبذلك يأخذ الرواق الشكل البيضاوى . ويتصل بأنصاف الدوائر حنيتان مستديرتان فى الأركان . وتعتمد القبة الرئيسية على أربعة عقود تنقل ثقل الدائرة إلى الدعائم المقامة فى أركان المربع (رسم هـ) وبذلك لا يكون للجدران الموجودة أسفل العقود أى دور وظيفى ، ويربط العقود الأربعة محيط دائرة القبة وذلك عن طريق حنايا الأركان المثلثية . ولقد استخدمت هذه الحنايا فى تحويل المربع إلى دائرة . وينفذ النور إلى الداخل عن طريق نوافذ كثيرة فى الأسطوانة التى تحمل القبة .



(رسم هـ) تحويل المربع إلى دائرة فى كنيسة القديسة صوفيا





(رسم د) يضم كنيسة الرسل المقدسة . القسطنطينية (منقول عن دهيو وبزولد)

وهذا الطراز الذى توصل إليه المهندسون البيزنطيون ، البانثيون يسمح بتشييد مبنى عال أكثر إضاءة (ش ٥٢) من المبانى القديمة ذات القبة مثل البانثيون الرومانى وكنيستى القديسة كونستانزا وسان فيتال ، حيث كانت القبة تعلو مساحة مربعة أو متعددة الأضلاع . وفكرة تشييد قبة كبيرة متسعة على مربع كانت من ابتكار الفرس ، إلا أن العقود التى تحمل القبة وأنصاف القباب المتصلة بها يغلب أن يكون من ابتكارات فن المعمار البيزنطى . ولقد ورث البيزنطيون بطبيعة الحال كثيراً من أساليب العمارة والهندسة الرومانية ، كما إقتبسوا كثيراً من العناصر الفارسية وأيضاً من العمارة السورية .

لم يظهر نظير لهذه الكنيسة فى العالم البيزنطى بعد ذلك ، سواء كان ذلك فى الاتساع أو فى الروعة ، وانعكس تأثيرها على عدد من الكنائس التى شيدت بعد ذلك مثل كنيسة القديسة صوفيا بسالونيكا . واستمر ظهور هذا التأثير فى تركيا حتى القرنين الخامس عشر والسادس عشر ، حيث نشاهد ذلك فى المساجد العثمانية التى شيدها الأتراك فى القسطنطينية .

ومن أهم الطرز البيزنطية التى نشأت فى عهد جستنيان الكنيسة المشيدة على تصميم يتساوى فيه المحور الطولى مع المحور العرضى أى على هيئة الصليب الإغريقى . وتتعدد القباب فوق هذا النوع من الكنائس . فبالإضافة إلى القبة التى تغطى مركز تقاطع أضلاع الصليب ، تظهر كما ذكرنا قباب فوق أضلاع الصليب الأربعة . وأشهر كنيسة من هذا الطراز كنيسة الرسل المقدسين (ش د) . ولقد انتقل هذا النموذج ذو القباب الخمسة إلى كنائس كثيرة أشهرها كنيسة القديس مرقص المشيدة عام (١٠٦٣ - ١٠٩٥) بالبندقية (ش ٥٣) .

ولا تظهر تصميمات جديدة فى عمارة الكنائس البيزنطية منذ القرن العاشر حتى نهاية العصر البيزنطى . واقتصر ما وجد على بعض تعديلات فى البناء وبصفة خاصة فى الزخارف . كما زاد ارتفاع الكنيسة بزيادة ارتفاع القبة .

انتقل تأثير العمارة البيزنطية إلى الإمبراطورية الرومانية الغربية فى القرن السادس ويظهر ذلك الطراز البيزنطى فى كنائس مدينة رافينا التى اتخذها بعض الأباطرة الرومان [١] عاصمة للإمبراطورية الغربية بدلا من روما . ويتضح ذلك فى كنيسة القديس أبولينار نوفو[٢] ، وفى كنيسة القديس فيتال التى أتم تشييدها الإمبراطور جستينيان فى عام ٥٦٥ فى أواخر حكمه .

كانت الكنائس البيزنطية تشيد عادة بالآجر فى أغلب مناطق الإمبراطورية

---

(١) اتخذ الإمبراطور أونوريو رافينا عاصمة للإمبراطورية بدلا من روما فى عام ٤٠٢ ، كما كانت عاصمة دولة القوط ٤٩٢ - ٥٣٩ فى عهد الملك تيود وريكو.

(٢) أقام تيود وريكو كنيسة بجوار قصره بمدينة رافينا عام ٥١٠ أطلق عليها المسيحيون الكاثوليك اسم سان ماريتو ذات السقف الذهبى .

(القسطنطينية – شبه جزيرة البلقان – بلاد اليونان – بلاد النهرين – مصر) ، على حين استخدم الحجر فى مناطق قليلة (سوريا – بلاد الأناضول –كريت – قبرص) .
ولم يهتم البيزنطيون بزخرفة الكنائس من الخارج . إلا أنهم وجهوا عناية خاصة بزخرفها من الداخل بحشوات زخرفية من الرخام والفسيفساء .

وظهرت أهمية العمود الوظيفية فى العمارة البيزنطية وكان يستخدم بكثرة فى عهد الرومان الوثنى فى الأغراض الزخرفية ، واستبدل العمود فى بعض الحالات بدعائم مربعة . واستمد البيزنطيون أشكال تيجان أعمدتهم من بعض الطرز الرومانية بعد أن أدخلوا عليها أشكالا مبتكرة .

وكانت زخارف تيجان الكنائس الغربية التى ترجع إلى العصر البيزنطى (ش ٥٤) متأثرة بنماذج من كنيسة سانتا صوفيا (ش ٥٥) . ويظهر فى بعض الأعمدة تاج مكون من جزءين ، الجزء الأسفل وهو التاج الأصلى يظهر به زخارف منحوتة نحتا دقيقاً ، والجزء العلوى وهو تاج إضافى تختلف زخارفه عن زخارف التاج الأصلى ، وتزين نقوشه غالباً الصليب أوحيوانات رمزية .

النحت على الحجر :

نلاحظ فى دراسة الفن البيزنطى أن النحت الكامل لا وجود له فى الكنائس البيزنطية ، ويرجع ذلك للتعليمات الدينية التى نادت بها القسطنطينية[١] التى حرمت استعمال التماثيل الآدمية فى الكنائس وإحلال الصور محلها .

واقتصر فن النحت البيزنطى على أشكال مصورة بارزة من الأسطح الحجرية . وتظهر هذه النقوش البارزة على ألواح التوابيت الحجرية (ش ٥٦) وتشتمل عناصرها على أشخاص وحيوانات وطيور ونباتات حية ورموز مسيحية . واستخدم هذا الفن على نطاق واسع فى الكنائس . ومن أجمل الحشوات الحجرية المنقوشة بزخارف نباتية

---

(١) أصدر الإمبراطور ليون الأرمنى قانوناً عام ٧٥٢ يحرم على الفنانين عمل أورسم صور آدمية ونفى بطريك القسطنطينية الذى كان ينادى بأن الرؤية تساعد على الإيمان أكثر من السمع . ونلاحظ أن روما استخدمت التماثيل فى الكنائس وبخاصة فى العصرين الرومانسكى والقوطى .

ما وجد على ألواح المنابر والمذابح وتيجان الأعمدة . ولقد انتقل أسلوب زخرفة الأسطح الحجرية عن طريق نحتها إلى أنحاء الإمبراطورية . وتشهد بذلك النقوش الموجودة على كنيسة ببلدة اختمر بأرمينيا (ش ٥٧) التى ترجع إلى الفترة ٩١٥ – ٩٢١ .

التصوير :

عبر الرومان عن موضوعاتهم المسيحية المصورة بعدة أساليب : الفسيفساء ، التصوير الجدارى ، الأيقونة والمخطوطات .

الفسيفساء :

تعتبر الفسيفساء من أهم مظاهر الفن المسيحى التى ازدهرت فى العصر البيزنطى . وكانت الفسيفساء أهم الفنون المكملة للمعمار فى الكنائس البيزنطية ، حيث غطيت بها الأرضيات والقباب والعقود والجدران . وبالرغم من أن هذا الفن كان معروفاً فى العصر الإغريقى الرومانى ، إلا أن أهميته زادت عندما استخدمه البيزنطيون بكثرة فى عرض الموضوعات الدينية فى داخل الكنائس كوسيلة إعلامية .

وحلت الموضوعات الدينية المستمدة من الكتب المقدسة محل الموضوعات الدنيوية التى كانت مستخدمة من قبل فى القصور لتمجيد الحكام وتسجيل هواياتهم المفضلة . ولقد وجدت نماذج لهذا الفن الدنيوى فى أوائل العصر البيزنطى ، حيث عثر على أرضيات من الفسيفساء فى قصر الإمبراطور بالقسطنطينية (ش ٥٨) ترجع إلى القرن السادس ، وفى بعض قصور أنطاقية . إلا أن هذه النماذج المشتقة من أمثلة هيليسنتية لا تدخل تحت نطاق الفنون البيزنطية المسيحية .

وتتلخص طريقة تنفيذ الفسيفساء فى عمل تصميمات زخرفية من مكعبات صغيرة منتظمة من الزجاج أو الرخام الملون . تثبت فوق عجينة من الجص أو الأسمنت تغطى السطح . وبعد ما يجف الأسمنت وتتماسك القطع يظهر التصميم المطلوب . وكانت خلفية التصميمات تزخرف أحيانا بالفسيفساء الذهبية . وأغلب فسيفساء الأرضيات والجدران توضع مكعباتها أفقية . فى حين إن مكعبات القباب يظهر بها

نوع من البروز. واختلفت الفسيفساء التى تغطى الأرضيات عن فسيفساء الجدران فى الخامة وفى الموضوع . فكان يظهر بها موضوعات أسطورية وزخارف هندسية كما لم يستخدم فيها الزجاج .

وللأسف دمر كبير من فسيفساء القرن السادس[1] التى وجدت بالقسطنطينية . كما أن كنيسة الحواريين القديسين الموجودة بالقسطنطينية كان بها صور من حياة المسيح ، كذلك وجدت فسيفساء مصورة فى كنيستى القديس سرجيوس والقديس أسطفان بغزة .

ومن أهم نماذج الفسيفساء التى وجدت فى الكنائس الشرقية فسيفساء ترجع إلى القرنين السادس والسابع وجدت فى كنيسة القديس ديميترى بسالونيكا ، ولقد كشف عنها عام ١٩٠٧[2] . وتظهر فى الزخارف الباقية صورة لمؤسس الكنيسة واقفاً مع القديس (ش ٥٩) ويلاحظ فى تكوين هذه الصورة الجفاف وجمود الحركة ورسم الأشخاص فى وضع المواجهة بوجوه شاخصة ، وهذا ما يميز النمط البيزنطى . وتعتبر هذه الصور . من القطع البيزنطية الجميلة التى صممت بأسلوب قصصى تاريخى ، ولاتقل فى تنفيذها عن زخارف كنيسة القديس أبوليناربوفو التى تعتبر من أجمل نماذج هذا الفن .

انتشر تأثير طراز القسطنطينية فى فسيفساء كنائس الغرب ، ويظهر ذلك بصفة خاصة فى مدينة رافينا فى كنيستى سان أبوليناد نوفو وسان فيتال التى كان الإمبراطور جستنيان أمر بزخرفتهما . وللكنيسة الأولى أهمية فنية كبيرة حيث توضح صورها تطور فن الفسيفساء فى عهدين متتاليين ، العهد المسيحى الأول (٥٢٠ – ٥٣٠) وتتميز فسيفساؤه بالحيوية والعناية بالتفاصيل والدقة ، وهذا أسلوب رومانى ، والعهد البيزنطى الذى ظهر فى عهد جستنيان ، وتتميز صوره بالجمود والوجوه الشاخصة ، وعدم إظهار أجزاء من الجسم برغم اهتمام الفنان بالتأثير الزخرفى .

ويظهر الأسلوب الأول فى الصور الموجودة بأعلى الجدران فى الجزء الذى يعلو النوافذ (ش ٦٠) ، (ش ٦١) ، على حين نرى الأسلوب الثانى فى الإفريز السفلى

---

(١) كان ذلك فى فترة تحريم استخدام الصورة كوسيلة فى الإرشاد الدينى ، أوقد يكون أثر الغزو العثمانى .

(٢) دمرت الكنيسة فى عام ١٩١٧ .

الذى يصور صفًا من خمس وعشرين قديساً من الشهداء فى زى أبيض يحمل كل منهم تاجاً ، (ش ٦١) ونرى فى نهاية هذا الموكب المسيح يجلس على العرش بين أربعة ملائكة .

وتغطى زخارف الفسيفساء جميع جدران كنيسة سان فيتال (ش ٦٢) ويظهر الطراز البيزنطى أكثر نقاء فى هذه الكنيسة . ويتضح ذلك فى لوحتين مشهورتين : الأولى تصور الإمبراطور جوستنيان فى ثيابه الرسمية محاطاً برجال الكنيسة وحرسه الخاص ، والثانية تصور الإمبراطورة « تيودورا » فى ثياب فاخرة بين سيدات البلاط [لوحة ملونة رقم ٢] ويلاحظ ظهور الطابع الشرقى فى هذه اللوحات ، فأسلوب التنفيذ تعبيرى أكثر منه مثاليًا ، حيث يبدى المصور عناية بنقل معالم شخصية الأفراد ، كما أن الألوان المستخدمة قوية . ونلاحظ التأثير الفارسى فى زخارف النسيج الفاخر ، وفى تاج الإمبراطورة المرصع بالجواهر ، وفى أسلوب رسم الأشخاص فى وضع المواجهة .

سادت فترة هدوء فى فن التصوير فى الفترة التى حرمت فيها القسطنطينية رسم الأشخاص ، إلا أن فن الفسيفساء يزدهر مرة ثانية منذ أواخر القرن التاسع حيث يقل حجم القطع . وتظهر فى كنيسة سانتا صوفيا بالقسطنطينية زخارف جميلة تعتبر من أرقى أنــواع هذا الفن ، وترجع صورها إلى عصور مختلفة [١] وتتضح دقة هذه الصناعة فى لوحة ترجع إلى القرن الثانى عشر (ش ٦٣) . وتوضح لوحات كنيسة شورا (١٣١٥) التى تحولت إلى جامع بالقسطنطينية ازدهار فن الفسيفساء حتى آخر عصور الإمبراطورية البيزنطية .

انتشر فن الفسيفساء البيزنطى فى خارج أنحاء الإمبراطورية حيث استقدم الحكام الصناع الإغريق من الإمبراطورية البيزنطية . وتظهر أمثلة لذلك فى كييف بروسيا فى كنيستى القديس ميخائيل (١١٠٨) والقديسة صوفيا (١٠٤٣) ، وفى كنيسة باليرمو بصقلية (١١٤٣) . ويظهر الطراز البيزنطى أيضاً فى نماذج وجدت فى مبانى دنيوية فى باليرمو ترجع إلى عام ١١٧٠ الأولى فى القصر الملكى (ش ٦٤) والثانية فى قصر زيزا .

---

(١) غطى العثمانيون هذه الصورة بطبقة جصية عام ١٤٥٣ وبدئ فى نزعها عام ١٩٣٢ برعاية المعهد البيزنطى بأمريكا . وكشف عن ثمانى لوحات متفرقة من عهود مختلفة .

ولا يمكن أن ننتهى من الكلام عن الفسيفساء بدون ذكر فسيفساء كنيسة سان ماركو فى البندقية التى تم تنفيذ زخارفها فى فترات متفرقة .

التصوير الجدارى :

يرتبط فن التصوير الجدارى ارتباطاً وثيقاً بفن الفسيفساء سواء كان ذلك فى الموضوع أم الأسلوب أم الألوان . وغالباً كانت زخارف الفسيفساء ترسم وتلون فى أول الأمر قبل أن يثبت عليها قطع الفسيفساء ، وربما قام بالعمليتين الأشخاص أنفسهم . وكان التصوير يرسم بالألوان على الجدران المغطاة بالجص أوعلى لوحة . ولم يستخدمه الرومان كثيراً وفضلوا عليه الفسيفساء . وأحسن ما عثر عليه فى الإمبراطورية الرومانية الشرقية . كان فى مصر وسنراه فى الفن القبطى كما وجد فى غزة ، وكان أول ظهور للتصوير الجدارى المسيحى فى مخابئ المسيحيين الأوائل المشيدة تحت سطح الأرض فى الفترة الوثنية ، كما أن الموضوعات كانت بطبيعة الحال تقتصر على القصص والرموز المسيحية كالراعى الصالح (ش ٦٥) . . إلخ وعلى الشخصيات المقدسة كالمسيح والعذراء .

الأيقونة أو اللوحة المصورة :

يعتبر هذا الفن أكثر فنون التصوير التى يظهر بها الطراز البيزنطى . وقد تعددت مراكز تصوير الأيقونات فى العالم الرومانى البيزنطى وتميز كل منها بطراز خاص وكان أسلوبها مستمداً من مصر من مدرسة تصوير الفيوم . ولقد ظهر بطبيعة الحال هذا النوع من الفنون فى العاصمة بالرغم من عدم العثور على أمثلة منه بها . وأجود الأمثلة الأولى كانت من إنتاج مصر (ش ٦٦) إلا أن هذا الفن ازدهر بعد ذلك فى القسطنطينية فى القرن ١٢ (ش ٦٧) كما أن هذا الفن ازدهر بصفة خاصة فى روسيا فى القرن الخامس عشر .

كان هذا النوع من التصوير يرسم بالتمبرا [١] أو مواد مشابهة على أرضية مجهزة

---

(١) التمبرا وما شابها تطلق على الأعمال التى نفذت بألوان ممتزجة بنسب معينة من صفار البيض (مع بياض البيض أو بدونه) وكانت فى العصور الوسطى (هى الخامة) الأكثر استعمالا على الألواح الخشبية .

على القماش الذى كان يلصق بدوره على لوحة خشبية . وفكرة الرسم على القماش مستمدة من اللفائف التى تحيط بالمومياء فى صور الفيوم . وكان هذا النوع من التصوير يرسم فى أول الأمر على مساحات كبيرة فى الكنيسة ، ثم بدئ فى عمل أيقونات صغيرة توضع فى المنزل فى فترة تحريم التصوير ، وربما تم رسم كثير من الأيقونات الموجودة فى المتاحف فى تلك الفترة . وأشهر الأيقونات البيزنطية وجدت بمتحفى بنا كى والبيزنطى بأثينا . ومتحفى بوشكن وترتياكوف بموسكو . كما أن أكبر مجموعة من هذه الأيقونات توجد فى دير سان كاترين بسيناء .

تصوير المخطوطات :

من المرجح أن الموضوعات الدينية التى وجدت فى صور فسيفساء الكنائس البيزنطية كان أهم مصادرها صور الكتب الدينية التى كتبت فى أوائل العهود المسيحية . ولهذه المخطوطات المصورة الأولى أهمية كبيرة فى دراسة تطور فن التصوير البيزنطى وذلك لأنها كانت من الفنون التى حفظت لدينا أكثر من فن التصوير الجدارى أو الرسم على الألواح .

وكانت المخطوطات الأولى فى العالم الإغريقى الرومانى تنقسم إلى نوعين : اللفافة المطوية ومصدرها مصر ومنها انتقلت إلى العالم الكلاسيكى ، والكتاب المجلد الذى حل تدريجيًّا محل النوع الأول من القرن الأول حتى القرن الرابع . وكانت صور المخطوطات الأولى سواء فى المخطوطات المسيحية أو اليهودية أو الوثنية يغلب على أسلوبها طراز التصوير الهيلينستى الرومانى الذى عرف فى الإسكندرية وفى بومبى .

ويظهر فى صور مخطوطات العصر البيزنطى المسيحية والمدنية أسلوبان مختلفان متعارضان تداخلا واندمجا فى آخر الأمر : الأول أسلوب تصويرى عرف فى مصر وفى العالم الكلاسيكى ،ونجده فى أقدم أنجيل مسيحى مصور من أوائل القرن السادس فى المكتبة الأهلية بفيينا (ش ٦٨) ، وفى مخطوط « ديوسكريدس » الدنيوى الذى يبحث فى « خواص الطبيعة » ومؤرخ عام ٥٢٤، أيضاً بالمكتبة نفسها . والثانى أسلوب متأثر بالتقاليد الشرقية الآسيوية السورية التى تهتم بالزخارف الفنية والأسلوب الواقعى ،

ونجده فى مخطوط « روسانيس » الذى يرجع إلى القرن السادس وموجود بمكتبة روسانو (ش ٦٩) . ولقد تداخلت هذه التأثيرات المختلفة فى صور المخطوط الواحد فى بعض الأحيان مما يدل على اشتراك أكثر من فنان فى تصويرها .

تقل المخطوطات المصورة فى فترة تحريم التصوير التى انتهيت عام ٨٤٢ . وتظهر من العصر الذهبى الثانى للفن البيزنطى مخطوطات تتميز بالدقة ، كما نلاحظ فى صورها الجمع بين التأثيرات السابقة . فمن الكتب الدنيوية المشهورة التى يظهر فيها تأثيرات سورية آسيوية ، مخطوط يصف رحلات شخص يدعى كوزماس أنديكو بليوستوس يرجع إلى القرن التاسع وموجود حاليًا بمتحف الفاتيكان (ش ٧٠) . كما نجد بمخطوط جوشيا الذى يرجع إلى القرن العاشر والموجود بمتحف الفاتيكان (ش ٧١) التأثر بفنون الماضى الكلاسيكية التى شجع على الرجوع إليها الإمبراطور قسطنطين .

الفنون الصغيرة :

العاج :

ازدهرت صناعة المشغولات العاجية فى بعض مراكز الإمبراطورية (القسطنطينية ، الإسكندرية ، أنطاكية) واستخدم بكثرة فى صناعة الصناديق والعلب والأثاث ، وفى عمل لوحات دينية توضع فى الكنائس تتكون من جزئين أو ثلاثة أجزاء أطلق عليها الغربيون Dipthch ، Triptych . ومن أشهر النماذج التى تدل على الدقة التى وصل إليها فن نحت العاج البيزنطى ، لوحة تصور الصعود ترجع إلى القرن الخامس موجودة بمتحف مدينة ميونخ (ش ٧٢) .

إلا أن أحسن الأمثلة التى تدل على مهارة الصانع ، هو كرسى أسقف رافينا الذى يرجع تاريخ صنعه إلى الفترة ٥٤٥ – ٥٥٦ (ش ٧٣) . وتعتبر هذه القطعة من أدق أمثلة النحت القليل البروز فى العصر البيزنطى . ويظهر فى اللوحات (ش ٧٣ ا) التى يتكون منها الكرسى زخارف آدمية وحيوانية ونباتية . ولقد ثار جدل حول المركز الذى

ينسب إليه صناعة الكرسى فنسب أولاً إلى الإسكندرية ثم إلى أنطاكية ويعتقد بعض الباحثين أن الألواح التى يتكون منها الكرسى قد نقشت قبل عمله بنصف قرن .

المعادن :

سيطرت الموضوعات الدينية بطبيعة الحال على الزخارف المنقوشة على المعادن فى العصر البيزنطى (ش ٧٤) وتميزت زخارف الكؤوس والأوانى والشمعدانات والصلبان ببروز خفيف على السطح . وأقبل البيزنطيون على زخرفة المعادن بطبقة من الألوان المزججة التى عرفت بصناعة المينا . وكانت الألوان المستخدمة قبل القرن التاسع داكنة قليلة ، إلا أن هذه الألوان تغيرت بعد القرن العاشر (ش ٧٥) . وكان هذا الفن معروفاً فى الشرق الأوسط عندما تكونت الدولة البيزنطية ووجدت نماذج بديعة منه فى مصر وإيران . واستمد البيزنطيون طريقة هذه الصناعة من الساسانيين .

المنسوجات :

كانت منسوجات العصور البيزنطية الأولى تتكون من الكتان المزخرف بالخيوط الصوفية ويرجع الفضل فى اكتشاف سر إنتاج الحرير الذى كانت تحتفظ به الصين إلى البيزنطيين الذين عرفوه فى عام ٥٥٢ [١] ، وكان الحرير الذى يستخدم فى الإمبراطورية الرومانية وبلاد الإغريق وفارس يستورد قبل ذلك من الصين .

وبعد معرفة سر إنتاج الحرير أقام الإمبراطور جستنيان مصنعاً للمنساجات الحريرية فى عام ٥٥٤ فى العاصمة القسطنطينية . وانفردت مصانع العاصمة باستخدام اللون القرمزى الإمبراطورى فلم يظهر هذا اللون فى المراكز الأخرى (سوريا – مصر) . وقد استمر هذان المركزان يزودان الإمبراطورية البيزنطية بالمنسوجات بعد فتح العرب لها .

ولقد لعبت فارس دوراً كبيراً فى مد المناسج البيزنطية بزخارف ساسانية وذلك عن

---

(١) ذكر المؤرخون أن أسرار صناعة الحرير نقلها راهبان إلى الإمبراطور جستينيان .

طريق المنسوجات الحريرية التى كانت تصدر إلى بيزنطية كذلك ظهرت فى زخارف المنسوجات البيزنطية موضوعات مسيحية وفارسية . وتظهر الموضوعات المسيحية(الوحى – الصعود – ولادة المسيح) فى قطعة حريرية بمتحف كنيسة الفاتيكان بروما (ش ٧٦) وتظهر الوحدات مكررة داخل جامات مستديرة ألوانها أخضر وبنى وذهبى وأبيض على خلفية ذهبية .

وبالرغم من أن هذه القطعة نسبت أحياناً إلى مناهج الإسكندرية ، إلا أن موضوعها الذى تميز به الفن البيزنطى يرجح نسبتها إلى المناسج الإمبراطورية فى القسطنطينية . ويظهر التأثير الشرقى فى زخارف العرش الذى تجلس عليه العذراء . وتنسب فكرة وضع الصورة فى إطار أحياناً إلى الفن الهيلنستى وأحياناً إلى الفن الفارسى الساسانى .

وقد انتشرت الزخارف الموضوعة فى دوائر فى منسوجات العصر البيزنطى ، كما ظهرت داخل هذه الدوائر عناصر زخرفية متعددة تسربت من الشرق (فارس – سوريا – مصر) إلى القسطنطينية ، ويتضح ذلك فى القطعة الحريرية الموجودة فى متحف كلونى بباريس (٣) والتى ترجع إلى القرن ٨ – ٩ (ش ٧٧) .

كما نجد فى القطعة الموجودة فى كتدرائية سانس المزخرفة بوحدة رجل بين أسدين (ش ٧٨) أن الفنـان المسيحى قد حول الوحدة البابلية القديمة إلى موضوع دينى يصور النبى دانيال والأسود . ونلاحظ أن القطعة المزخرفة بوحدة مستمدة من حيوان « السمرج » الخرافى الموجودة فى متحف فيكتوريا والبرت (ش ٧٩) هى وحدة ساسانية وجدت فى زخارف زى الملك خسرو المنقوشة على صخور تاكى بستان بإيران . (ش١٤١)

---

(١) توجد قطعة أخرى مماثلة فى كتدرائية آخن بألمانيا .

الفصل الثانى

مصر

الفن القبطى

تمهيد تاريخى :

صارت مصر ولاية رومانية بعد انتصار اكتافيوس على أنطونيو عام ٣٠ ق.م. وعند ظهور المسيحية فى عهد الإمبراطور نيرون ، بدأ المصريون فى اعتناق الدين الجديد خفية ، وانتشرت المسيحية فى الإسكندرية فى القرن الثانى الميلادى ، إلا أن المدينة أصابها تدمير عندما أمر الإمبراطور تراجان بكبح ثورة اليهود . ولقد نهبت المدينة وخربت مرة ثانية فى عهد الإمبراطور كركالا (٢١١ – ٢١٧ م) الذى أراد الانتقام من المؤمنين بالدين الجديد ، وعذب المسيحيون مرة ثانية فى عهد الإمبراطور دسيوس .

استولت زينوبيا ملكة تدمر على العاصمة الإسكندرية فى عام ٢٦٩ ، إلا أن ماركوس أوريليوس (٢٧٠ – ٢٧٥) تمكن من طردها عام ٢٧٣ وانتقم من المدينة التى لم تقاومها. وزاد الاضطهاد والتعذيب فى فترة حكم الإمبراطور دقلديانوس ، مما جعل الأقباط يبدأون تقويمهم المسيحى من سنة ٢٨٤م وهو العام الذى اعتلى فيه الإمبراطور عرش الإمبراطورية .

وبعد الاعتراف بالكنيسة المسيحية فى الفترة ٣١٢ – ٣١٣م ، احتلت الإسكندرية مركزاً مرموقاً فى مجلس الكنائس . كما مارس المصريون الدين جهاراً بعد أن اعتنق الإمبراطور قسطنطين المسيحية . وقد اعتبر الدين المسيحى دين الدولة الرسمى فى عهد الإمبراطور ثيودوسيوس الأول ، وصارت مصر بعد وفاته وتقسيم الإمبراطورية بين أولاده تابعة للإمبراطورية الرومانية الشرقية .

وأغلقت المراكز الوثنية التى مازالت باقية فى عهد جستنيان ، وبعد أن إنفصلت الكنيسة الغربية عن كنيسة القسطنطينية فى القرن الخامس الميلادى كان لمصر رأى

فى تعيين البطارقة،فلما رفضت تعيين ثيود وسيوس بطريقاً لها أمرت الإمبراطورة تيودورا بحرق جزء من الإسكندرية عقاباً لأهلها.وصارت مصر القديمة بعد ذلك أهم مراكز لمصر المسيحية .

وكان من نتيجة الحروب القائمة بين الدولة البيزنطية والدولة الساسانية الفارسية أن استولى الساسانيون على مصر فى عام ٦١٩م إلا أنّ هرقل تمكن من طردهم منها بعد فترة وجيزة ، وتخلل فترة حكمه صراع دينى بينه وبين رجال الكنيسة القبطية مما دفع المصريين إلى الترحيب بعمرو بن العاص عندما فتح مصر فى عام ٦٤١م .

عندما انتشرت المسيحية فى أنحاء الإمبراطورية الرومانية ، ظهرت طرز فنية مسيحية محلية معدلة بعض الشئ عن الفن البيزنطى الذى كان يسود الشرق الأوسط . ومن أهم هذه الطرز المسيحية أسلوب فنى نشأ فى مصر وتأثر بالتقاليد الشرقية والمحلية وانعزل عن الحضارة الهيلينستية التى كان يمثلها الحاكم المستعمر ، ويعرف هذا الطراز بالفن القبطى .

والفن القبطى هو الفن الأول فى الشرق الأوسط الذى كان من إنتاج الشعب ولم توجهه الدولة . ولقد أنتجه مسيحيو مصر منذ الفترة التى اعترف فيها بالكنيسة عام ٣١٣م ، واستمر لفترة بعد الفتح العربى . ويدين الفن القبطى فى مراحله الأولى للفن الرومانى الهيلينستى الذى انتشر فى الشرق الأوسط وشمال أفريقيا فى أعقاب الفن المقدونى الهيلينستى .

وبمرور الزمن ، بدأ الفن البيزنطى فى مصر يأخذ سمات جديدة نتيجة لتأثره بالعناصر المحلية ، وقد تطور الفن القبطى وابتعد عن نفوذ فن الحاكم المستعمر ، وكون لنفسه طرازا مسيحيًّا محليًّا نابعاً من صميم الشعب القبطى . وتظهر فى الفن القبطى عناصر كثيرة من الفن الساسانى انتقلت إليه من فترة احتلال الساسان لمصر . ولقد ظهرت آثار هذا الفن المسيحى المصرى فى المراكز المسيحية مثل أهناسيا وفى أديرة سقارة وباويت وفى كنائس دندرة وفى مناسك سوهاج .

وكلمة قبط التى أطلقت على مسيحيى مصر ، هى كلمة عربية مشتقة من اسم مصر باللغة الإغريقية « إجبتوس » . وكانت هناك لغة قبطية تتكون حروفها من خليط

من حروف اللغة الديموطيقية والحروف الإغريقية ، واستمر استخدامها فى مصر لفترة بعد الفتح العربى .

العمارة :

تأسست أول كنيسة فى مصر على سواحل الاسكندرية فى عام ٦٨ م ودفن فيها القديس مرقص بعد إعدامه ، إلا أن هذه الكنائس الأولى أزيلت عن آخرها فى عهد الإمبراطور دقلديانوس .

نشطت حركة تشييد الأديرة والكنائس فى أنحاء القطر بعد أن صار الدين المسيحى دين الدولة الرسمى فى مصر . فشيد فى عهد الإمبراطور أركاديوس كنيسة للقديس مينا[١] فى حوالى ٣٥٠م فى صحراء مريوط بالقرب من الإسكندرية . كما شيد البطريرق ثيوفيلس كنيسة للقديس حنا فى مكان معبد سيرابيوم الذى أزاله . وكان تصميم هذه الكنائس على طراز الكنائس البازيليكية .

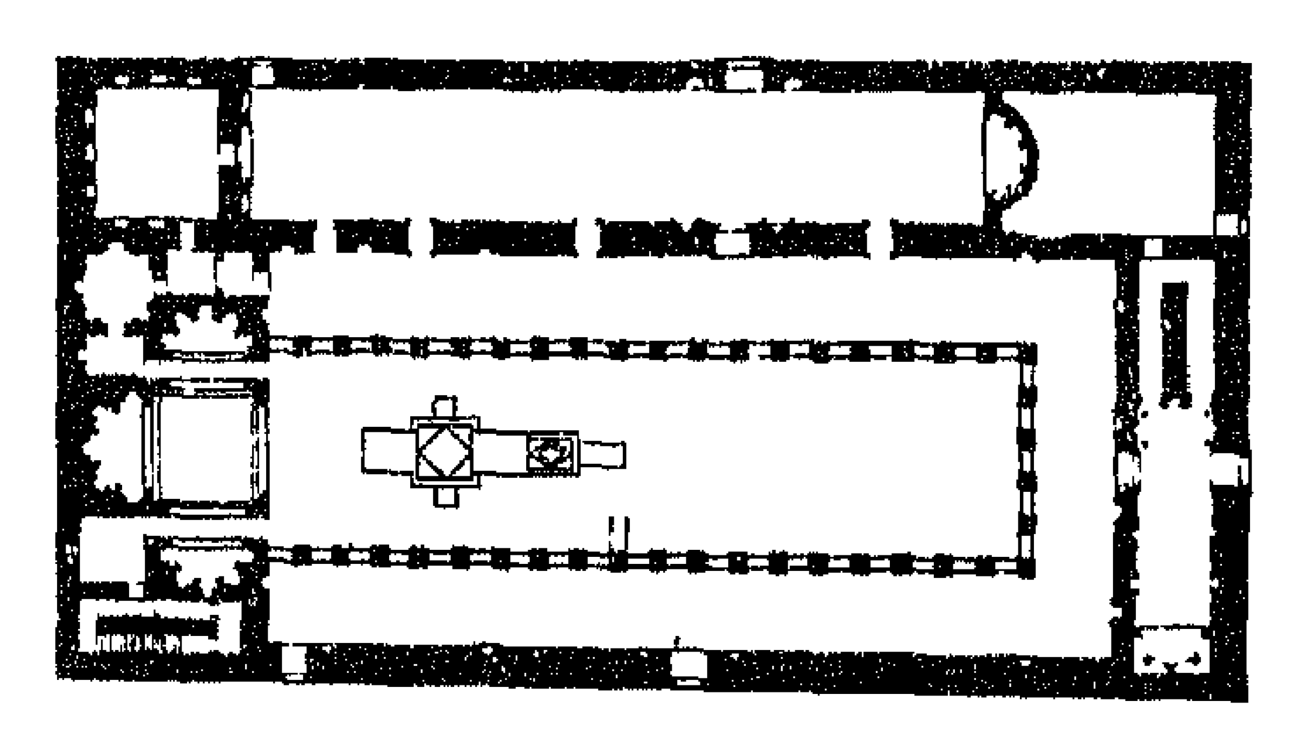
ويبدأ ظهور عمائر دينية ذات طابع قبطى فى الأديرة التى شيدت منذ منتصف القرن الخامس . وأقدم هذه الأديرة الدير الأبيض (رسم و) والدير الأحمر الموجودان بالقرب من مدينة سوهاج ، ويرجح أن تاريخ إنشائهما يرجع إلى حوالى عام ٤٤٠م ، كما يرجع تاريخ تشييد كنيسة دندرة إلى أواخر القرن الخامس . ومن المرجح أن دير أبا أبولو المشيد فى باويت ودير القديس أرميا بسقارة يرجعان إلى أواخر القرن الخامس أو أوائل القرن السادس .

ولقد شيد الأقباط عدداً من الكنائس فى مصر القديمة بعد ذلك ، أشهرها الكنيسة المعلقة ، كنيسة القديسين سرجيوس وباكوس[٢] ، كنيسة القديسة بربارة ، كنيسة أبو السيفين ، كنيسة العذراء . وقد شيدت الكنيسة المعلقة فى القرن الخامس فوق أجزاء

---

(١) كان القديس مينا ضابطاً بالجيش الرومانى واستشهد فى عام ٢٩٦ لإيمانه بالدين المسيحى . وعندما نقل ليدفن فى الاسكندرية برك الجمل الذى يحمل النعش فى مكان بصحراء مريوط فدفن هناك . ولما ظهرت بركته فى شفاء الأغنام التى كانت مريضة وشربت من العين الموجودة بالقرب من مدفنه ، بنى المصريون له كنيسة فى هذا الموقع

(٢) تنسب إلى قديسين من بلدة الرصافة بسوريا أعدمهما الرومان فى أول عام ٢٩٦ م .



(رسم و) يضم كنيسة الدير الأبيض ، سوهاج منقول عن « موندريه دى فيارد »

من حصن بابيلون الرومانى (١) . وكان هذا الحصن مشيداً فى عهد الإمبراطور أغسطس وأعيد بناؤه فى عهد الإمبراطور تراجان ووسع فى عصر الإمبراطور أركاديوس وعرف باسم قصر الشمعة أو قصر بابلون .

ويرجع تاريخ تشييد كنيسة ست بربارة إلى حوالى عام ٦٨٤م وقد أقيمت فى أول الأمر تكريماً للقديس حنا إلا أن اسمها تغير بعد أن نقل إليها رفات القديسة بربارة . ويطلق على كنيسة العذراء أحياناً اسم « الدامشيرية » (٢) وذكر المقريزى أنها هدمت فى عام ٧٨٥ وأعيد تشييدها فى عهد هارون الرشيد ٧٨٦ – ٨٠٩ . وتمتاز هذه الكنائس القبطية بما تحتوى عليه من منابر (٣) ومذابح مرمرية مزخرفة بحشوات منقوشة بوحدات نباتية وهندسية . كما تظهر مهارة الفنان القبطى فى الزخارف المنقوشة على الحواجز الخشبية (الأحجبة) الموجودة بالكنائس .

النحت على الحجر :

أجاد الفنان القبطى النحت على الحجر وزينه بنقوش ترمز إلى المسيحية أو بقصص

---

(١) يعتقد بعض الباحثين أنه ليس معقولا أن تشيد هذه الكنائس داخل الحصن الرومانى فى فترة حكم الرومان ، وأن تاريخ تشيد هذه الكنائس يرجع إلى العصر الاسلامى .

(٢) تنسب إلى قبطى من دمشير رمم هذه الكنيسة فى القرن ١٧ .

(٣) من أجمل المنابر منبر القديس أرميا .

دينية ، ويظهر فى الموضوعات المسيحية المبكرة المنقوشة على جدران المبانى الدينية (ش ٨٠)تأثير الفن الكلاسيكى الذى كان فى الإسكندرية فى آخر مراحله .

وينقسم الفن القبطى وفقاً لعناصره الزخرفية إلى ثلاث مراحل تبعاً للتطور الذى مر به : فترة رومانية متأثرة بالفن الهيلينستى وموضوعاته الوثنية ، وترجع آثارها إلى القرنين الرابع والخامس ، فترة مسيحية يظهر فى آثارها الرموز المسيحية جنباً إلى جنب مع بعض الموضوعات السابقة وترجع آثارها إلى القرنين الخامس والسادس ، فترة قبطية تتميز بفن مسيحى قبطى شعبى ويرجع آثارها إلى القرنين السادس والسابع . ولقد استمر ظهور بعض هذه العناصر القبطية لفترة بعد الفتح الإسلامى . أما الفترة التى تعرف باسم أهناس الأولى وتقع من أواخر القرن الثالث إلى أوائل القرن الرابع ، فتعرف بالفترة قبل الفن القبطى .

ويتضح من الموضوعات المنقوشة على الألواح الحجرية التى ترجع إلى القرن الخامس ، أن هذه الموضوعات مستمدة من الأساطير الإغريقية الوثينة ، مثل قصة ليدا والبجع (١) أو من شخصيات الآلهة الإغريقية مثل أفروديت وإيروس وهرقل ، أو من الشخصيات التى ترمز إلى النيل . ونلاحظ فى جدار عثر عليه فى أهناس منقوش بصورة أفروديت خارجة من الماء من صدفة مفتوحة (ش ٨١) أسلوب هيلينستى رقيق به حركة تميزت بها الآثار التى عثر عليها فى أهناسيا أقدم المراكز القبطية .

ولقد عثر فى مدينة أهناسيا(٢) على عقدين كانا فى الغالب فى كنيسة مسيحية ، ويدل أسلوب نحت الموضوعات الوثنية التى تميزت بها أهناسيا والموضوعات المسيحية على أنها كانت من عمل فنان واحد أو من إنتاج مركز واحد .

وتظهر الرموز المسيحية جنباً إلى جنب مع العناصر الوثنية فى مجموعة أخرى من الحشوات ترجع إلى النصف الثانى من القرن الخامس . فنرى فى جدار عثر عليه

(١) ذكر فى الأساطير الإغريقية أن زيوس كبير الآلهة الإغريقية كان يتردد على ليدا زوجة تينداروس ملك إسبرطه متخفياً على هيئة بجعة .

(٢) عثر الأستاذ ا . نافل على هذه الآثار فى مدينة أهناسيا بالوجه القبلى عام ١٨٩٠ – ٩١ .

فى سوهاج (ش ٨٢) طفلين مقتبسين من الإله إيروس [١] ، يحملان صليباً داخل إكليل ، ويحيط بهما تفريعات من نبات الأكنتس . ونلاحظ فى زخارف هذه المجموعة أن الوحدات الآدمية جامدة قليلة الحركة . ويتفق الباحثون فى أن الطراز الناعم يرجع إلى حوالى ٤٠٠م على حين ترجع المجموعة ذات الأسلوب الجامد إلى منتصف القرن الخامس .

ويظهر الصليب فى بعض الأحيان منقوشاً على هيئة عنخ علامة الحياة عند قدماء المصريين (ش٨٣) وهذا من العناصر القليلة التى اقتبسها المسيحيون المصريون من الفن المصرى القديم .

وتعكس الألواح الحجرية التى عثر عليها فى باويت وسقارة وبعض مراكز أخرى أسلوب البلاط البيزنطى ، ويظهر الأسلوب البيزنطى المبكر فى لوحة منقوشة بوحدات الصليب مع زخارف من أفرع العنب (ش ٨٤) ، وتظهر الزخارف المتكررة منفذة فى نظام هندسى جميل . وينجح الفنان القبطى فى النهاية فى ابتكار أسلوب تجريدى جديد لم يعد مرتبطاً بالفن الهيلينستى أو الفن البيزنطى ، ويتوصل فى اتباعه لهذا الأسلوب الجديد من تكوين زخارف هندسية مقتبسه من التفريعات النباتية (ش ٨٥) .

وتمتاز الكنائس والأديرة القبطية بما تحتويه من أعمدة حجرية تنتهى بتيجان مزخرفة بوحدات نباتية وحيوانية وهندسية . وكانت التيجان الأولى منقولة من الطراز الكورنثى الرومانى ، ويتضح ذلك فى أعمدة كنيسة القديس مينا . إلا أنه يبدأ ظهور تطور واضح فى تيجان أعمدة باويت الكورنثية (ش ٨٦) حيث نلاحظ أن المسافة بين صفوف نبات الأكنتس الثلاثة قد زاد اتساعها ، وظهرت أوراق الصف العلوى بعد السقف مباشرة .

ويزداد التطوير فى تيجان أعمدة باويت ، حيث نلاحظ أن أوراق نبات الأكنتس قد بسطت وظهر بها حروف مسننة (ش٨٧) بدلا من الأشكال الطبيعية .

ويظهر تأثير فن القسطنطينية فى تيجان الأعمدة المشكلة على هيئة سلال . ولقد

---

(١) إيروس إله الحب عند الإغريق ، عرف باسم كيوبيد عند الرومان ، ويظهر فى الفن على هيئة طفل له جناحان .

بدأ ظهور هذا الأسلوب البيزنطى فى القرن الخامس وظهرت نماذج منه فى باويت وسقارة والأشمونين والإسكندرية . ونلاحظ فى تاج عمود من باويت (ش ٨٨) أن تفريعات السلة قد حل محلها شبكة من تفريعات نبات العنب . ويظهر غالبًا فى هذه السلال البيزنطية أربعة طيور أو حيوانات .

ونبات العنب الذى كان يرمز لإله الخمر ديونيسس فى العصور الإغريقية ، تغير معناه فى الفن المسيحى إلى نبيذ مقدس يرمز به إلى الكنيسة . ولقد طرأ تغيير كبير على شكل أوراق العنب فى الشرق ، حيث بسّط الفنان القبطى فى شكل الورقة لدرجة أنها صارت فى بعض الأحيان رمزية وتحولت إلى شكل هندسى متصل . وبذلك مهدت الطريق إلى زخارف الأرابيسك التى تميز بها الفن الإسلامى .

النحت على الخشب :

مر فن الحفر على الخشب فى المراحل التى مرت بها النقوش الحجرية والجصية فنجد فى نقوش الألواح الخشبية التى صنعت فى أوائل العصر المسيحى تأثيرا من الفن الهيلينستى ، مثل الموضوعات النيلية التى تظهر بها التماسيح والسمك وزهرة اللوتس ، أو الأطفال الذين يصطادون هذه الأسماك . كما نلاحظ وجود تفريعات نبات العنب وعناقيده التى تميز بها هذا الفن .

وتتضح براعة الفنان القبطى فى الحصول على التأثير الزخرفى المطلوب فى حشوة فى باب كنيسة ست برباره (ش ٨٩) الموجود حاليًّا بالمتحف القبطى . وبالرغم من أن بعض الباحثين حاول أن ينسب هذا الباب (ش ٩٠) إلى القرن الرابع ، إلا أن تفريعات العنب المنقوشة وهى تخرج من سلة ، تذكرنا بمثيلتها الموجودة فى كرسى الأسقف مكسيميليان برافينا (ش ٧٣) مما يرجح نسبته إلى أواخر القرن السادس بالرغم من اختلاف أسلوب النحت فى كل منهما .

وتتغير هذه العناصر فى آثار الفترة الانتقالية كما يتغير أسلوب النحت ، ويبدأ ظهور الصليب والملائكة فى زخارف الألواح الخشبية (ش٩١) . كما يستخدم الفنان تفريعات النبات فى عمل إطارات حول عناصره الحية :

ويظهر الأسلوب القبطى المتبلور فى ألواح كنائس ياويت وأبو سرجة والكنيسة المعلقة . فتزين أخشابها بالموضوعات المسيحية المختلفة مثل دخول المسيح منتصراً إلى القدس أوالشخصيات المقدسة . ويقل اهتمام الفنان بالمحافظة على نسب الأشخاص فى هذه الفترة .

ولقد استمر ازدهار فن حفر الخشب بيد أقباط مصر بعد دخول العرب وتظهر فى بعض الألواح موضوعات مسيحية مثل القدسيين (ش ٩٢) لايراعى الفنان فيها تناسب حجم الرأس مع الجسد . كما يستخدم الفنان فى ذلك العصر موضوعات زخرفية ذات طابع إسلامى فى زخرفة أخشابه (ش ٩٣) ويتضح ذلك فى الحشوات التى وجدت فى كنيسة ست برباره التى ترجع إلى القرن العاشر .

وينتشر فى العصر الإسلامى استخدام العاج فى زخرفة الأخشاب المنقوشة ، وتظهر براعة الفنان القبطى فى الأبواب والأحجبة بالكنائس القبطية

التصويـــــر :

توقف إنتاج مدرسة تصوير الأشخاص التى ازدهرت فى القرن الأول والثانى فى الفيوم ، بعدما منع الإمبراطور تيودور الثانى عادة تحنيط الموتى . كما أن زخارف الأفريسكو التى كانت تظهر بها الخلفيات المعمارية واشتهرت بها الإسكندرية توقف إنتاجها فى أوائل العصور المسيحية . ويظهر طراز جديد فى الأديرة المسيحية منذ القرن الخامس .

ويتميز هذا الأسلوب الجديد باهتمام الفنان برسم الأشخاص فى وضع المواجهة ، وهذا طراز انتشر فى الشرق كذلك اعتنى بالتكوينات المعبرة أكثر من اهتمامه بتسجيل الدقة فى رسم الأشكال . وأهم نماذج هذا الأسلوب عثر عليه فى ياويت وفى أم البريجات فى الفيوم وفى دير الأنبا أرميا بسقارة وهى محفوظة حالياً بالمتحف القبطى بمصر . كما عثرت بعثة بولندية على تصاوير جدارية فى دير ببلاد النوبة تتميز بدقة ومهارة كبيرة .

وكانت جدران هذه المبانى تشيد غالباً من قوالب الطين ، تطلى بعدها بالجص

ثم يرسم عليها رسوم ملونة مستمدة من قصص الأنبياء وحياة المسيح . ووجدت أمثلة لذلك فى دير أرميا تصور أربعة من القديسيين وفى أم البريجات تصور آدم وحواء (ش ٩٤) وتتميز صور المثال الأخير بالطرافة والبساطة والأسلوب الشعبى .

كذلك غطيت المحاريب الموجودة فى صدر الكنيسة بتصاوير دينية ملونة ، وأهم هذه الأمثلة عثر عليها فى باويت وسقارة وهى حاليًّا بالمتحف القبطى . ونلاحظ فى حنية من باويت (ش ٩٥) ترجع إلى القرن الخامس أو السادس أن الرسم ينقسم إلى قسمين ، القسم العلوى يتوسطه المسيح جالساً على عرشه يحمل بيسراه سفر الرؤيا ويبارك بيمناه ، ويحيط به الملاكان ميخائيل وجبريل . وفى القسم الأسفل نرى صورة العذراء جالسة تحمل المسيح وهو طفل ، ويحيط بها الاثنا عشر رسولا وقديسان شيدت الكنيسة تكريماً لهما . ونلاحظ فى أسلوب رسم الصورة أن الفنان رسم الأشخاص بخطوط قوية فى وضع المواجهة وبوجوه شاخصة وأعين لوزية ، وهذا طراز انتشر فى فن التصوير البيزنطى .

ويظهر هذا الطابع فى التصوير على الألواح الخشبية ويتضح ذلك فى لوحة خشبية تصور المسيح والقديس مينا (ش ٩٦) ، وكانت مصر من أهم مراكز تصوير الأيقونات ، واستمدت أسلوبها من مدرسة الفيوم ، ومن أحسن الأمثلة الموجودة فى دير القديسة كاترين أيقونة تصور قديساً (ش ٩٧) .

واستخدم الفسيفساء فى زخرفة جدران بعض الأديرة فى مصر بموضوعات مصورة ، ويتضح من دراسة زخارف تغطى حنية فى كنيسة العذراء بدير سان كاترين بسيناء (ش ٩٨) ، ترجع إلى ٥٤٠ م أن هناك تشابهاً فى أسلوب بعض الأشكال الزخرفية الموجودة بالكنيسة وزخارف سقف كنيسة سان فيتال بمدينة رافينا . ويرجح ذلك اشتراك عمال من بيزنطة فى زخرفة كل من الكنيستين فى عهد الإمبراطور جستنيان .

الفنون الصغيرة :

يظهر التطور الذى مر به الفن القبطى بعناصره المختلفة بصورة واضحة فى الفنون الصغيرة : العاج ، المعادن والمنسوجات .

العاج :

اشتهرت الإسكندرية كمركز لإنتاج العاج فى الإمبراطورية الرومانية وكان يصنع للاستعمال الشخصى كالعلب والأمشاط . وكان الإنتاج الأول ذا طابع هيلينستى وتميزت مصر بطراز خاص يقلد الطبيعة وتصميمات مزدحمة . إلا أن الطراز المصرى الشعبى يظهر فى المراكز الصغيرة . وتظهر به زخارف دينية منفذة بأسلوب شعبى بسيط ويتضح ذلك فى مشط عثر عليه فى مدينة أنطونيو يرجع إلى القرن السادس ، ومحفوظ حالياً بالمتحف القبطى (ش ٩٩) ، وفى قطعة عاجية من نفس الفترة محفوظة فى متحف بناكى منقوشة بوحدة ملاك (١٠٠) .

المعادن :

استخدم الأقباط المعادن فى عمل أدوات ترتبط بالكنيسة كالمباخر والصلبان والمسارج والشمعدانات ، إلخ ، كما استخدم أيضاً فى عمل أوان للاستخدام المنزلى وكانت المسارج والشمعدانات تصنع من البرونز . وتظهر فى القناديل المسيحية أشكال الصلبان كما تظهر أحياناً على الشمعدانات زخارف هيلينستية (ش ١٠١) مما يحمل المرء على التساؤل كيف استخدم الطراز الوثنى فى الكنائس .

المنسوجات :

تعتبر المنسوجات القبطية من أهم الفنون التى ظهر فيها تطور الفن القبطى المسيحى . وكان الأقباط يتقنون هذه الصناعة إتقاناً كبيراً ، ويصدرون منسوجاتهم إلى روما وبيزنطة فى فترة الحكم الرومانى . ولما كان الفن القبطى فناً شعبيًّا لايخضع لرقابة الحكومة نجد أن مراكز صناعة المنسوجات لم تقتصر على المدن الكبيرة ، بل انتشرت فى البلاد الصغيرة أيضاً . وكانت مراكز المنسوجات الكتانية فى مدن مصر السفلى ، واشتهرت منها الإسكندرية وتنيس وديبق وشطا ودمير والأشمونين ، كما انتشرت مراكز صناعة المنسوجات الصوفية فى مصر العليا فى أخميم وأنطونيو وأسيوط وأهناس والبهنسا والفيوم . وكانت هذه المنسوجات تزخرف بزخارف متعددة تتفق مع الزى أو مع الستور والأغطية .

اتخذ الفنان زخارفه من الموضوعات التى كانت سائدة فى الفترات المختلفة الوثنية والمسيحية . وكانت الزخارف إما منسوجه فى القماش أو تنسج فى جامات تضاف فوق النسيج ، أوكانت مطرزة . ويحصل النساج على هذه الزخارف بواسطة خيوط صوفية ملونة تضاف إلى النسيج الكتانى . وتتقسم المنسوجات القبطية تبعاً لزخارفها إلى ثلاثة أقسام :

١ – طراز مابعد الأسلوب الهيلنستى (الإغريقى الرومانى) وتنحصر آثاره فى القرنين الرابع والخامس وتظهر به موضوعات وثنية ذات عناصر إغريقية رومانية ، ويتضح ذلك فى جامة بمتحف اللوفر (١٠٢) مزخرفة بسلة يتفرع منها نبات العنب ويحيط بها زوج من الإلهة إيروس .

٢ – الطراز المسيحى ، ويعرف بالمرحلة الانتقالية لاستمرار ظهور عناصر من الموضوعات الوثنية بجانب الرموز المسيحية كالصليب والسمك ، وتنحصر آثاره فى القرنين الخامس والسادس . وقد يظهر فى زخارف تلك الفترة شخصيات مسيحية أو وثنية [لوحة ملونة رقم ٣] أونباتات وحيوانات . إلا أننا نلاحظ أن العناصر الآدمية والحيوانية الموجودة فى تلك الزخارف ينقصها طابع الحركة والحيوية التى تميزت به آثار الفترة الهيلينستية .

٣ – الطراز القبطى وتنحصر آثاره فى القرنين السادس والسابع ، وتخلو زخارفه من تأثير الأسلوب الهيلينستى الذى يقلد الطبيعة . كما يظهر به أيضاً زخارف مقتبسة من الموضوعات الدينية مثل قصة النبى يوسف مع إخوته (ش١٠٣) وقصة إسماعيل(١) الذى فداه الله بكبش . ويتضح فى زخارف تلك الفترة شخصية وطابع الفن القبطى الذى ابتعد عن تقليد الطبيعة ، كما تتميز الأشخاص الموجودة برؤوس كبيرة وأعين شاخصة واسعة وتحوير كبير فى الشكل العام يخرجه عن الشكل الطبيعى (ش ١٠٤) .

وقد تأثر النساجون الأقباط بالزخارف التى انتشرت فى الفن الساسانى ، فالإناء أو الأصيص الذى يتفرع منه النباتات فى تماثل على الجانبين وشجرة الحياة التى تتوسط الكائنات الحية هى تأثيرات ساسانية انتشرت فى المنسوجات القبطية . كما أن زخارف

---

(١) تذكر بعض المراجع المسيحية أن المفدى هو إسحاق .

الرؤوس الآدمية التى تظهر بدون رقاب والتى تتوسطها أشكال آدمية فى مربعات (ش ١٠٥) هى فى الواقع منقولة عن الساسان . وكذلك زخارف الخيول المجنحة والكباش ذات القرون الضخمة التى وجدت فى منسوجات مقابر مدينة الشيخ عبادة هى وحدات فارسية ذاعت فى الفن الساسانى .

وبالرغم من أن الفن القبطى أصبح له شخصية وطابع منذ القرن السادس الميلادى إلا أن زخارف المنسوجات القبطية لم تخل من العناصر المصرية القديمة مثل المناظر النيلية أو علامة عنخ . ولقد استمر أسلوب زخرفة المنسوجات القبطية قائماً لفترة بعد الفتح الإسلامى .

الفصل الثالث

سوريا وفلسطين

الفن المسيحى

تمهيد تاريخى :

عندما ظهرت المسيحية فى فلسطين فى القرن الأول الميلادى فى فترة حكم الرومان لمنطقة الشرق الأوسط ، كان لسوريا ومصر دور رئيسى فى نشأة الحضارة والفنون المسيحية ، فكلمة المسيحيين أو « أتباع المسيح » ظهرت فى أول الأمر فى مدينة أنطاكية فى حوالى عام ٤٠ م ، كما أن أسس العقيدة المسيحية تأسست فى المجالس المتخصصة فى الإسكندرية .

ولم تقتصر مساهمة سوريا وفلسطين على تكوين المسيحية الأولى وإرساء قواعدها ، بل نجد أنها ساعدت أيضاً على نقل التأثيرات الفنية الموجودة فى الشرق إلى الفن الرومانى ، فبالرغم من أن مدينة تدمر دمرت فى عام ٢٧٣ م فى عهد الإمبراطور أورليان ، فإن تأثيرها الفنى استمر ظهوره بعد ذلك التاريخ . كما ساهمت مدينة بعلبك التى كانت مركزاً للقوافل التجارية فى نقل هذه التأثيرات . وكانت التصاوير الجدارية التى وجدت فى مدينة دورا أوربا والتى ترجع إلى منتصف القرن الثالث هى النماذج الأولى التى اقتبس منها الفن المسيحى الشرقى .

ولقد بدأ انتشار المسيحية فى أول الأمر بين التجار السوريين الذين يسكنون فى المدن التى نشأت فى العصر الهيلينستى . ولقد قاسى المسيحيون كثيراً فى عهد الأباطرة المتزمتين ، إلا أنه من الجائز أن الحال تغير بعد انهزام زنوبيا ملكة تدمر عام ٢٧٢ وصار للمسيحيين فى سوريا سلطة مطلقة .

العمارة :

باستثناء المبنى المسيحى الذى عثر عليه فى دورا أوربا والذى يتوسطه فناء ، والمغطى جدرانه من الداخل بتصاوير جدارية ذات موضوعات دينية ، لم يعثر فى سوريا على أى أثر للفن المسيحى قبل عصر قسطنطين . والظاهر أن هذه المنازل التى كان المسيحيون يجتمعون فيها اقتصر وجودها فقط على المدن الصغيرة ، وربما كانت المواد التى شيدت منها بدائية لذلك لم يعثر لها على أثر . ولقد استمدت الكنائس الأولى التى شيدت بشمال سوريا فى القرن الرابع تصميمها من هذه المنازل ، حيث عثر على كنيسة فى بلدة كركبزى يتوسطها فناء .

(رسم ز)
فسيفساء من العصر الرومانى المسيحى
لمدينة القدس (القرن السادس الميلادى)

نشطت حركة العمارة الدينية فى سوريا وفلسطين فى القرن الرابع بعد اعتناق قسطنطين للمسيحية ، وازداد حماس الإمبراطور بالعناية بالأماكن المقدسة ، فشيد كنيسة بازيليكية فوق الموقع الذى دفن فيه المسيح ، كما شيد فوق جبل الزيتونة مبنى دينياً على هيئة دائرة داخل منحن حول الصبخرة الذى قيل إن المسيح قد صعد من فوقها إلى السماء (رسم ز) . كذلك شيد فوق مكان ولادة المسيح مبنى مثمناً ألحق به كنيسة بازيليكية (ش ١٠٦) كما أقام كنيسة بازيليكية فى بعلبك . ولم يعثر حتى الآن على الكنيسة المثمنة التى قيل إنه شيدها فى أنطاكية العاصمة السورية . وكان قسطنطين الثانى ٣٦١م يفضل الإقامة فى هذه المدينة .

وفى خلال المائة عام التى تلت وفاة قسطنطين شيد عدد كبير من الكنائس

البازيليكية فى شمال سوريا . ويظهر بواجهة هذه الكنائس السورية منذ القرن الخامس برجان على جانبي المدخل . ومن أحسن عمائر القرن الخامس قلعة السمان التى شيدت إحياء للقديس سيمون الذى توفى فى عام ٤٥٩م فى فترة حكم الإمبراطور « زينو » .

ويتضح من دراسة هذه العمارة (ش ١٠٧) أنها تتكون من مبنى مثمن يمتد منه أربعة أضلاع مشيدة على شكل بازيليكا . ويتكون من الجميع شكل الصليب . وتتميز قلعة السمان بفن عمارة متقدم فى عمل العقود كما تعتبر من العمائر العظيمة التى شيدت فى الشرق قبل كنيسة القديسة صوفيا بالقسطنطينية

والظاهر أن مدينة القدس كان مشيدا بها كنيسة عرفت باسم الروح المقدسة ، ويتضح ذلك من فسيفساء وجدت فى مدينة مادابا بالأردن (ش ١٠٨) .

ويلاحظ أن الكنائس التى شيدت فى سوريا بعد ذلك فى القرن السادس كانت تقليداً للنماذج الحجرية الأولى . ويستثنى من ذلك المبانى التى شيدت فى قصر بن وردان فى حوالى عام ٥٦٤م ، حيث استخدم فيها الطوب بدلا من الحجر . ويذكرنا التصميم والطراز والفخامة التى تتميز بها الزخارف بالمبانى الإمبراطورية فى بيزنطة .

كانت المبانى التى شيدت فى فلسطين فى القرنين السادس والسابع مستوحاة من نماذج بيزنطية . ويتضح ذلك فى كنيسة القديس سرجيوس التى شيدت فى غزة فى القرن السادس ، وفى كنيسة مدينة رصافة التى كان تصميمها مستمداً من الطراز البازيليكى وتعلوها قبة .

النحت على الحجر :

تظهر مهارة النحاتين السوريين بصفة خاصة فى النقوش النباتية التى تزخرف المبانى المسيحية . وتوجد هذه الزخارف المنسقة فى إطارات رأسية أو أفقية تحيط بالأبواب . ونرى أمثلة منها فى زخارف العقود فى قلعة السمان . ويظهر تأثير الفن الرومانى فى تيجان أعمدة الكنائس ، ونلاحظ ذلك فى تيجان أعمدة قلعة السمان المنقولة عن الطراز الكورنثى الرومانى .

التصوير :

كان التصوير الجدارى حتى أوائل القرن الرابع الميلادى هو الوسيلة الوحيدة التى استخدمت فى زخرفة جدران المنازل والقصور ، ثم بدأ بعد ذلك استخدام الفسيفساء فى زخرفة الجدران . وترجع أهمية تصاوير مدينة دورا أوربـا بالنسبة للفن المسيحى إلى أن ألوانها وطرازها وتصميماتها تأثر به العصر البيزنطى . وتشمل الصور التى وجدت فى منزل الجالية المسيحية على موضوعات من العهد القديم والإنجيل (ش ١٠٩) وتعتبر هذه أول محاولة يرسم فيها المسيح فى الفن المسيحى ، ويظهر المسيح مرسوماً فى وضع المواجهة . ويتضح من صور دورا أن الموضوعات الدينية وجدت فى الشرق قبل الغرب .

ولقد استخدمت الفسيفساء التصويرية على نطاق واسع فى سوريا وأحسن مجموعة عثر عليها فى أنطاقية كانت تغطى الأرضيات . وتتكون الزخارف من أزهار موزعة على الأرضية أو من وحدات لغزلان مجنحة أو أسود تحمل أكاليل ، ويتضح فى زخارف فسيفساء أنطاكية التأثير الساسانى الذى ظهر فى عصر جستنيان .

المخطوطات :

كانت المخطوطات الدينية التى صورت للإمبراطورية البيزنطية فى الغالب من إنتاج المراكز السورية . ومن أوائل هذه المخطوطات ، مخطوطان يرجعان إلى القرن الخامس ، الأول ينسب إلى مدينة سيبون ومحفوظ بالمكتبة الأهلية ، والثانى ويعرف باسم إنجيل كوتون ويوجد حالياً بالمتحف البريطانى ، وتشغل الصور فى هاتين المخطوطتين الربع الأسفل من الصفحة . ويتميز الأشخاص المرسومة برأس كبير وجسم صغير غير متناسب . كما نلاحظ فى الأوجه نظرات شاخصة تذكرنا بالأسلوب السورى الذى ظهر فى تصاوير دورا فى عام الفترة (٢٣٠ — ٢٤٥) مما يدل على أنه استمر بعد ذلك لمدة قرنين .

ويتضح الطابع الهيلينستى الذى كان سائداً فى سوريا ، فى المخطوطات المليئة بالحركة والانفعالات . ويوضح ذلك صورة تمثل الصعود (ش ١١٠) وجدت

فى مخطوطة مؤرخة عام ٥٨٦ عرفت باسم مخطوط رابولا[١] . وتتميز هذه المخطوطة بأنها مكتوبة باللغة السورية وليست الإغريقية . ولقد نشر الأسلوب الواقعى الرهبان السوريون واتضحت ملامحه فى العاصمة أنطاقية على حين حافظت الإسكندرية على تقاليدها الكلاسيكية .

ونلاحظ فى رسم هذه المخطوطة أن الفنان قدتمكن من ربط الموضوع العلوى السماوى بالصورة السفلية الأرضية بواسطة الحواريين الذين ينظرون إلى أعلى ويشاورون .

الفنون الصغيرة :

العاج :

كانت صناعة العاج متقدمة فى سوريا وفلسطين وفينيقيا منذ قديم الزمان وأحسن مثل لذلك عرش ملك دمشق الذى عثر عليه فى أرسلان تاش . واشتهرت مدينتا أنطاكية والإسكندرية كأهم مراكز للأشغال العاجية فى الإمبراطورية الرومانية المسيحية فى القرن الخامس . واستخدمت الموضوعات الدينية فى زخرفة العاج منذ أن أصبح الدين المسيحى دين الدولة الرسمى .

ومن أحسن الأمثلة المسيحية السورية قطعة منقوشة بموضوعين (ش ١١١) ، ولادة المسيح فى أسفل والتقديس فى أعلى ، ونلاحظ فى تنفيذ هذه القطعة عدم اهتمام الفنان بالنسب الصحيحة للحجم حيث رسم الرأس بحجم كبير . ومما يميز هذا الطراز وضع المواجهة كما ترسم الأشخاص الأكثر أهمية بحجم أكبر . ولقد ظهرت هذه المميزات الشرقية فى فن سوريا الهيلينستى التى ضعفت فيها السيطرة الإغريقية .

المعـــادن :

ظهرت على المعادن التى استخدمت فى الكنيسة زخارف دينية ويتضح ذلك فى قنينة من الفضة ترجع إلى القرن السادس (ش ١١٢) ويلاحظ أن الزخارف

(١) تنسب هذه المخطوطة إلى راهب يدعى رابولا من بلاد النهرين . ويعتقد أنها كانت تخص كنيسة الصعود فى القدس .

المنقوشة تصور صعود النبى إلى الصلاة تحمله الملائكة . ويذكرنا أسلوب توزيع عناصر الموضوع برسوم مخطوط القديس رابولا (ش ١١٠) . وكان هذا النوع من الأوانى يجلبه الحجاج المسيحيون من القدس ويضعون فيه الزيوت المقدسة .

المنسوجات :

كانت صناعة النسيج من الصناعات المتقدمة فى سوريا . ويظهر من القطع القليلة التى عثر عليها فى تدمر وفى حلبية على نهر الفرات أنها كانت مصنوعة من الكتان ومزخرفة بالصوف أو بالحرير . وكانت زخارفها من النوع المنتشر فى المنطقة كالموضوعات الدينية المحصورة فى دوائر أو موضوعات الصيد (ش ١١٣) . ولقد ظهر تأثير زخارف المنسوجات التدمرية فى المنسوجات القبطية .

الفصل الرابع

شمال أفريقيا

نتشرت المسيحية بطبيعة الحال فى شمال أفريقيا فى القرن الرابع بعد اعتراف الأباطرة الرومان بالدين المسيحى . واستمر الانتشار فى الفترة التى احتلت فيها جيوش الفندال أجزاء من شمال أفريقيا ، ورجعت تبعية شمال أفريقيا للدولة البيزنطية بعد أن تمكن الإمبراطور جستنيان من طرد الفندال من شمال أفريقيا فى عام ٥٣٤ .

العمـــارة :

تدل مخلفات العصر المسيحى أن الحكام البيزنطيين قاموا بتحويل مبنى البازيليكا الرومانية إلى كنائس ، كما شيدوا كنائس جديدة فى بعض المراكز الإفريقية . ويتضح ذلك فى المدن الطرابلسية وفى قرطاج .

ويتضح من الآثار الباقية فى مدينة لبده أن الإمبراطور جستنيان قد حول البازيليكا الملحقة بميدان سويروس إلى كنيسة مسيحية (ش ١١٤) ، وأضاف إليها الأجزاء اللازمة للكنيسة . كما شيدت كنيسة فى مدينة صبراته زخرفت أرضيتها بالفسيفساء الجميلة . ومن مخلفات العصر البيزنطى فى قورينه (شحات) ، كنيسة كبيرة توجد خارج أسوار المدينة تزخرف أرضيات بهوها فسيفساء متنوعة الموضوعات . كما يوجد بالمدينة أيضاً تحصينات وأبراج .

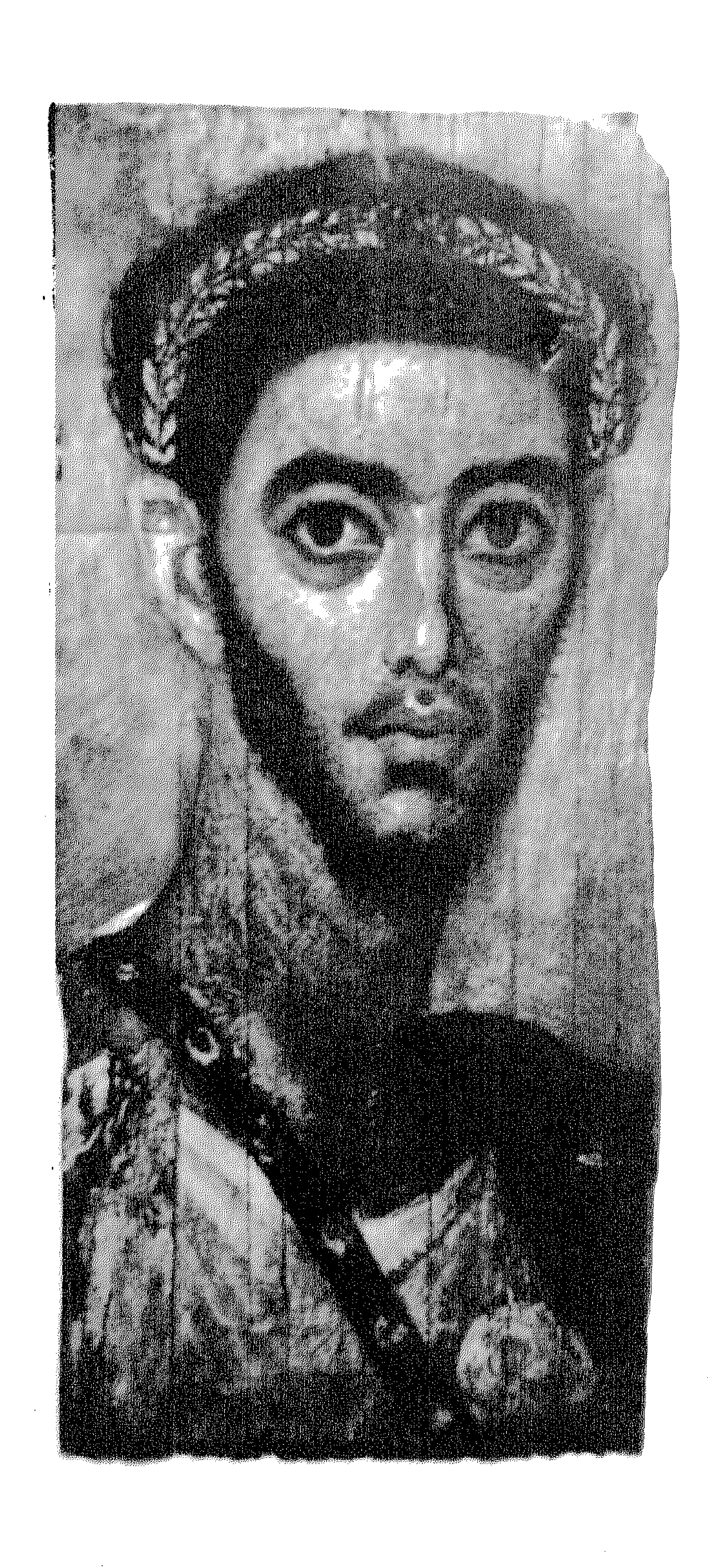
وتشهد آثار مدن تونس والجزائر على وجود آثار من العصر البيزنطى ؛ حيث عثر على كنائس فى المراكز المهمة أجملها مايوجد فى تبسه وتيمقاد وقرطاج . ويتضح من تيجان أعمدة هذه الكنائس أن المعماريين قد أدخلوا عليها الأساليب البيزنطية ويتضح ذلك فى تاج عمود عثر عليه فى قرطاج (ش١١٥) .

التصوير :

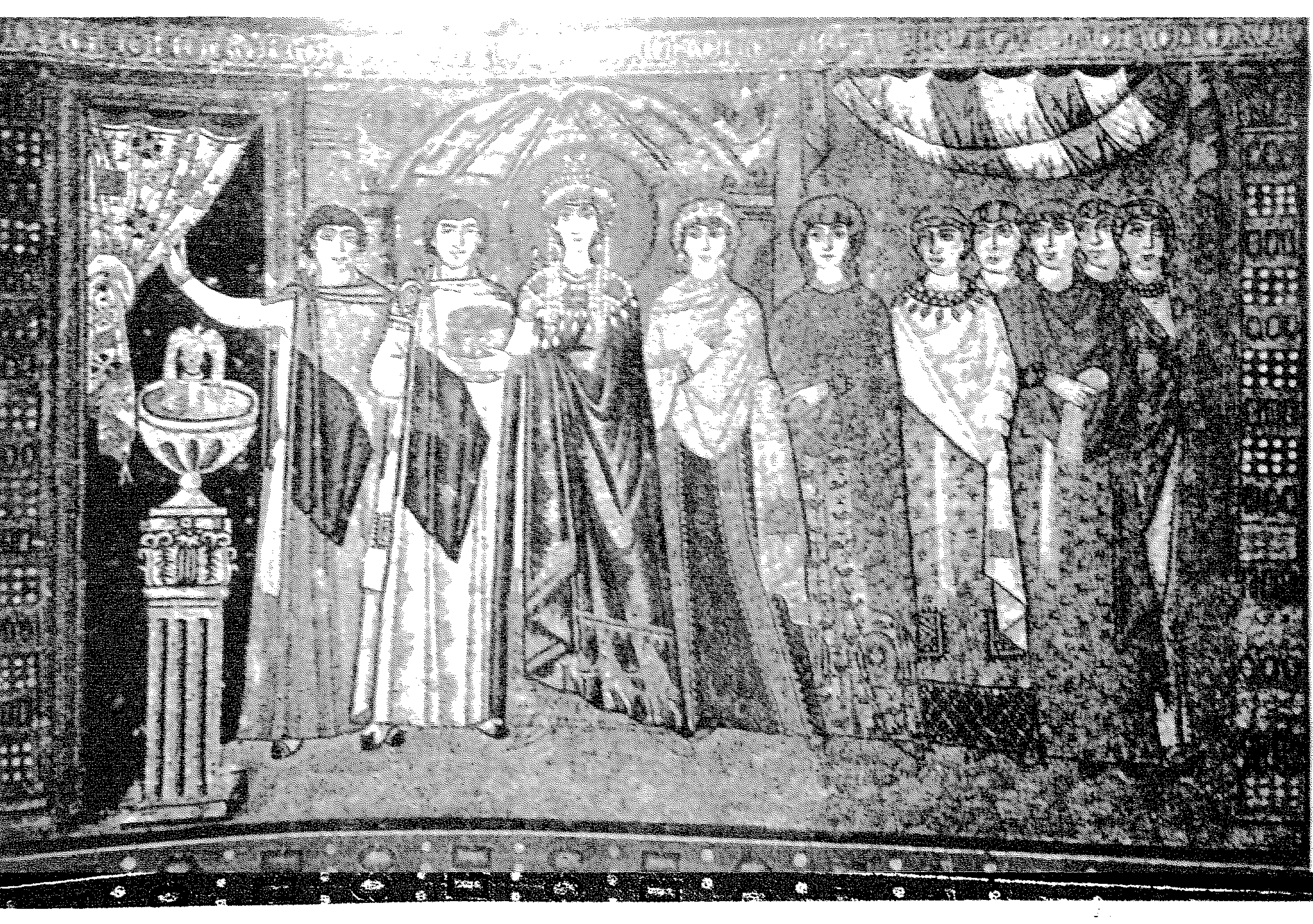
كان للفن المسيحى فى أفريقيا فضل كبير فى إنتاج أكبر مجموعة من الفسيفساء الحائطية ، ولقد وجدت هذه الفسيفساء فى الكنائس والمبانى الدنيوية، ومن أحسن هذه المجموعات ماعثر عليه فى تونس .

ونلاحظ فى زخارف فسيفساء العصر البيزنطى ، أن الدين المسيحى قد منع استخدام المواضيع الوثنية التى كانت منتشرة فى العصر الإغريقى الرومانى ، وشجع على انتشار موضوعات مستمدة من الكتب المقدسة أو من تاريخ الأمم .

ومن أجمل هذه الأمثلة المسيحية لوحة عثر عليها فى قرطاج (ش ١١٦) تصور سيدة فى وضع نصفى يحيط برأسها هالة ويزخرف رأسها تاج . ونلاحظ فى هذه الصورة أن السيدة قد رفعت يدها اليمنى مع مد أصابع الوسطى والسبابة على غرار مانراه فى صور الرهبان المسيحيين الذين يمنحون البركة .



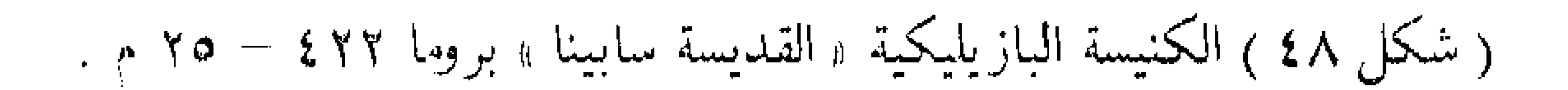
صورة ملونة لرجل على لوح من الخشب وجدت بمدينة الفيوم ، القرن الثانى ، العصر الرومانى فى مصر



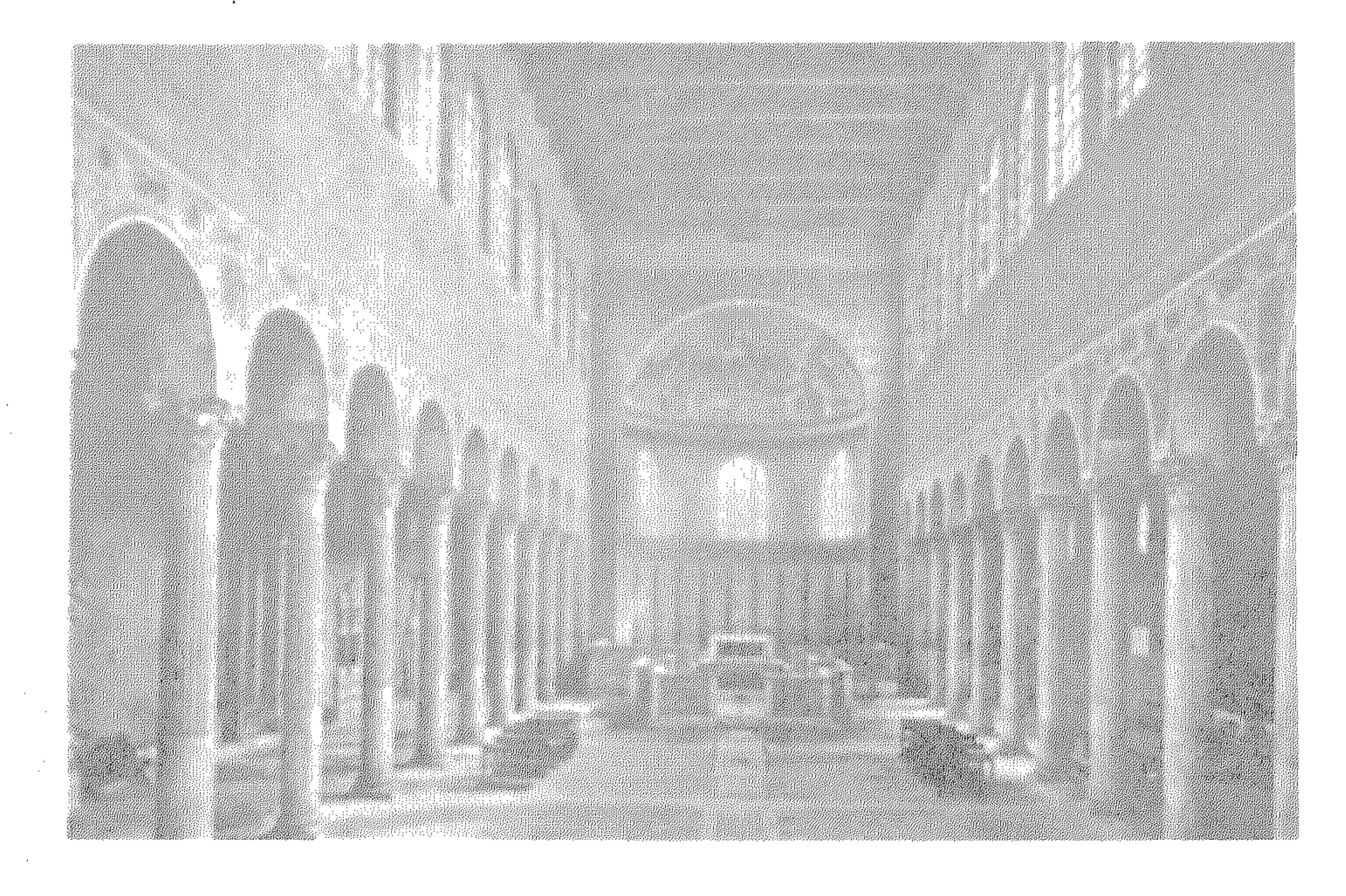
لوحة من الفسيفساء فى كنيسة القديس ڤيتال بمدينة راڤينا ، تصور الإمبراطورة تيودورا مع وصيفاتها ، القرن السادس العصر البيزنطى



(شكل ٤٧) كنيسة القديس بولس القديمة بروما . « نقلاً عن رسم ج . ب . بيرانيزى ، ١٧٤٩ »



(شكل ٤٨) الكنيسة البازيليكية « القديسة سابينا » بروما ٤٢٢ – ٢٥ م .

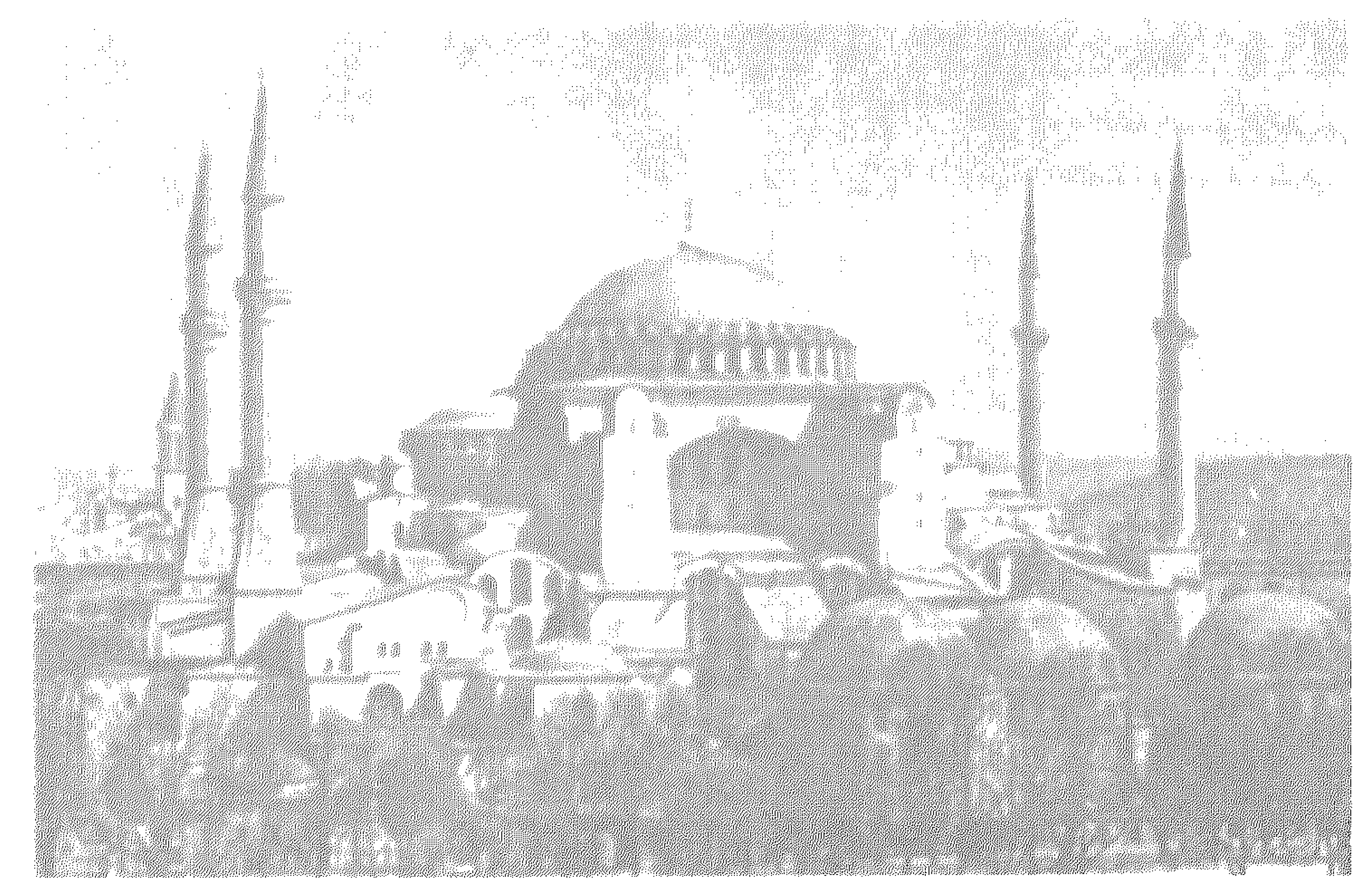




(شكل ٤٩) كنيسة القديس أبولينار نوفو ، رافينا .

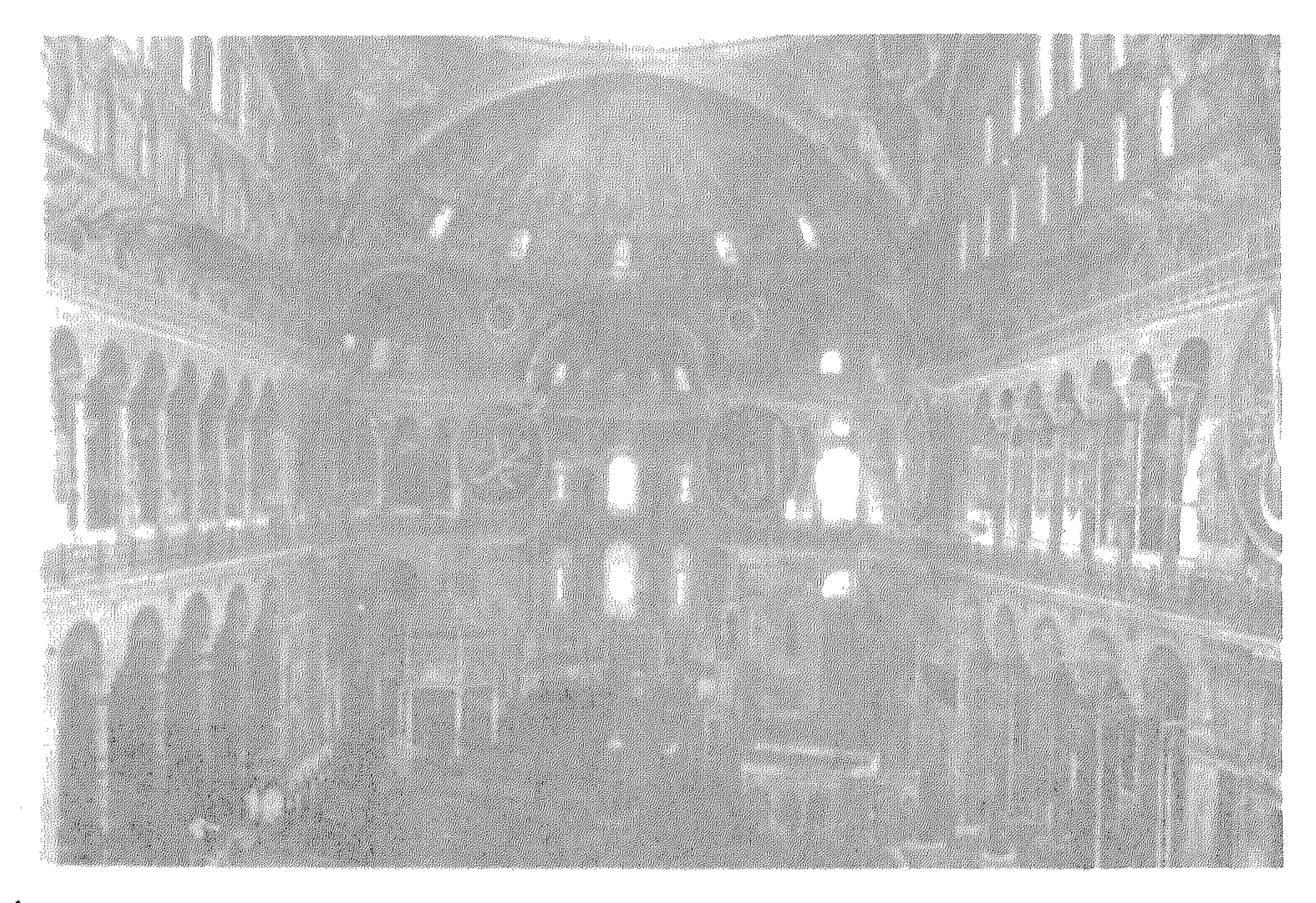
(شكل ٥٠) كنيسة القديسين سرجيوس وباخوس باسطنبول (القسطنطينية) ٥٢٦ - ٣٧ .





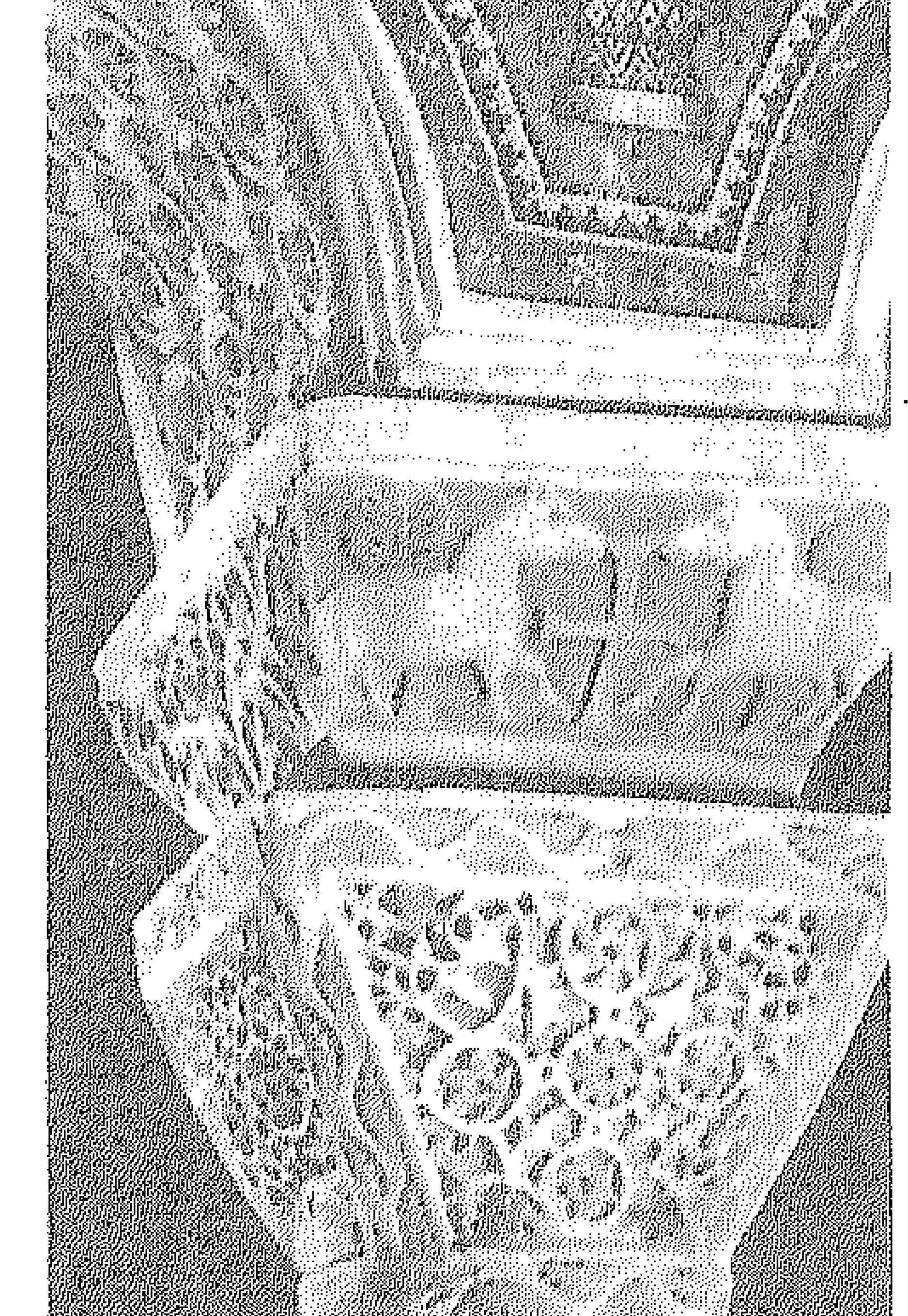
(شكل ٥١) سانتا صوفيا من الخارج باسطنبول ، الجامع الذى كان كنيسة شيدت فى ٥٣٢ – ٣٧ .

(شكل ٥٢) سانتا صوفيا من الداخل . إسطنبول ، الجامع الذى كان كنيسة شيدت فى الفترة ٥٣٢ – ٣٧ .

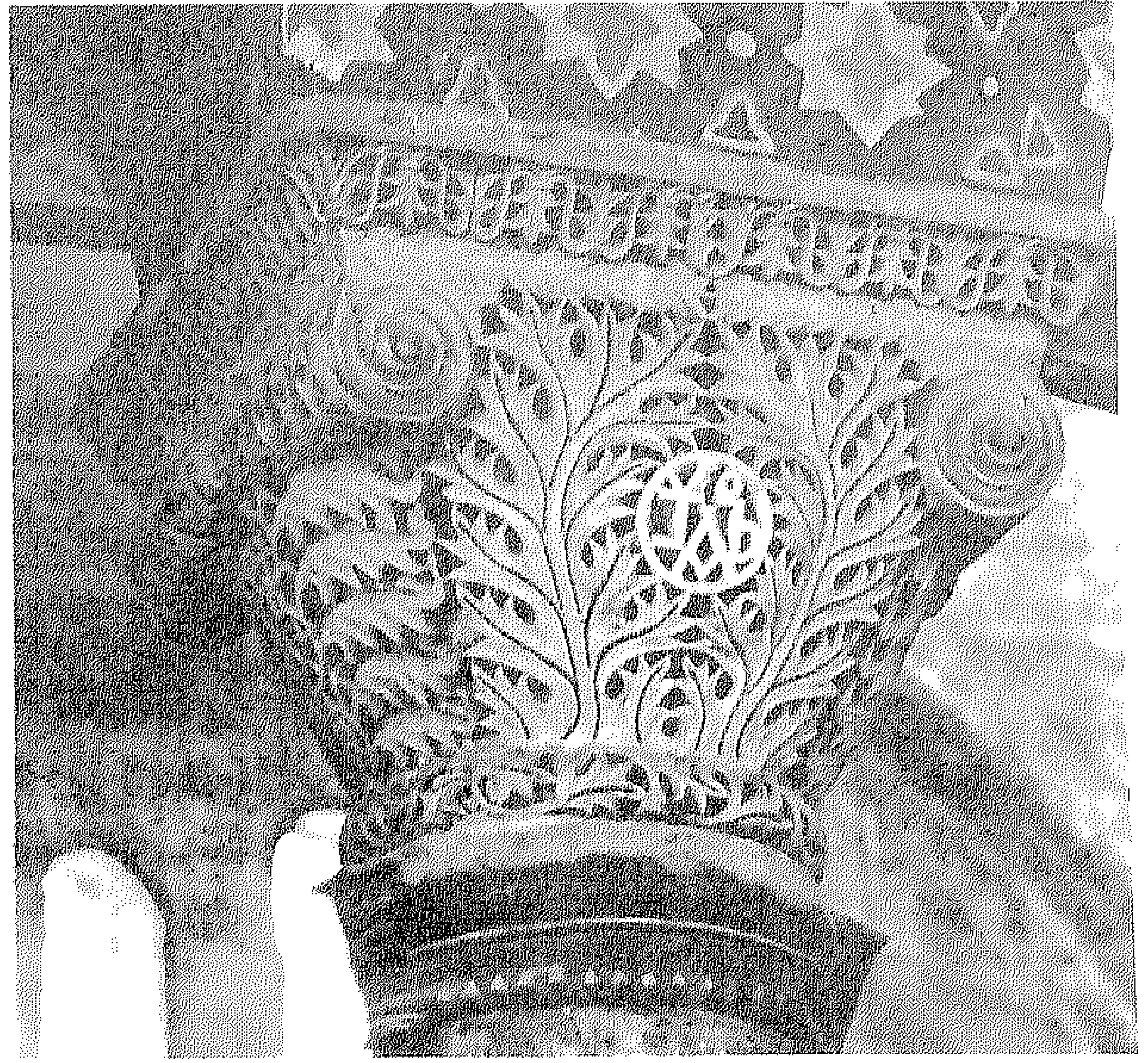


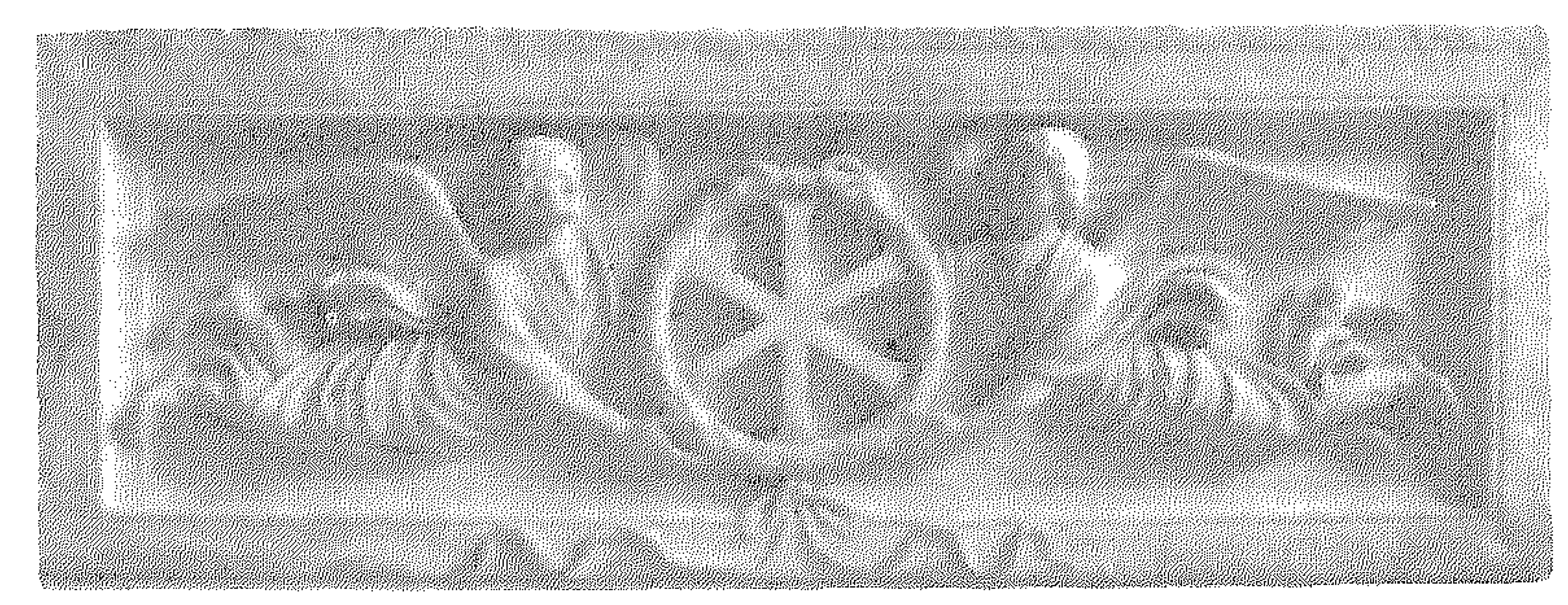
(شكل ٥٣) كنيسة القديس مرقص من الخارج ، البندقية ويظهر فيها القباب الخمس ١٠٦٣ – ١٠٩٥ .

(شكل ٥٤) تاج عمود من كنيسة القديس فيتال ، رافينا ٥٣٠ .

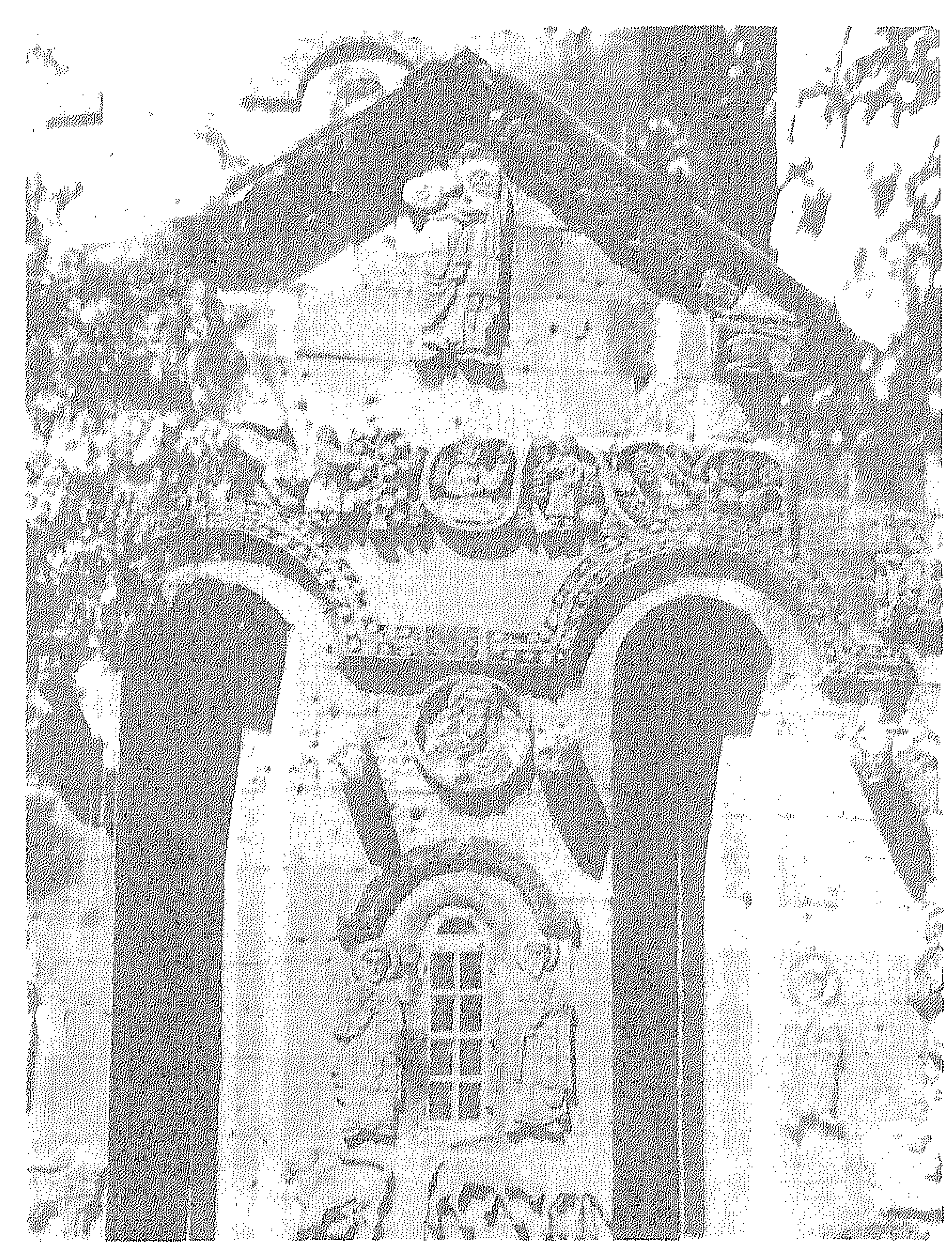


(شكل ٥٥) تاج عمود من كنيسة القديسة صوفيا .

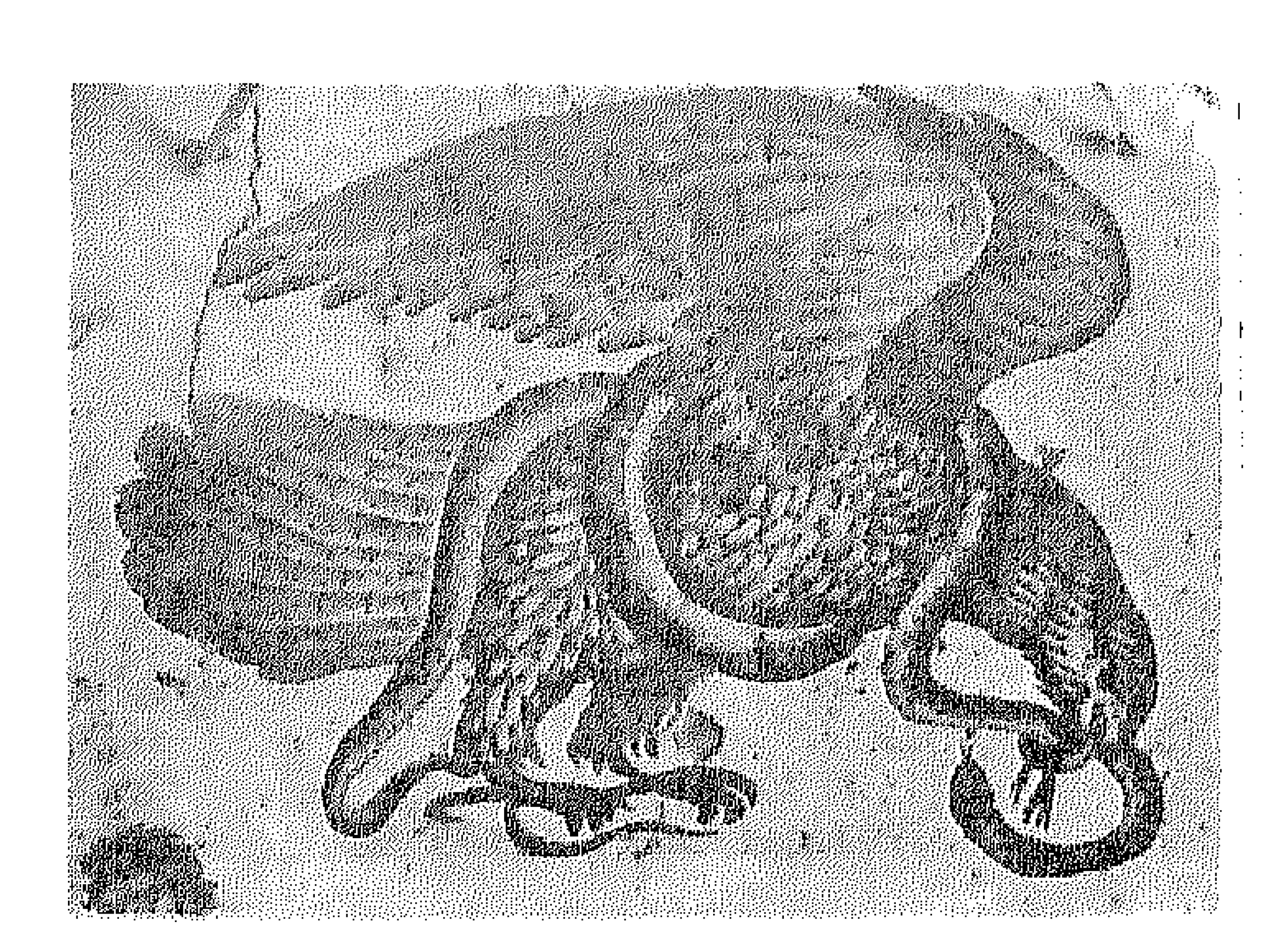




(شكل ٥٦) تابوت حجرى منقوش بزخارف مسيحية – القرن الخامس . حاليًا بمتحف الآثار ، إسطنبول .

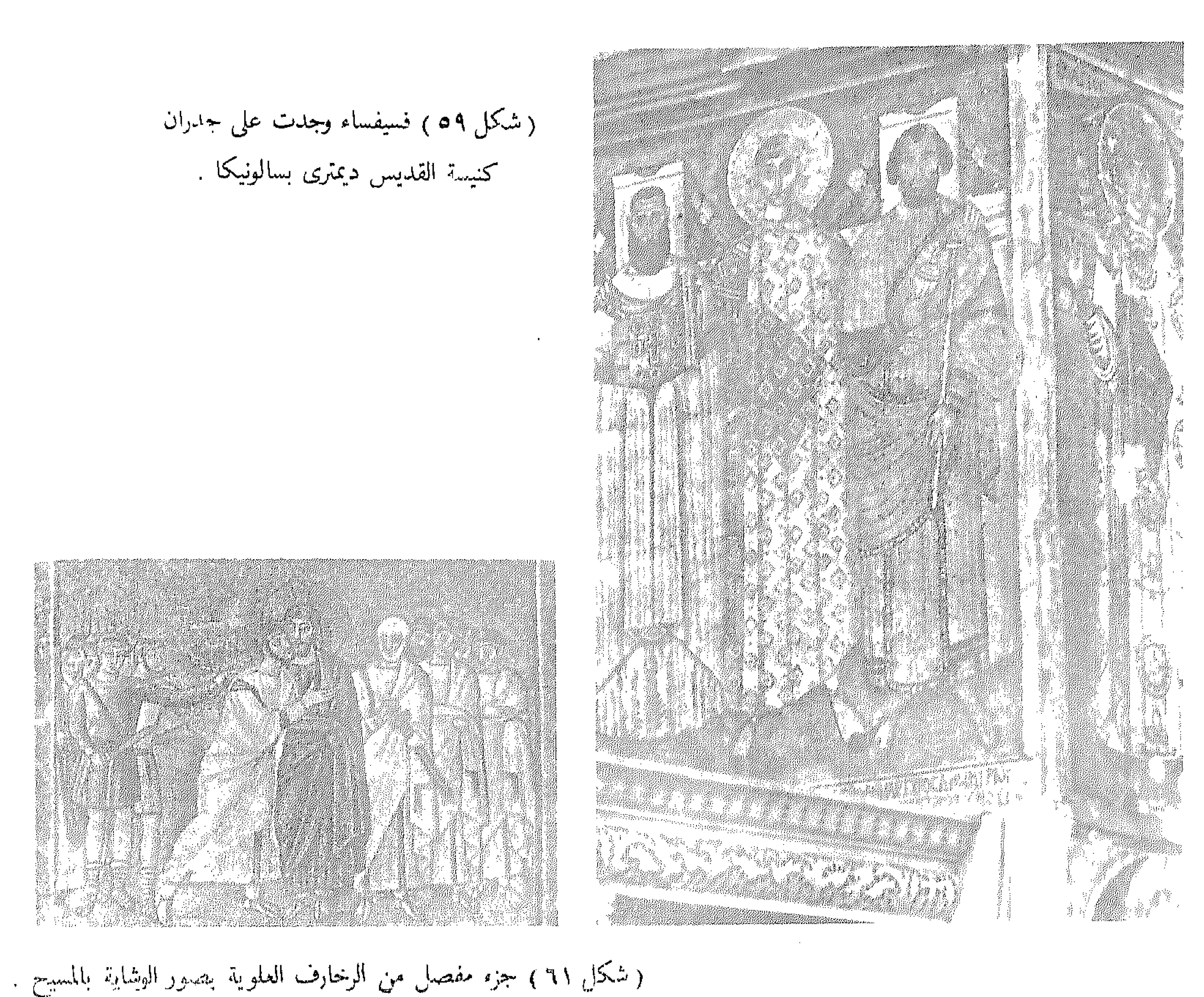


(شكل ٥٧) كنيسة أختمر بالقرب من بحيرة فان أرمينيا . شيدت فى عصر الملك جاجيك فى الفترة ٩١٥ – ٩٢١



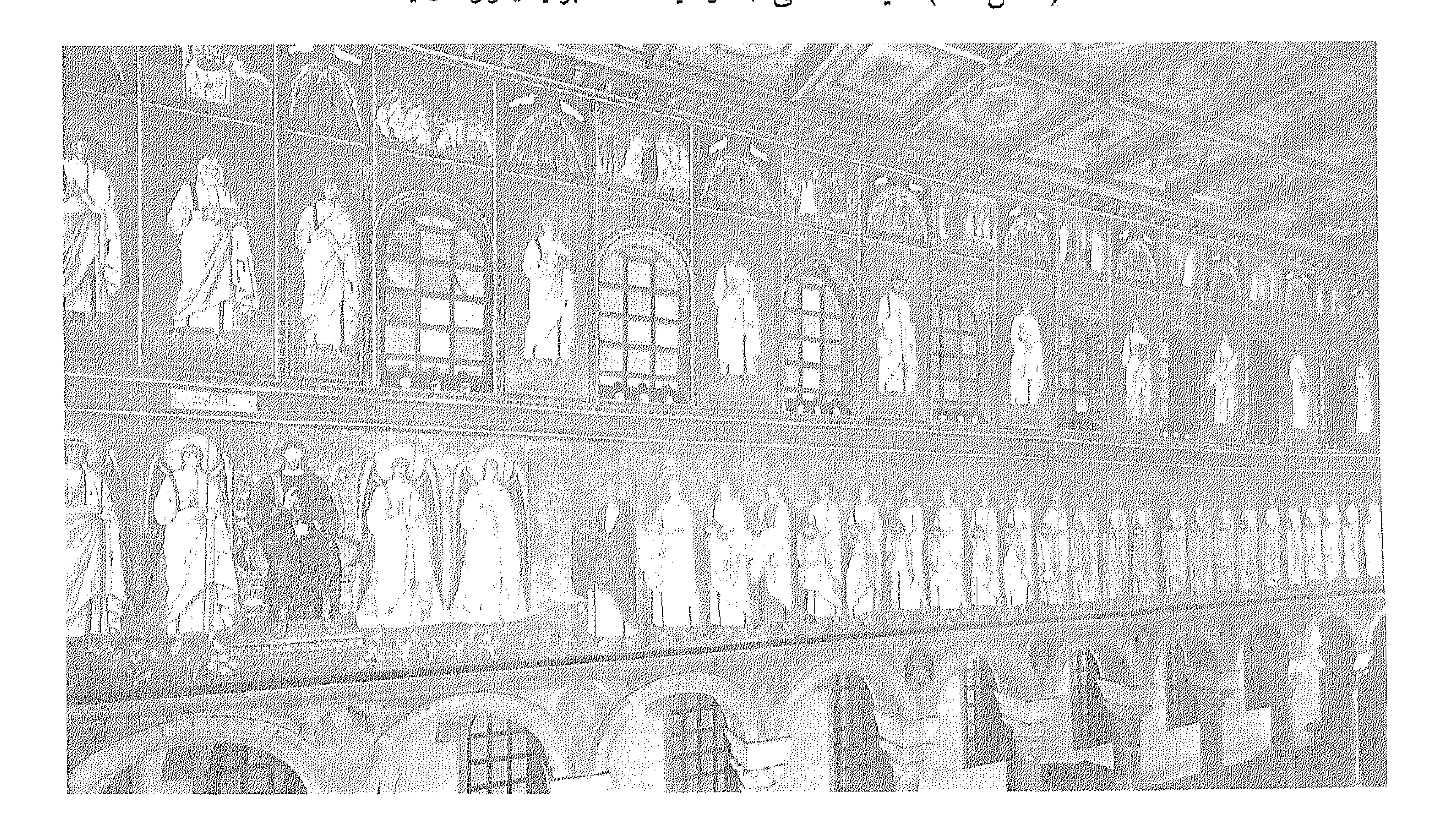
(شكل ٥٨) فسيفساء عثر عليها فى أرضيات القصر الإمبراطورى بالقسطنطينية ، القرن الخامس .

(شكل ٥٩) فسيفساء وجدت على جدران كنيسة القديس ديمترى بسالونيكا .

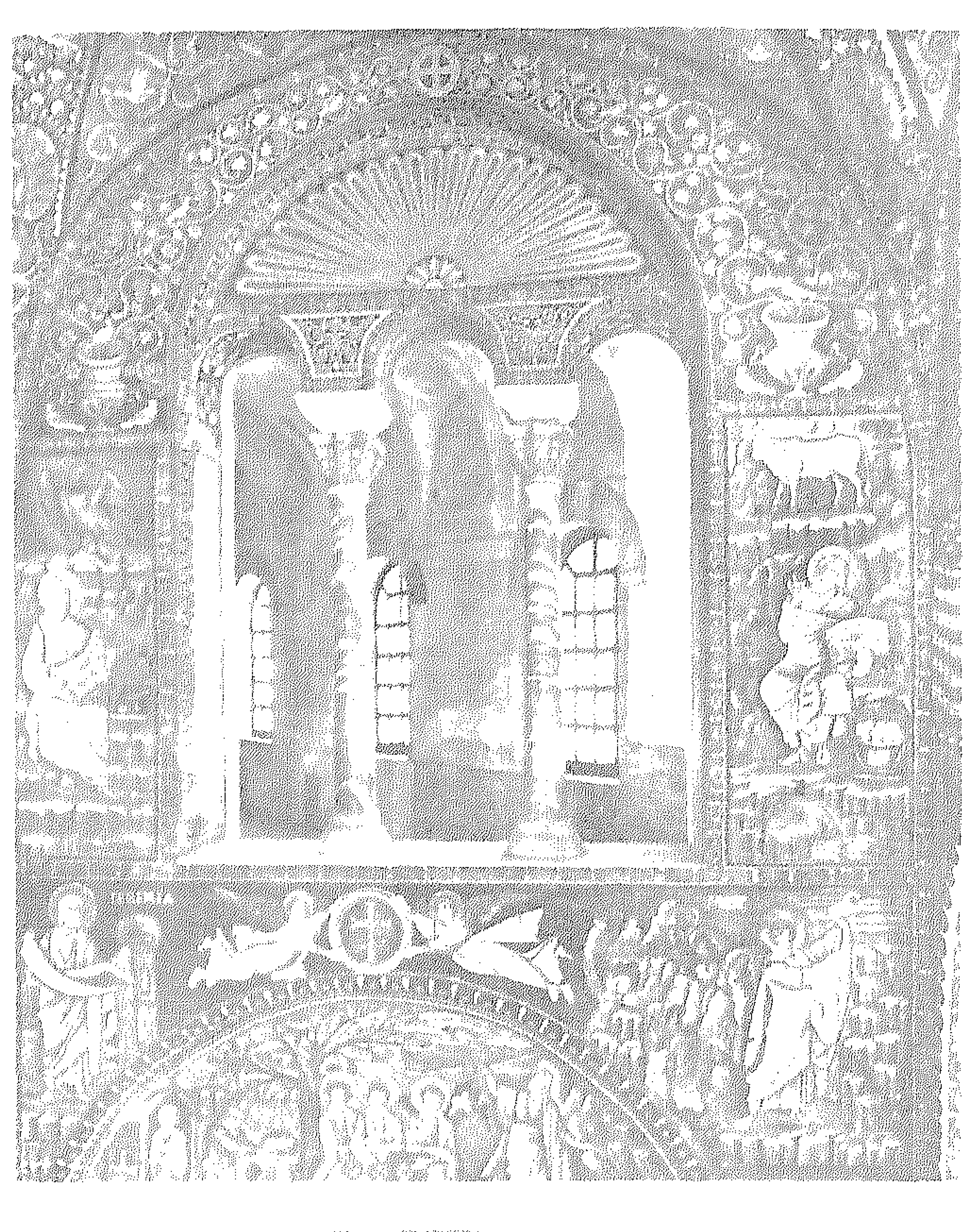


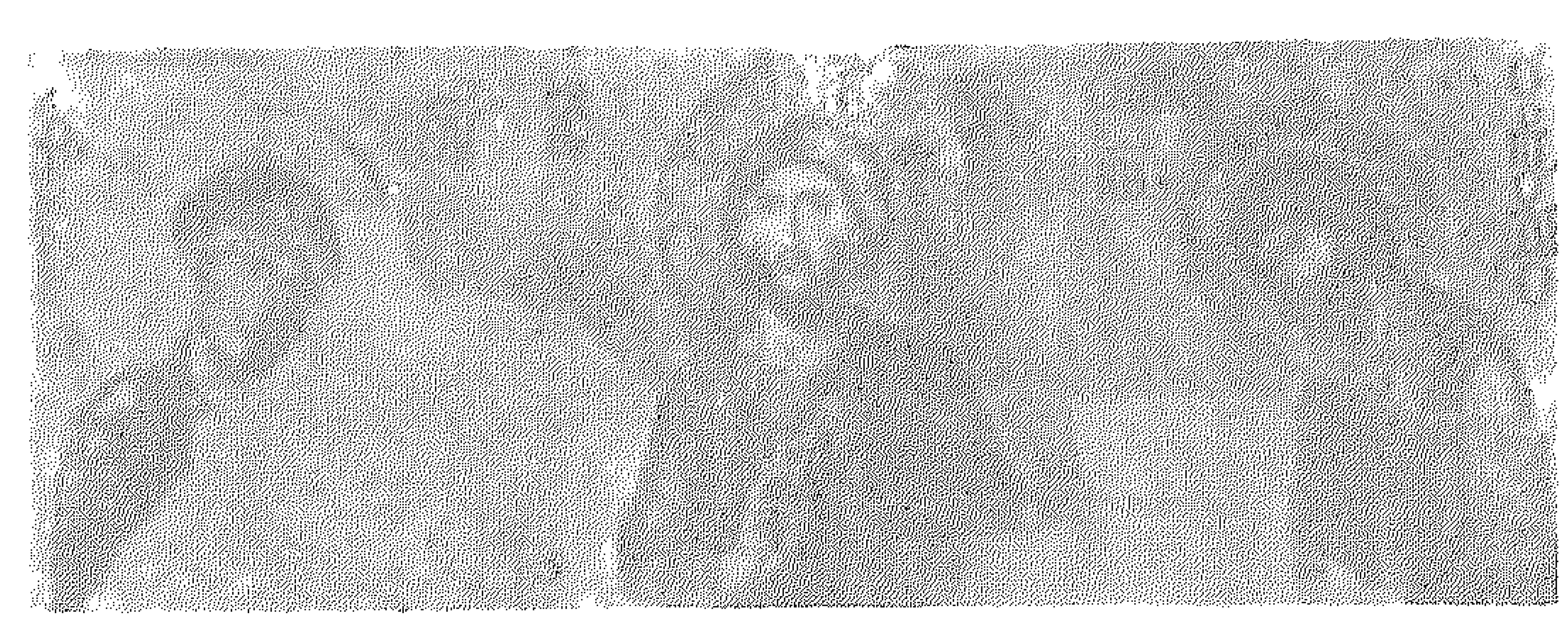
(شكل ٦١) جزء مفصل من الزخارف العلوية بصور الوشاية بالمسيح .

(شكل ٦٠) فسيفساء تغطى جدار كنيسة سان أبولينار نوفو ، رافينا .

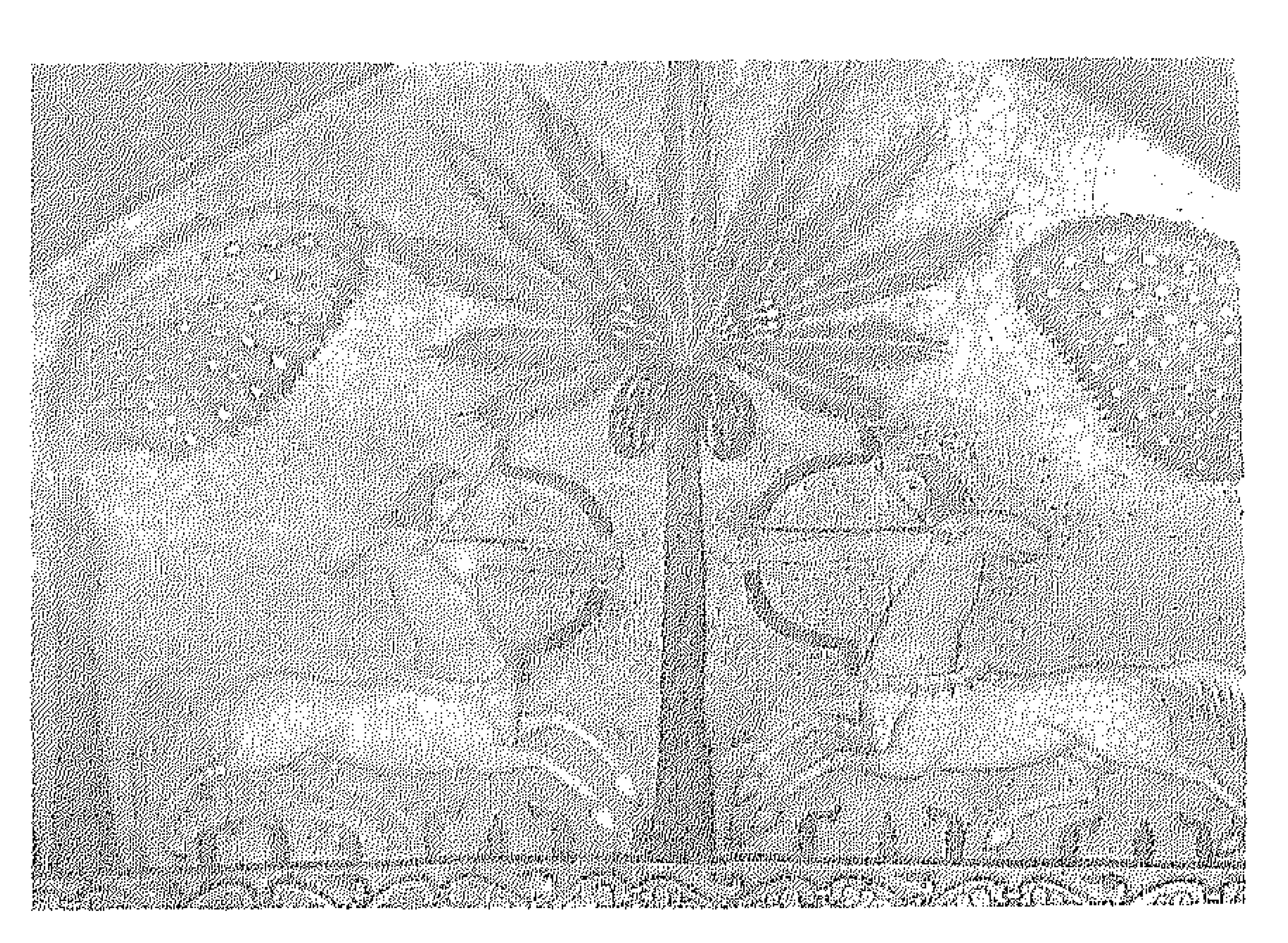


(شكل ٦٢) زخارف من الفسيفساء تغطى الجدار الأيسر من كنيسة سان فيتال رافينا .





(شكل ٦٣) زخارف من الفسيفساء وجدت على جدران سانتا صوفيا .



(شكل ٦٤) زخارف من الفسيفساء وجدت فى القصر الملكى فى باليرمو .



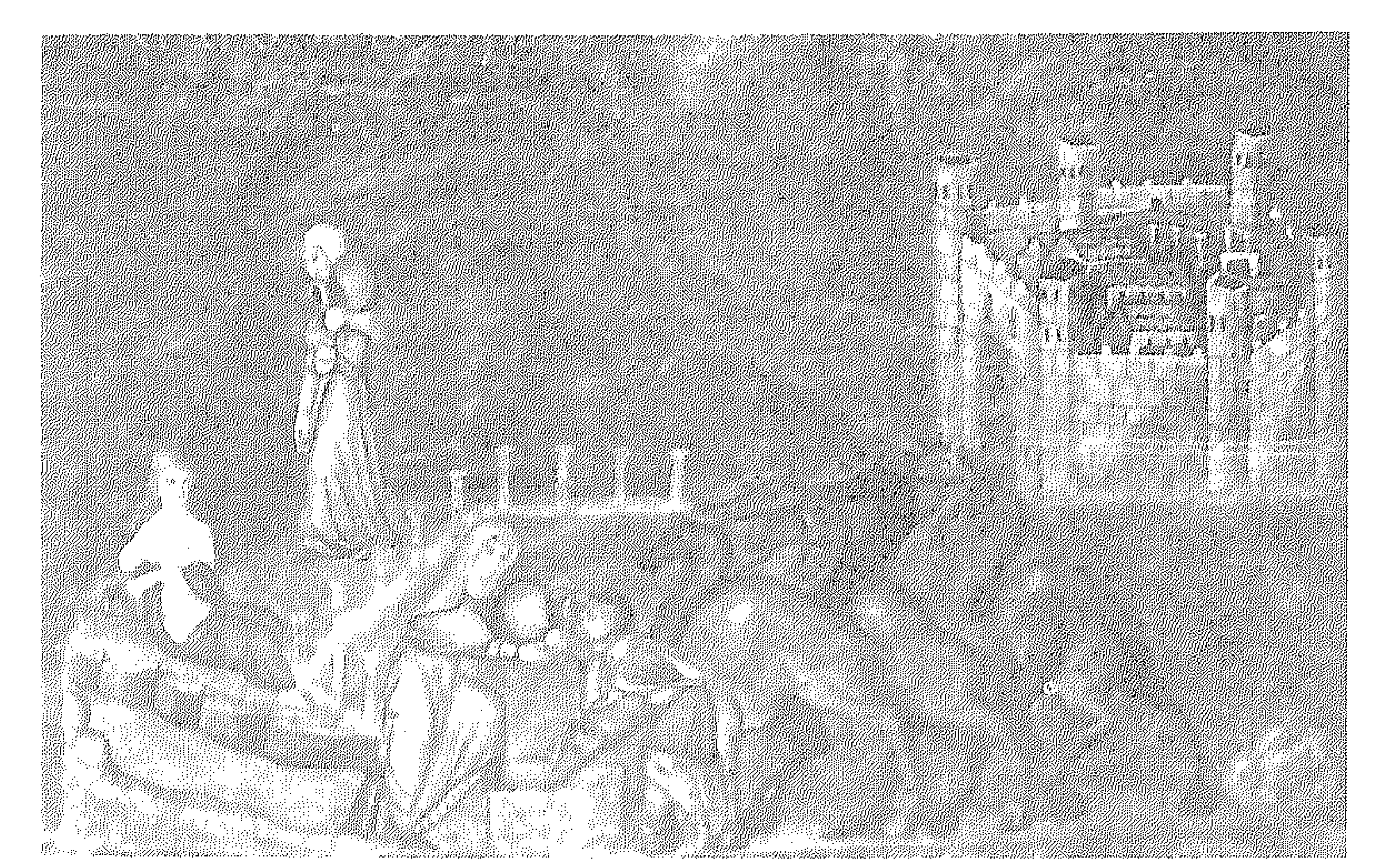
(شكل ٦٥) تصوير جدارى عثر عليه فى مخابىء المسيحيين فى روما . القرن الثالث أو الرابع .



(شكل ٦٦) أيقونة تصور القديس بطرس ومن خلفه صور المسيح والعذراء والقديس أسطفان القرن السابع ، حاليًا دير سان كاترين بسيناء



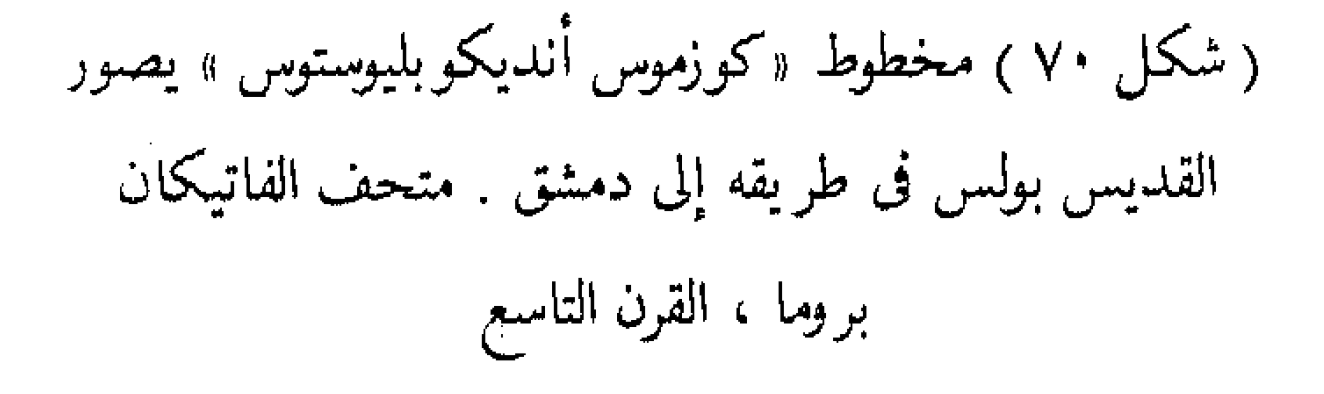
(شكل ٦٧) أيقونة عرفت باسم « عذراء فلاديمير » رسمت فى القسطنطينية فى حوالى ١١٣٠ حالياً بمتحف ترشيا كوف بموسكو



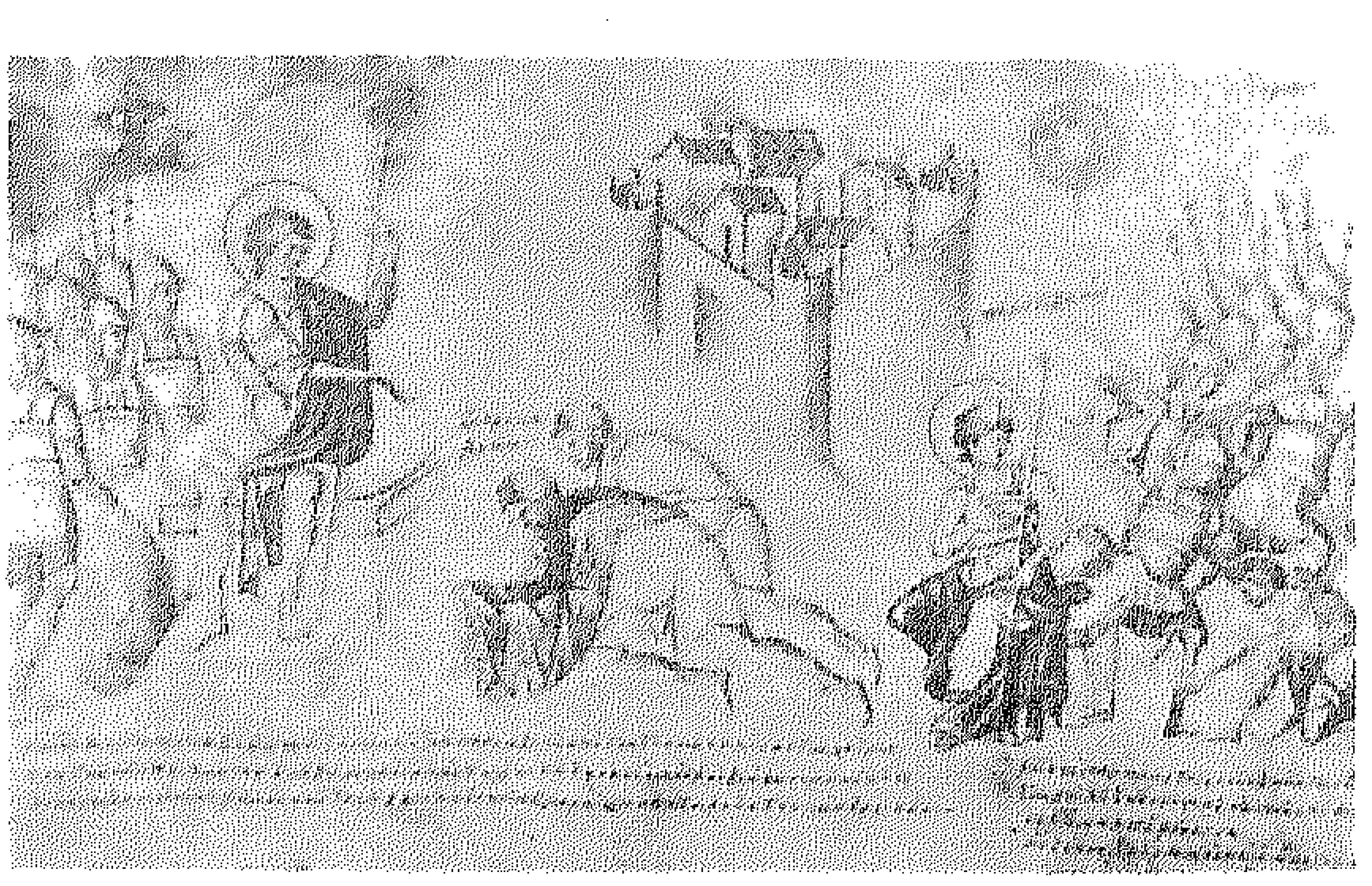
(شكل ٦٨) أقدم كتاب يصور قصصاً مسيحية ، حالياً بالمكتبة الأهلية بفيينا ، القرن السادس .

(شكل ٦٩) مخطوط « روسانيس » وبه صورة للمسيح أمام الحاكم بلات . مكتبة روسانو بإيطاليا . القرن السادس .



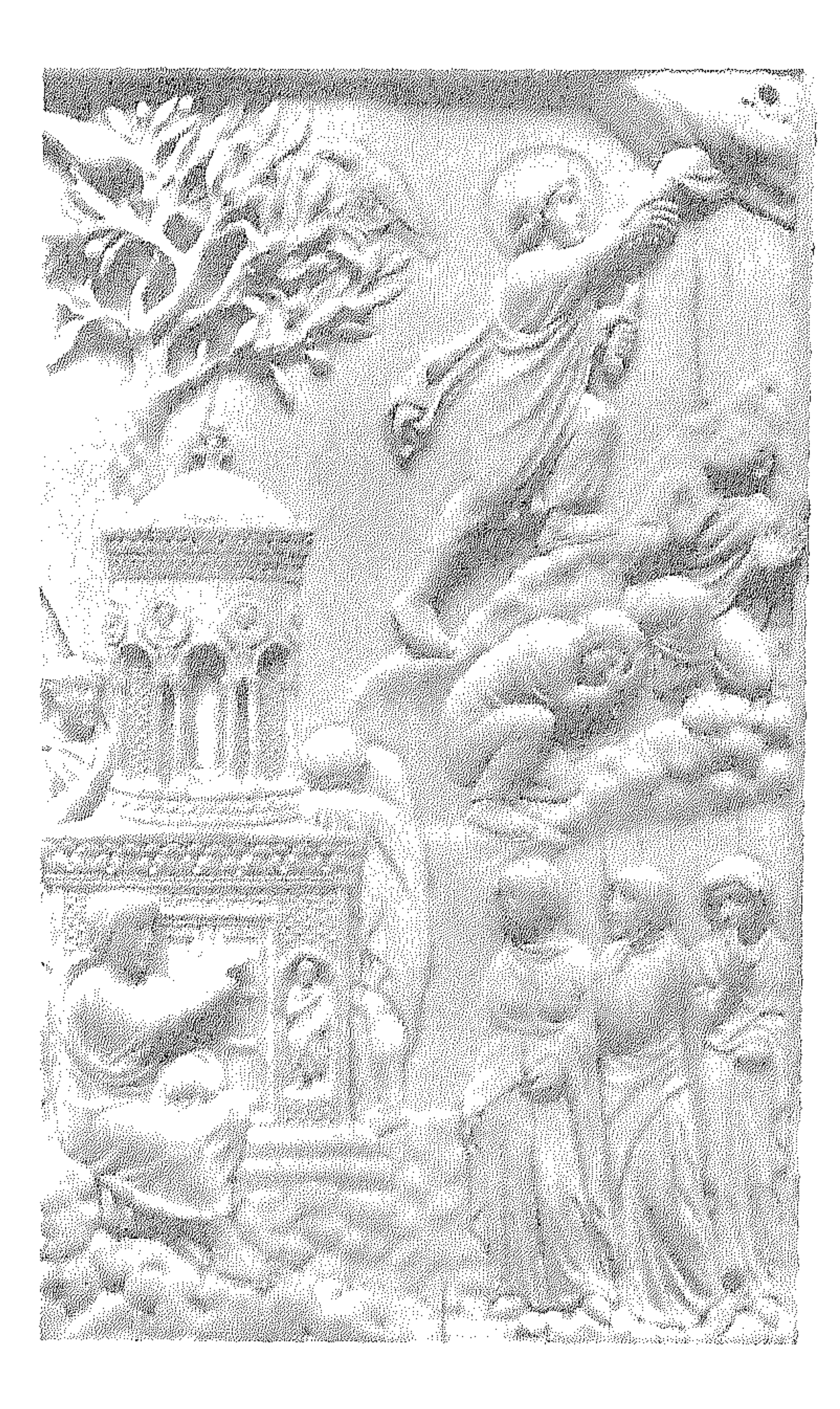


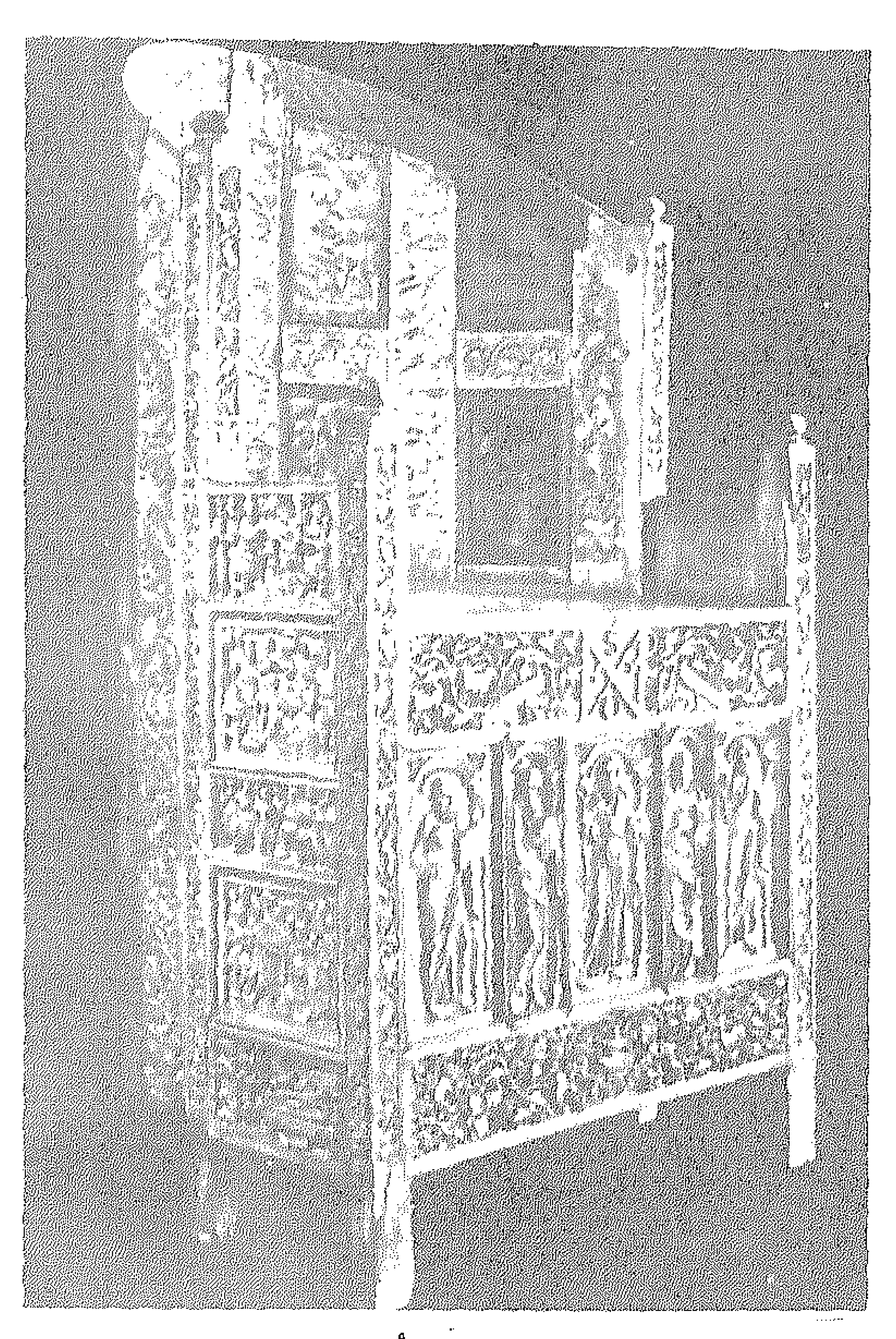
(شكل ٧٠) مخطوط « كوزموس أنديكوبليوستوس » يصور القديس بولس فى طريقه إلى دمشق . متحف الفاتيكان بروما ، القرن التاسع



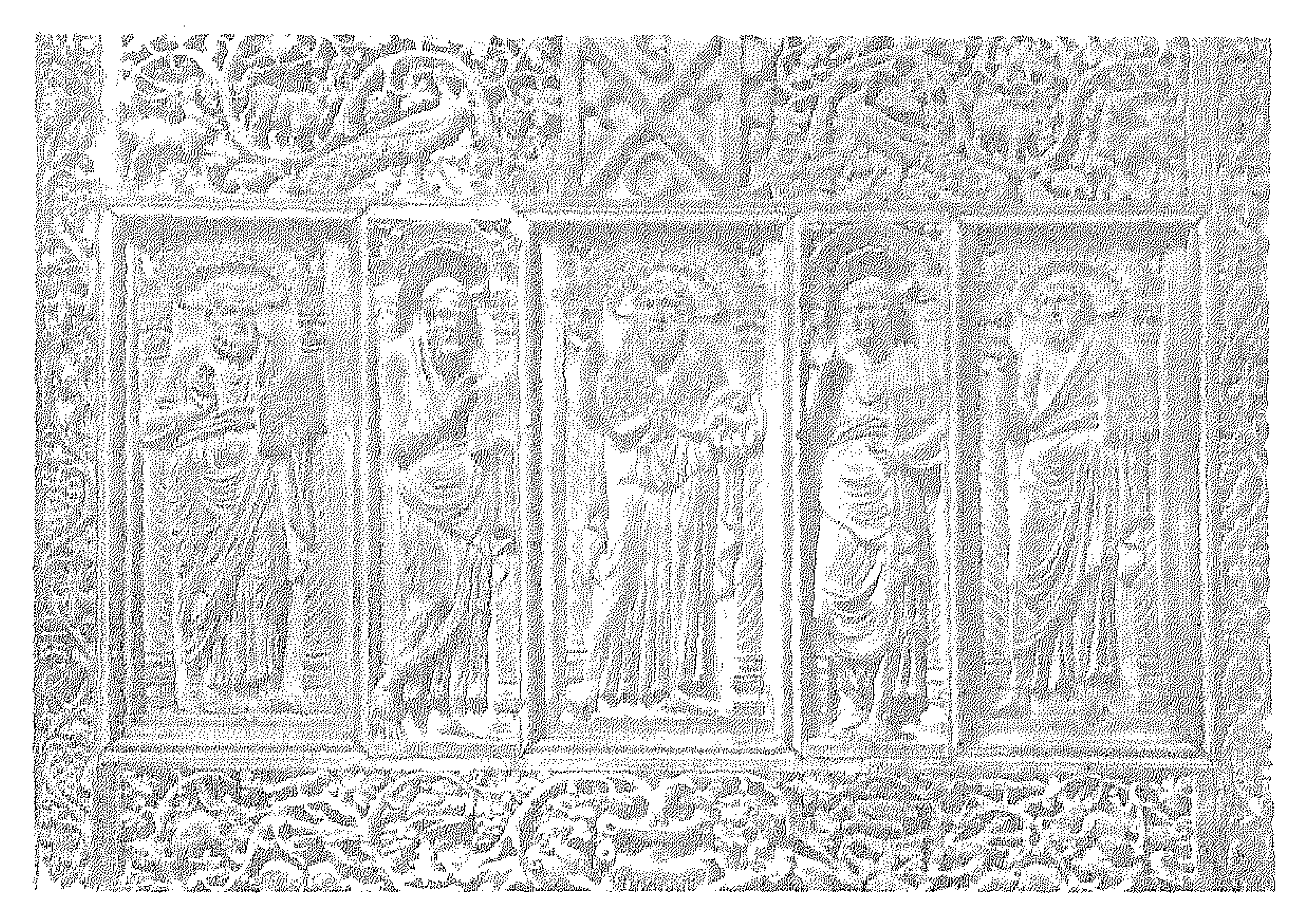
(شكل ٧١) مخطوط « جوشيا » يصوره مع الجاسوسين بمتحف الفاتيكان بروما . القرن العاشر .

(شكل ٧٢) لوحة من العاج تصور موضع الصعود ، القرن الخامس . المتحف الأهلى ميونخ .



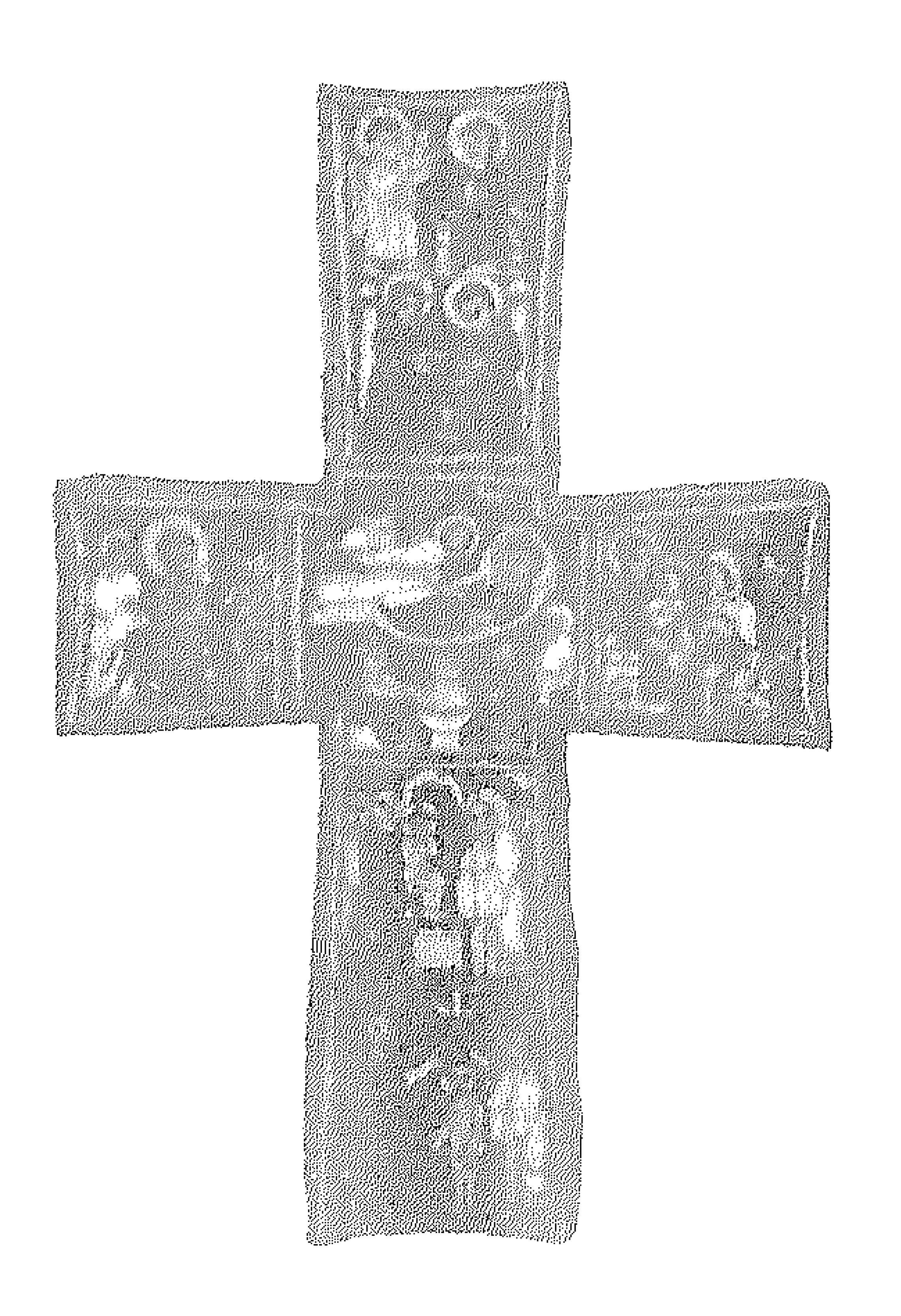


(شكل ٧٣ ، ١٧٣) كرسى الأسقف رافينا ماكيسميناس أوائل القرن السادس . المتحف الأهلى برافينا . وتلاحظ النقوش الموجودة على اللوحات الأمامية من الكرسى



(شكل ٧٤) طبق من الفضة مزخرف بقصة « داود والأسد »
القرن السادس . بمتحف المتروبوليتان – نيويورك .





(شكل ٧٥) صليب مزخرف بالمينا ، يصور
مناظر دينية ، القرن ٨ – ٩ متحف الفاتيكان .

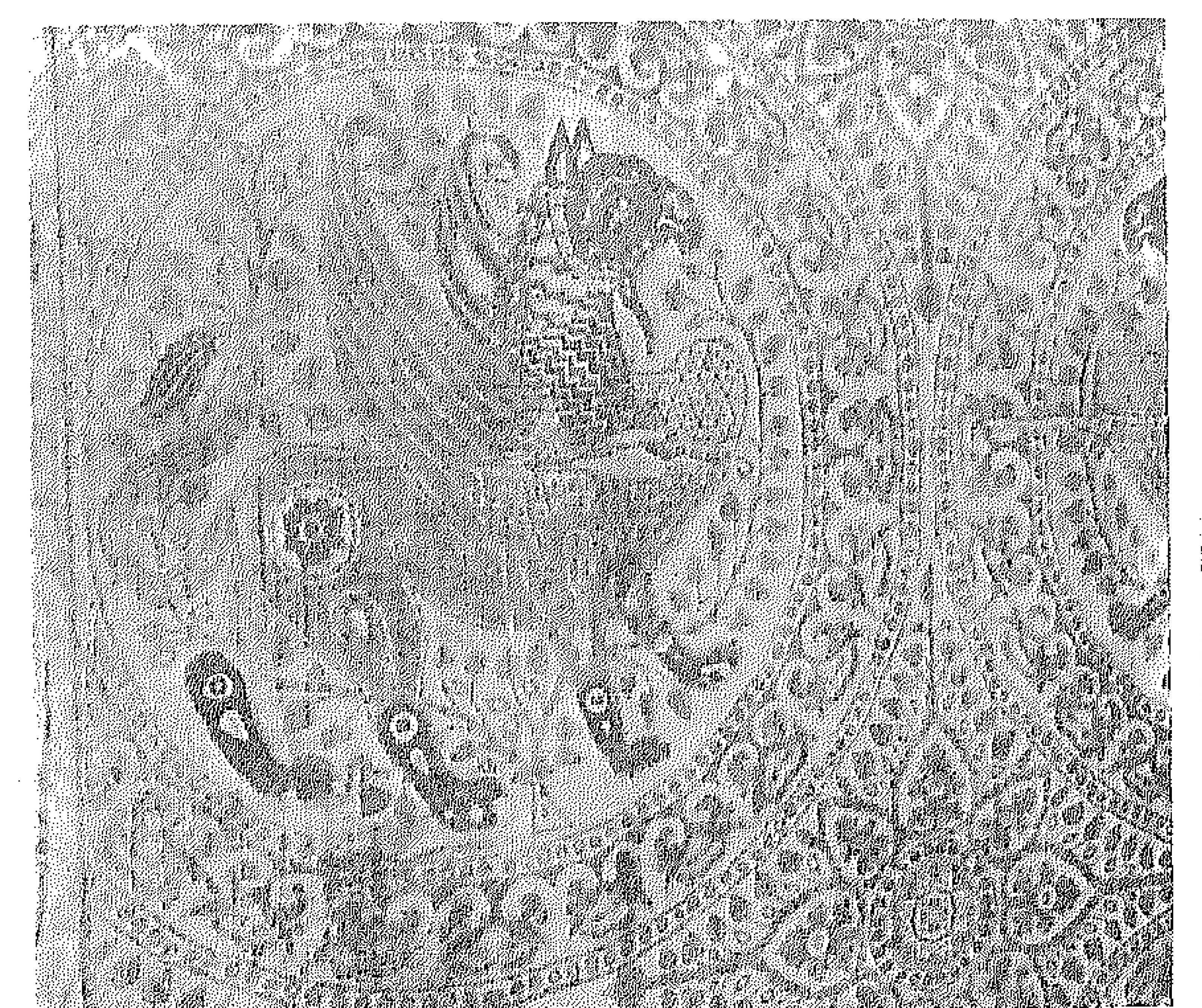
(شكل ٧٦) قطعة نسيج مزخرفة بموضوع ديني مكرر فى دوائر بكنيسة بروما . القرن السابع أو الثامن .



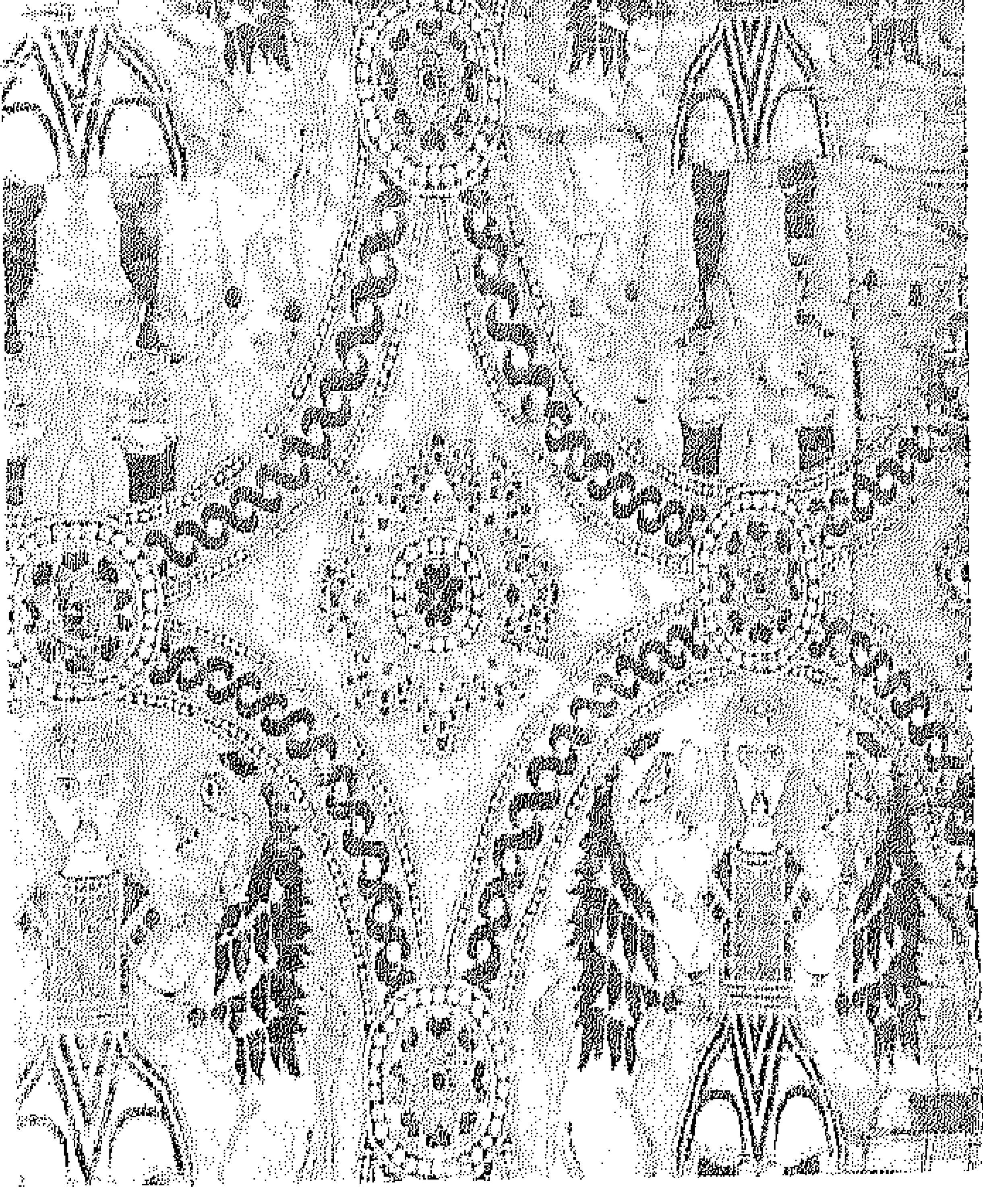


(شكل ٧٧) قطعة نسيج مزخرفة بوحدة رجل فى عربة يجرها أربعة جياد . القرن الثامن أو التاسع بمتحف كلونى بباريس

(شكل ٧٨) قطعة نسيج حريرية مزخرفة بوحدة رجل بين أسدين كتدرائية سانس .



(شكل ٧٩) قطعة نسيج حريرية مزخرفة بوحدة حيوان السمرج ، متحف فيكتوريا والبرت

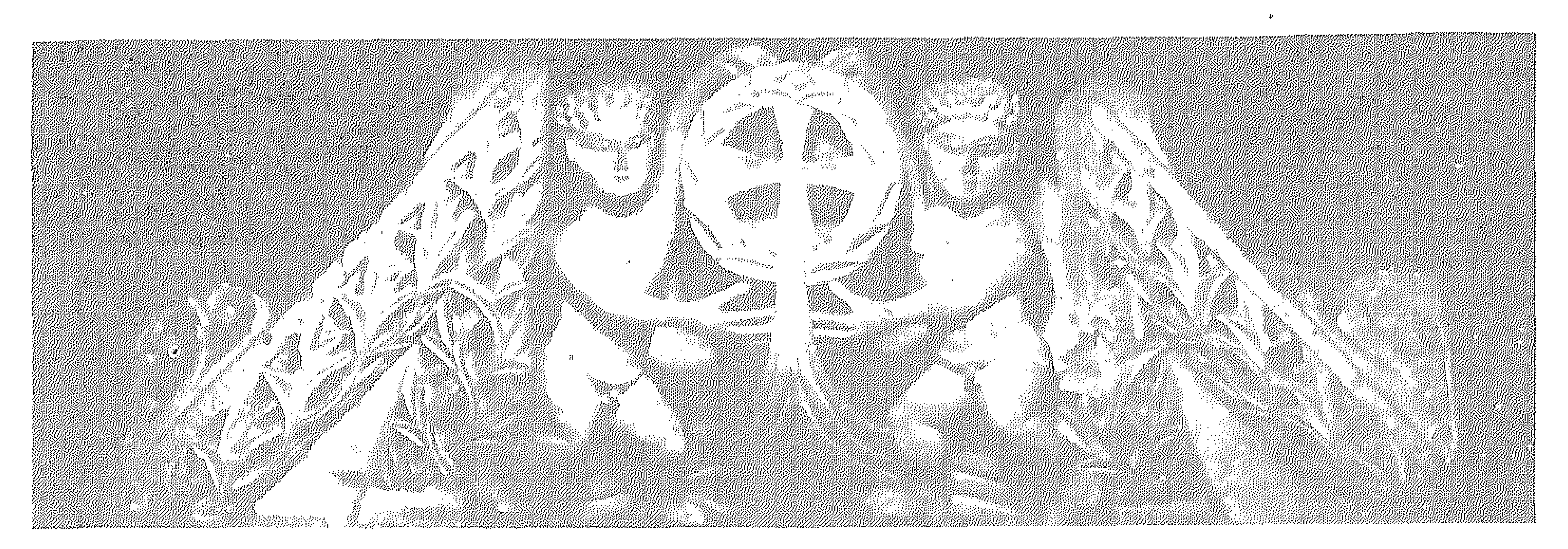




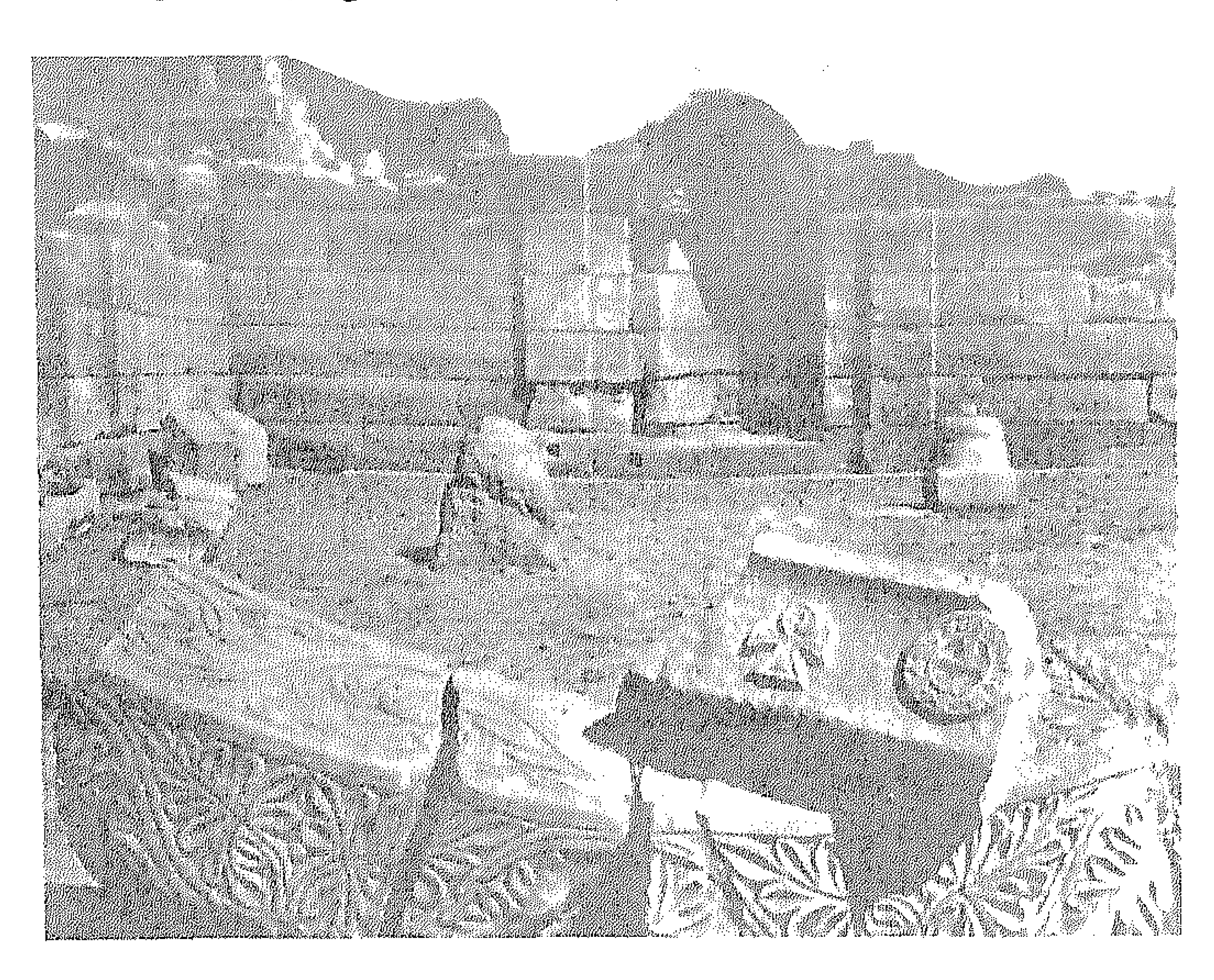
(شكل ٨٠) نحت بارز على الحجر يصور القديس مينا عثر عليه فى كنيسة القديس مينا بالقرب من الإسكندرية حالياً بالمتحف الإغريقى الرومانى . الإسكندرية



(شكل ٨١) حشوة من الحجر الجيرى من مدينة أهناسيا بالوجه القبلى وتظهر به زخارف بارزة تصور الآلهة أفروديت خارجة من صدفة . القرن الخامس . المتحف القبطى بالقاهرة



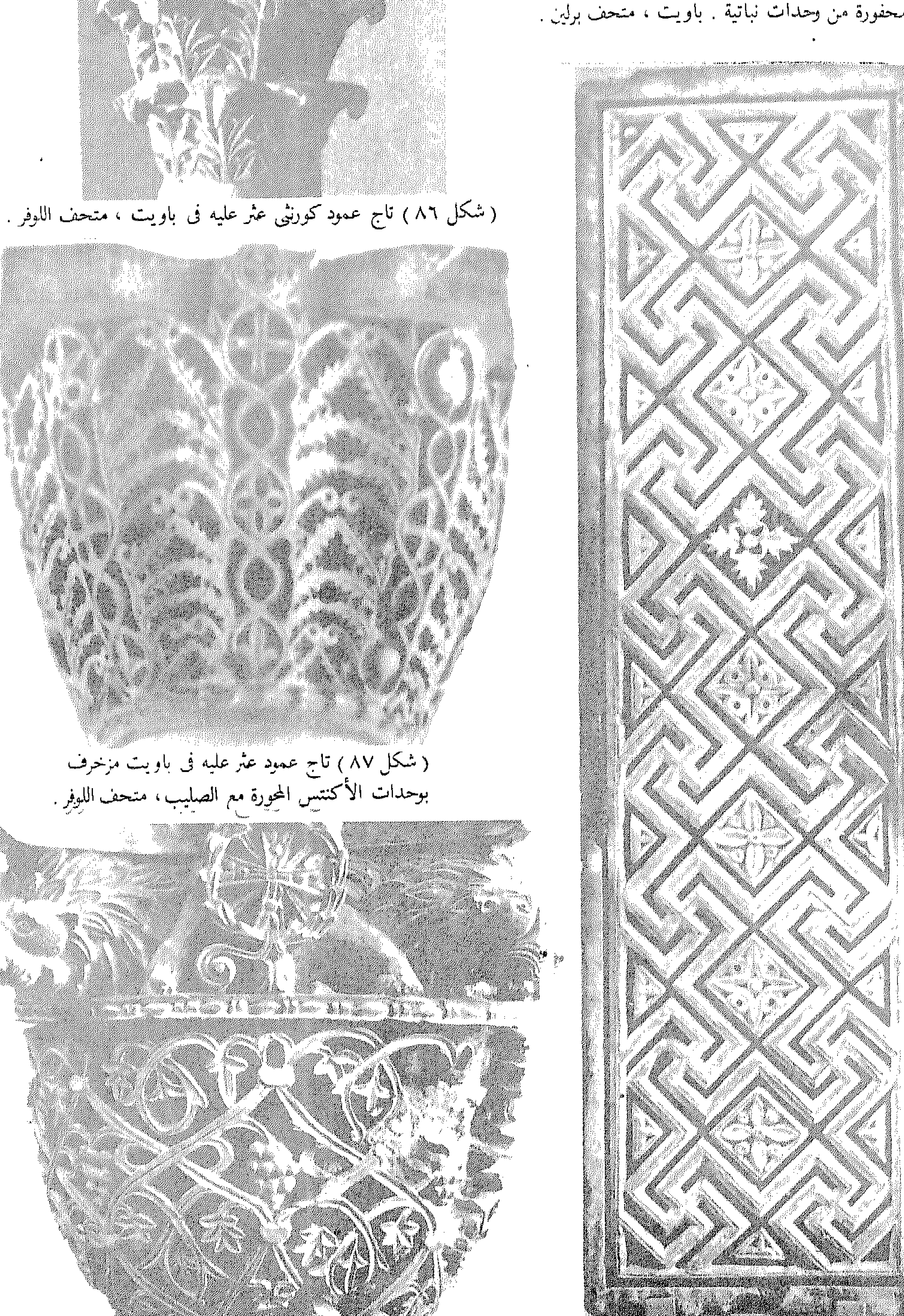
(شكل ٨٢) حشوة من الحجر الجيرى عثر عليها فى مدينة سوهاج ، ويظهر بها طفلان يحملان إكليلاً من الغار يتوسطه صليب . النصف الثانى من القرن الخامس . المتحف القبطى . القاهرة



(شكل ٨٣) نحت بارز عثر عليه فى كنيسة مقامة فى فناء معبد دندرة البطلمى . أواخر القرن الخامس ويلاحظ الصليب وبجواره علامة عنخ



(شكل ٨٤) أفريز من الحجر الجيرى به زخارف مكونة من عناقيد العنب ويتوسطها الصليب عثر عليها فى دير القديس « أبا أبولو » بمدينة باويت بالوجه القبلى . النصف الثانى من القرن السادس ، بمتحف اللوفر .

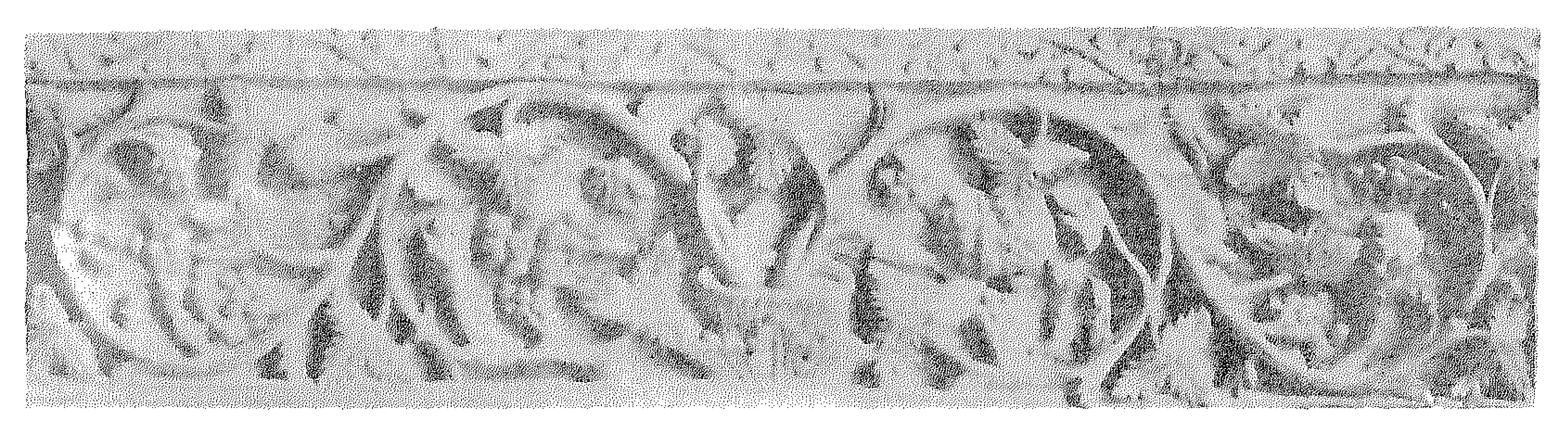


(شكل ٨٥) لوحة من الحجر بها زخارف هندسية محفورة من وحدات نباتية . باويت ، متحف برلين .

(شكل ٨٦) تاج عمود كورنثى عثر عليه فى باويت ، متحف اللوفر .

(شكل ٨٧) تاج عمود عثر عليه فى باويت مزخرف بوحدات الأكنتس المحورة مع الصليب ، متحف اللوفر .

(شكل ٨٨) تاج عمود عثر عليه فى باويت مزخرف بوحدات نبات العنب وصليب ، بمتحف برلين .



(شكل ٨٩) حشوة خشبية مزخرفة بتفريعات العنب ، كانت فى باب كنيسة ست بربارة ، حالياً المتحف القبطى بالقاهرة



(شكل ٩٠) باب كنيسة ست بربارة ، حالياً المتحف القبطى بالقاهرة .

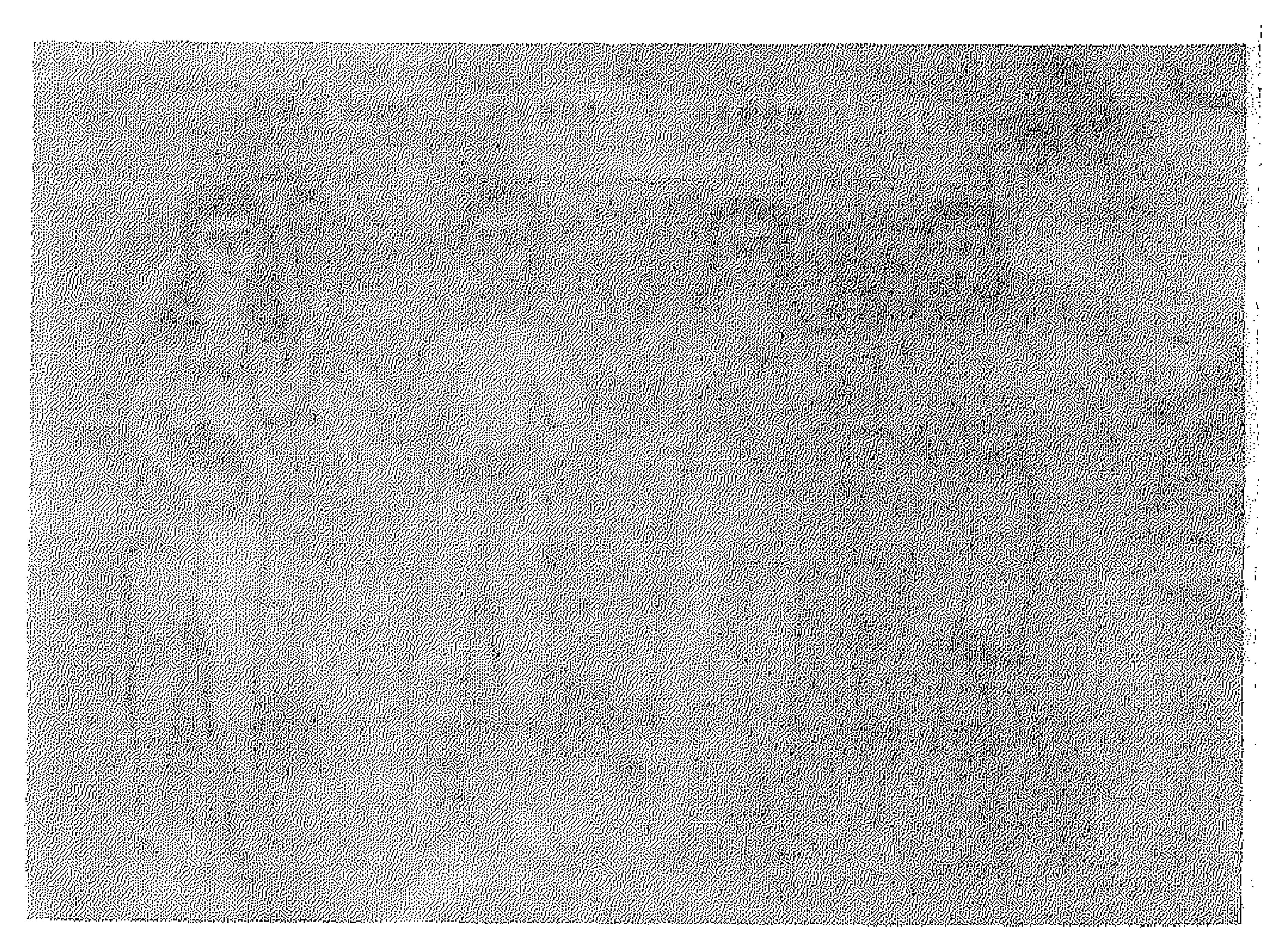
(شكل ٩١) حشوة خشبية بها نقوش لتفريعات نباتية . تكون جامات تحصر بينها عناصر حية وصليب ، المتحف القبطى بالقاهرة



(شكل ٩٢) لوح من الخشب منقوش عليه شكل قديس .
المتحف القبطى بالقاهرة .



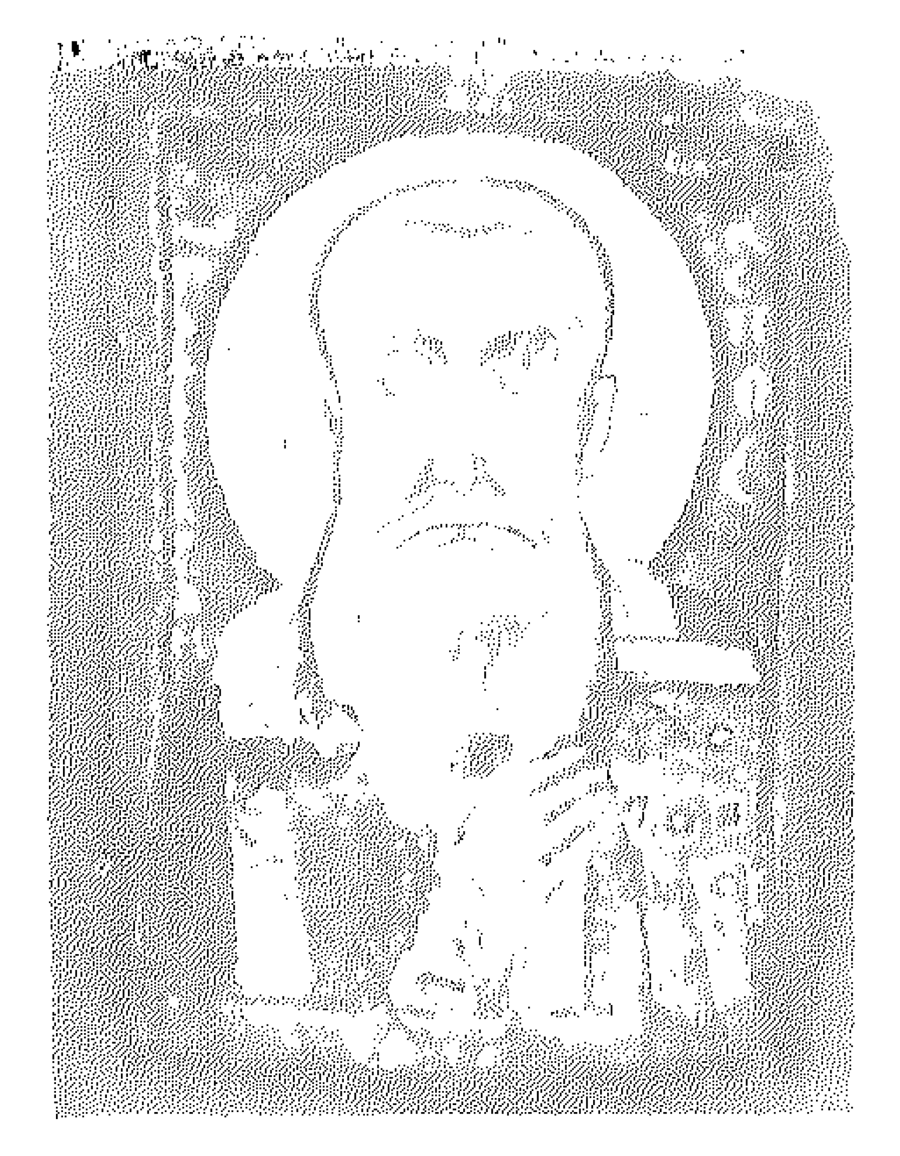
(شكل ٩٣) باب كنيسة ست بربارة مزخرف بزخارف إسلامية .
العصر القبطى .



(شكل ٩٤) تصوير جدارى وجد فى
كنيسة فى أم البريجات .



(شكل ٩٥) تصوير جداري يغطي حنية عثر عليه فى باويت يصور المسيح والعذراء . القرن السادس ، حاليا بالمتحف القبطى بالقاهرة



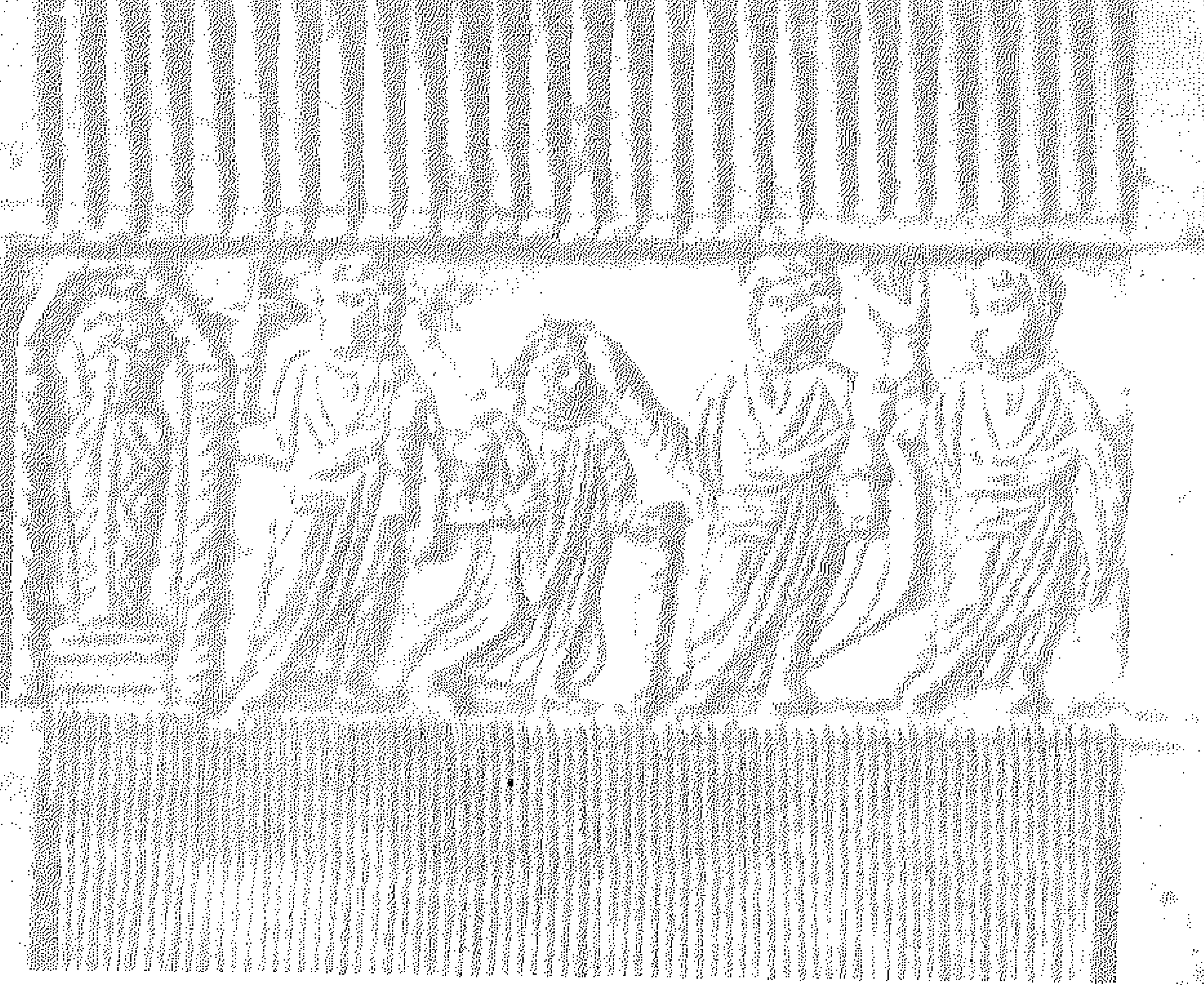
(شكل ٩٧) أيقونة تصور قديس القرن السابع . دير القديسة كترينة .



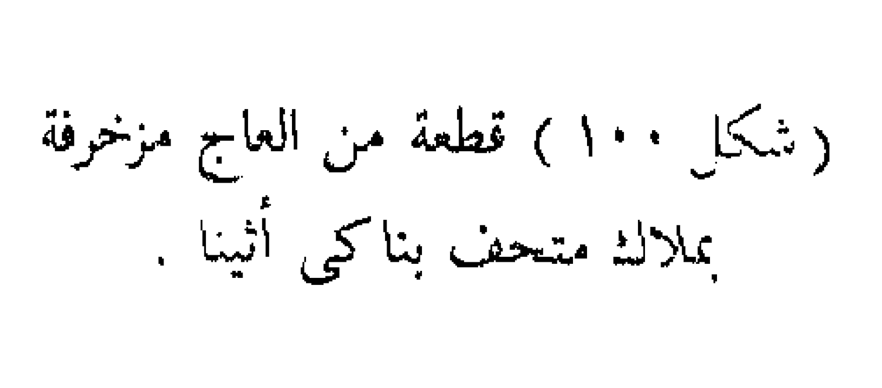
(شكل ٩٦) تصوير على الخشب للسيد المسيح مع القديس ينا .



(شكل ٩٨) فسيفساء بدير القديسة كترينة بسيناء .



(شكل ٩٩) مشط من العاج مزخرف من الجنبين بمواضيع دينية . حالياً بالمتحف القبطى بالقاهرة .



(شكل ١٠٠) قطعة من العاج مزخرفة بملاك متحف بناكى أثينا .



(شكل ١٠١) زخارف معدنية على شمعدان تصور أفروديت بين زوج من أيروس .
القرن الرابع أو الخامس . بمتحف اللوفر .



(شكل ١٠٢) قطعة نسيج مزخرفة بموضوعات وثنية .
القرن الرابع ، الخامس ، متحف اللوفر .

(شكل ١٠٣) قطعة نسيج مزخرفة بموضوع ديني
(قصة النبي يوسف) بمتحف الارميتاج بلننجراد .



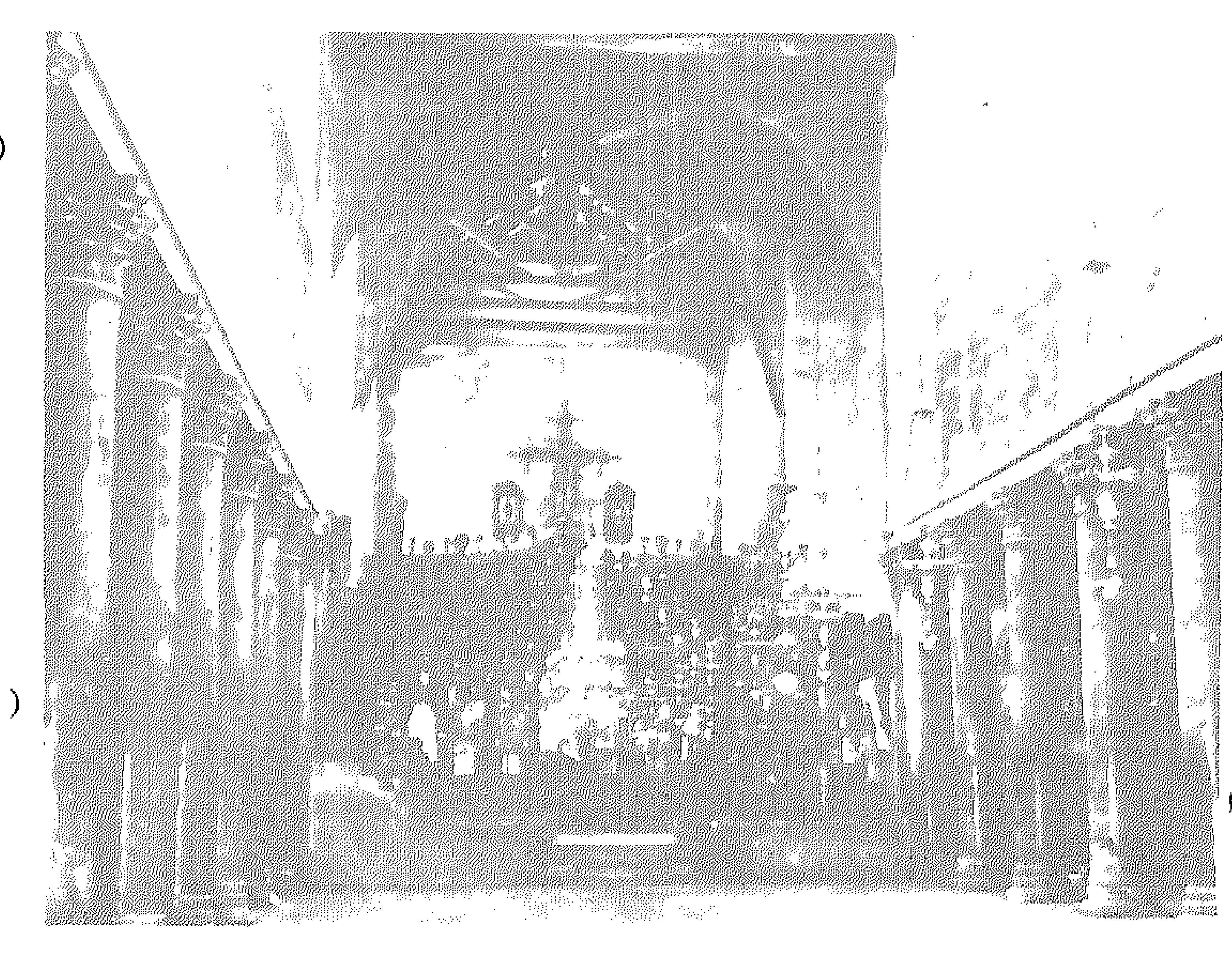


(شكل ١١٤) قطعة نسيج مزخرف بزخارف حية محورة القرن السابع .

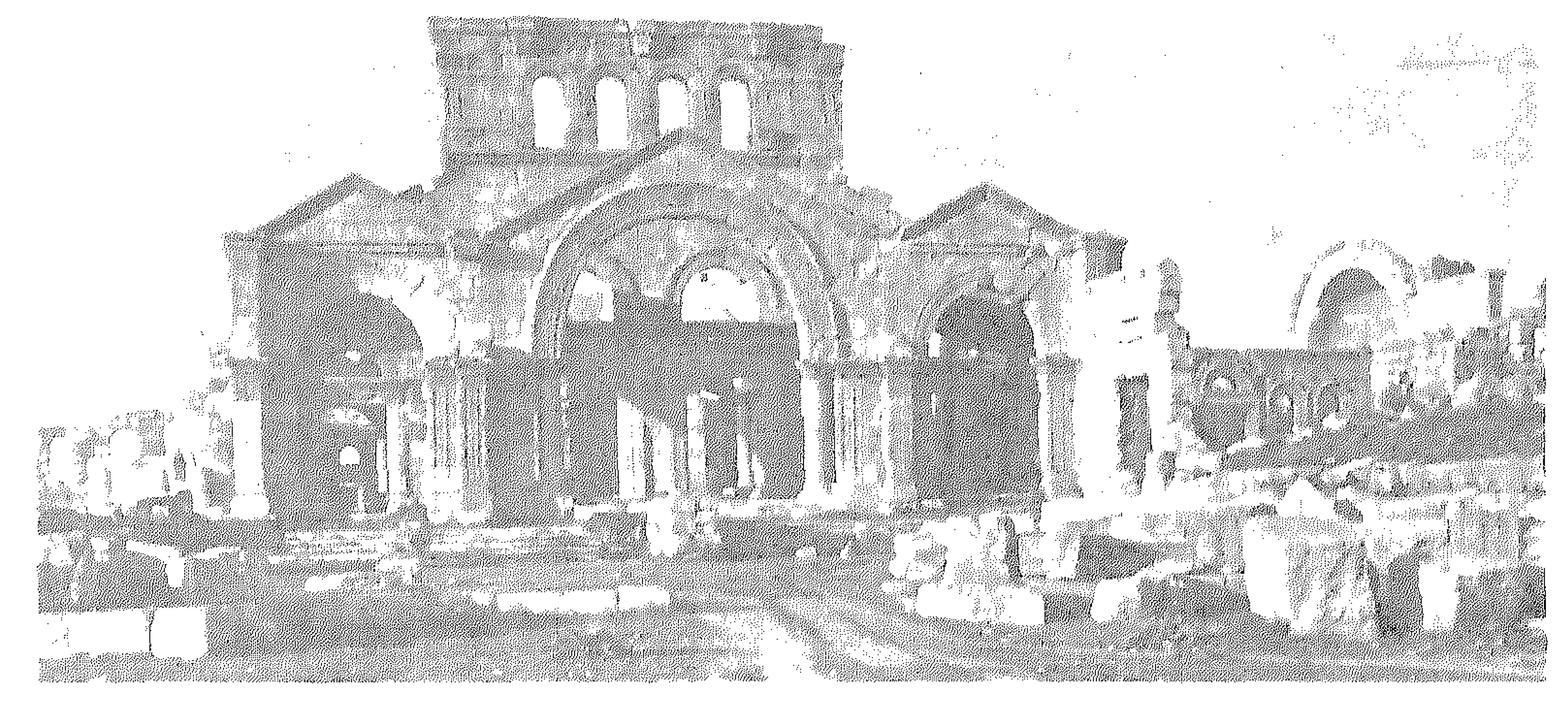


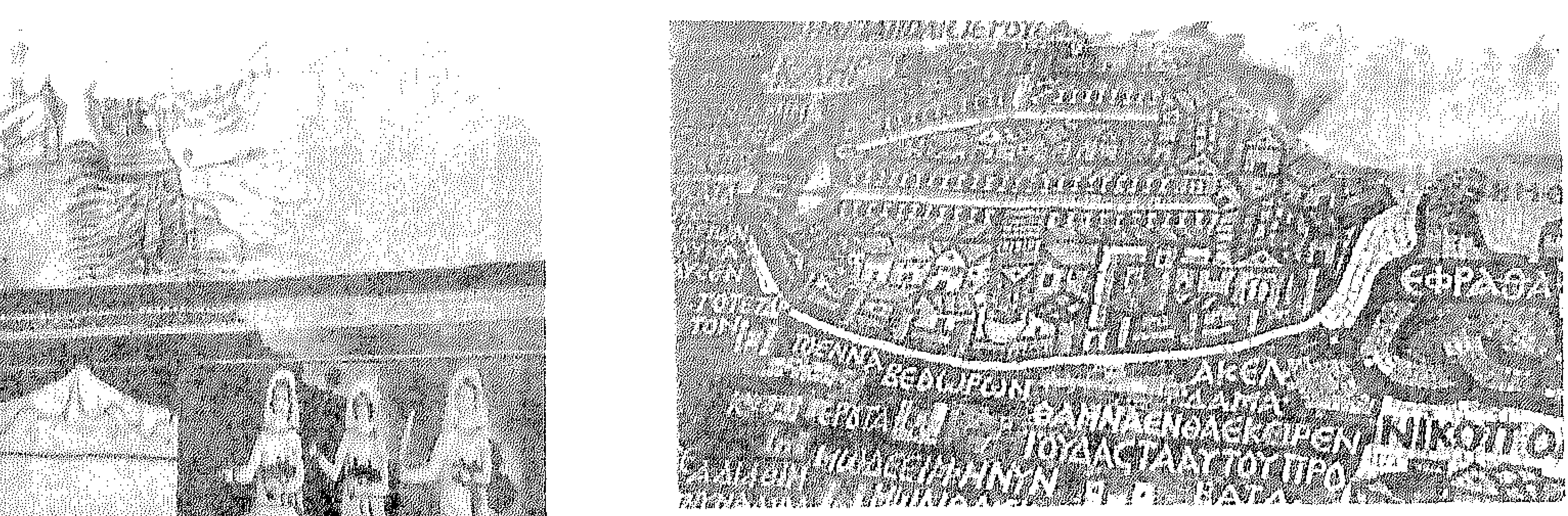
(شكل ١١٥) قطعة نسيج مزخرفة بوحدة آدمية يتوسطها مربع وحولها زخارف لرؤوس آدمية بدون أعناق .
القرن السادس .

(شكل ١٠٦) كنيسة بازيليكة بيت المقدس .

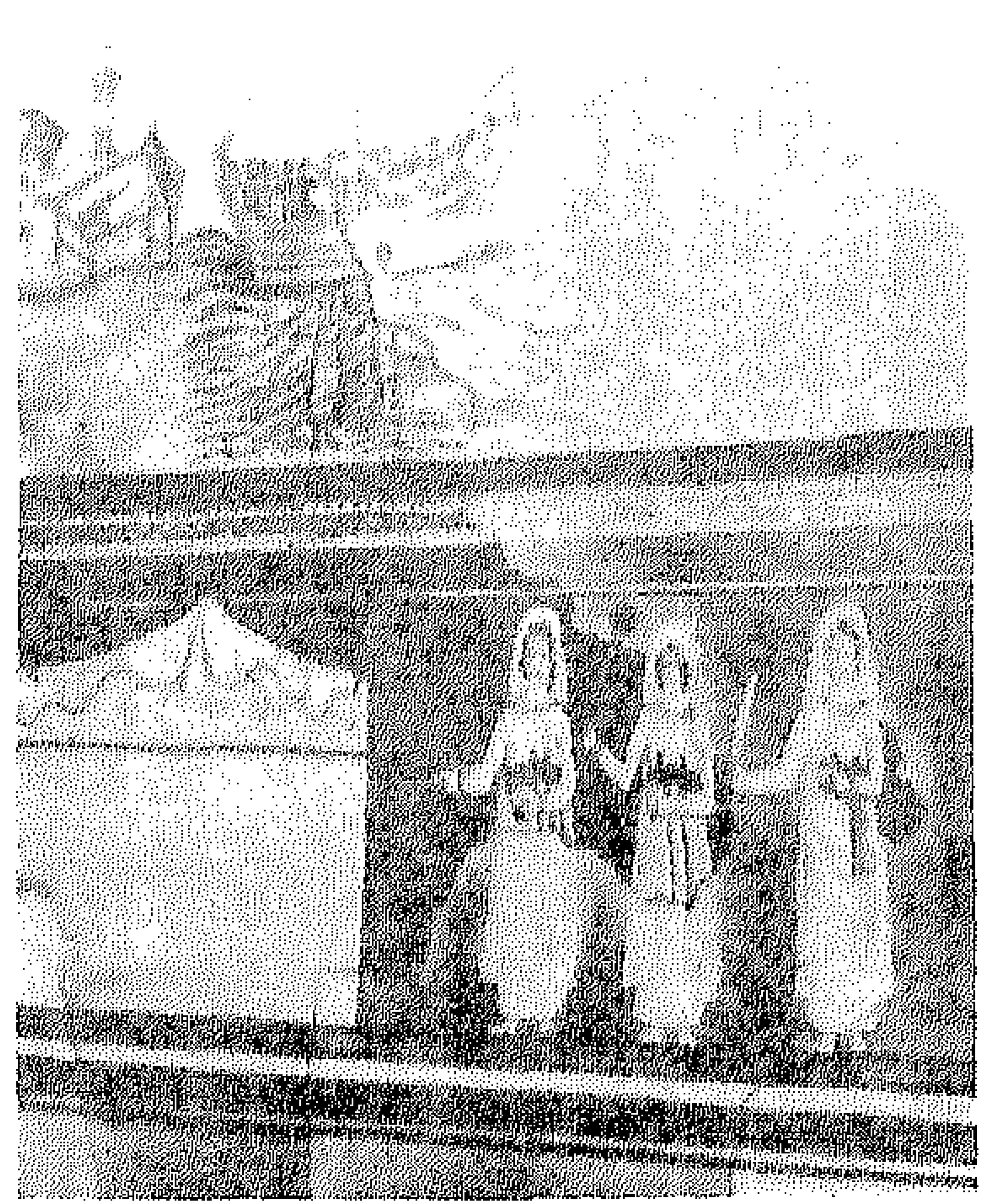


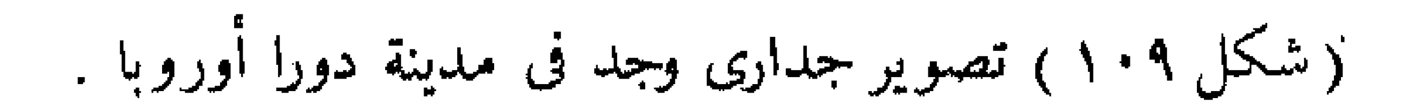
(شكل ١٠٧) مبنى قلعة السمان بسوريا ويظهر من الصورة زواق البازيليكا الجنوبية ، حوالى عام ٤٧٠ م

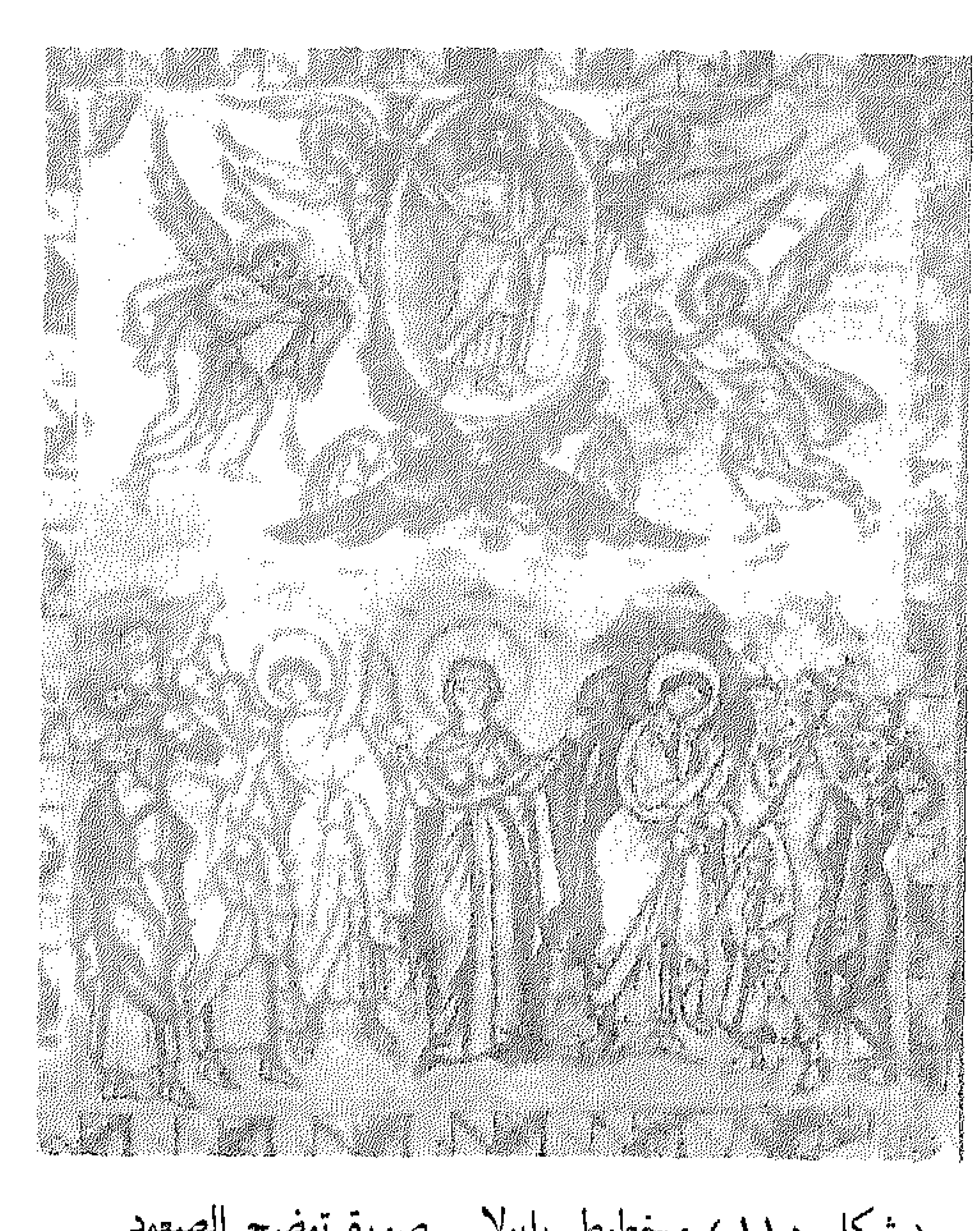




(شكل ١٠٨) فسيفساء عثر عليها فى مدينة ما دابا بالأردن .




(شكل ١٠٩) تصوير جدارى وجد فى مدينة دورا أوروبا .



(شكل ١١٠) مخطوط رابولا . صورة توضح الصعود . مكتبة لورنتين بفلورنس .



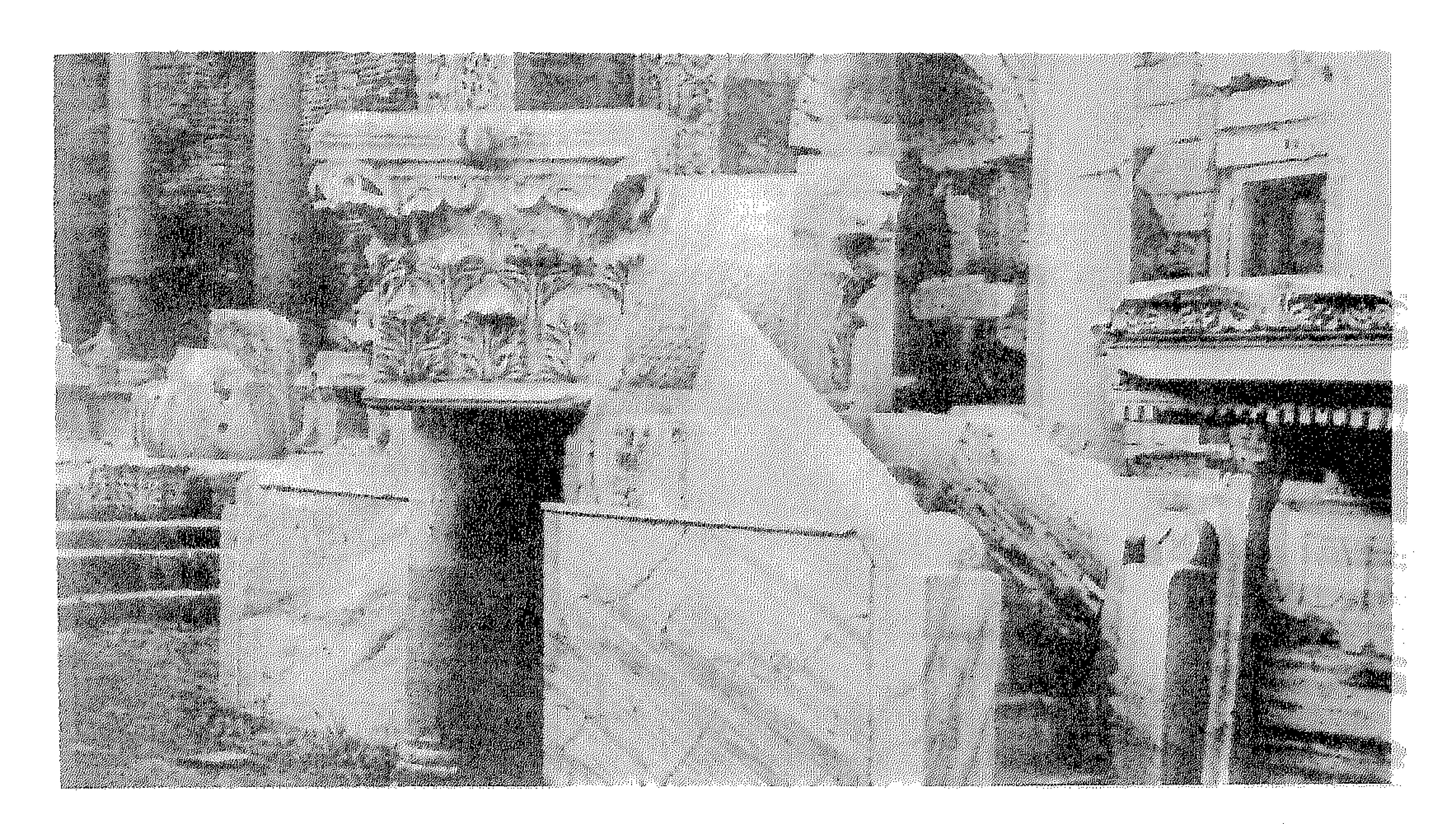
(شكل ١١١) قطعة من العاج منقوشة بمناظر دينية . سوريا . القرن السادس . المتحف البريطانى .



(شكل ١١٢) قنينة من الفضة منقوشة بموضوع دينى حالياً فى كتدرائية مونزا بإيطاليا .



(شكل ١١٣) قطعة نسيج مزخرفة بمناظر صيد محفوظة بكنيسة القديس سرفاتيوس بألمانيا .



(شكل ١١٤) بازيليكا مدينة لبدة ، بعد أن تحولت إلى كنيسة . ليبيا .



(شكل ١١٥) تاج عمود مزخرف بأسلوب بيزنطي عثر عليه في قرطاج .



(شكل ١١٦) فسيفساء عثر عليها في قرطاج تمثل سيدة .



قطعة نسيج مزخرفة بوحدة أفروديت . الفن القبطى فى مصر . القرن الخامس – السادس .
حالياً بمتحف اللوفر



«سيدة من البلاط الساسانى» وحدة زخرفية ملونة وجدت بأرضية مغطاة بالفسيفساء فى قصر مدينة نيسابور . العصر الساسانى بإيران – النصف الثانى من القرن الثالث الميلادى .

الباب الثالث

إيران

تمهيد تاريخى :

كان إخضاع الإسكندر الأكبر للإمبراطورية الفارسية التى أسسها كورش فى الشرق ، فاجعة كبيرة أصابت إيران التى حمل حكامها الأكمينيون لمدة قرنين لقب ملك الملوك . وانتقل اللقب والإمبراطورية إلى البطل المقدونى بعد هزيمته لدارا الثالث . وبعد أن جلس الإسكندر على عرش دارا فى مدينة سوسا العاصمة الفارسية فى عام ٣٢٤ ق . م . ، شجع على إدماج الثقافة والعادات الفارسية بالروح الهيلينيــة ، فتزوج من إبنة دارا وشجع قواده على التزاوج المتبادل ، وتقرب إلى الفرس بتعيين أمرائهم فى خدمته كما اعترف بالديانة الفارسية .

وبعد موت الإسكندر وقعت إيران من نصيب الدولة السلوقية التى تأسست فى سوريا وبلاد النهرين ، وكانت هذه بداية لمرحلة من الاضطرابات سادت البلاد لفترة . فبعد أن زال نفوذ السلوقيين صار حكم إيران فى يد شعب أصله من بدو السيث ، إلا أن إيران سرعان ماتمكنت من العثور على زعماء جدد تمكنوا من التحرر من سيطرة الغرب الهيلينى ، فاستعادت البلاد مرة ثانية استقلالها بفضل زعامة الملوك الفرثيين الذين يحكمون فى ولاية « فارثيا » الفارسية التى تقع جنوب غرب بحر قزوين .

ويرجع أصل الحكام الجدد إلى الجنس الهندوأوربى الذى هاجر إلى إيران فى أواخر القرن الحادى عشر ق . م . لذلك نجد أنهم يزعمون نسبهم إلى ملوك الفرس الأكمينيين . ولقد ظهر الفرثيون فى القرن الثالث قبل الميلاد فى شمال إيران ، وانتهز مؤسس الأسرة « أرشاق » الحروب التى كانت قائمة باستمرار بين السلوقيين والبطالسة وأعلن استقلاله . وعظم نفوذ الفرثيين بالتدريج إلى أن تمكن أرشاق من طرد السلوقيين من إيران فى عام ٢٥٠ ق . م . وأسس أسرة حاكمة عاصمتها أكباتانا .

وبعد استيلاء الرومان على ممتلكات العهد الهيلينى الشرقية بدأت سلسلة من المناوشات بينهم وبين الفرثيين . وقد سببت هذه الحروب المتتالية انحلال الدوله مما ساعد أردشير الساسانى على الإطاحة بحكم الدولة الفرثية وتكوين الدولة الساسانية فى عام ٢٣٨ م . واستمر حكم الساسان لإيران حتى الفتح الإسلامى الذى بدأ فى عام ٦٤٢ م .

الفصل الأول

الدولة الفرثية ـــ الفن الفرثى

تمهيد تاريخى :

كون الملك أرشاق أسرة حاكمة فى إيران فى عام ٢٥٠ ق . م . وكان أسماء أغلب ملوك الأسرة أفرهاط أو أرطبان أو مترىدات ، وكانوا فى حروب مستمرة مع السلوقيين . وتمكنوا فى عصر مترىدات الأول (١٧٠ - ١٣٨ ق . م .) من فتح بلاد النهرين فى عام ١٣٩ ق . م . وطردوا أنطيوخس السابع من بابل وميديا . وبذلك تمت لهم السيطرة على بلاد النهرين . واتخذ الفرثيون سلوقية عاصمة لهم فى الشتاء ، واتسعت المدينة فى عهدهم من الجانب الأيسر لنهر دجلة وعرف هذا الجزء بعد ذلك باسم « طيسفون » ، وصار ملوكهم يحكمون إيران والعراق . واستمرت حروبهم ضد السلوقيين .

ولما استولى الرومان على سوريا بعد اتساع الإمبراطورية الرومانية بدأت سلسلة من المناوشات بين الرومان والفرثيين . إلا أن الجيش الفرثى القوى تمكن من الانتصار على الرومان فى معركة حران ٥٣ ق . م فى عهد يوليوس قيصر . وفى القرن الأول الميلادى كان الجزء الغربى من منطقة الشرق الأوسط جزءاً من الإمبراطورية الرومانية . أما العراق وإيران فكانتا تحت حكم الأسرة الفرثية .

استمرت الحروب بينهما سجالا من عام ١٦١ م حتى ٢١٧ م ، وتمكنت الإمبراطورية الرومانية من الاستيلاء على ممتلكات الفرثيين فى الغرب ووصلوا إلى طيسفون . وقد أدت هذه الحروب إلى ضعف الدولة ، كما قامت منازعات مستمرة بين الأمراء الفرثيين مما شجع أردشير الساسانى على الثورة على أرطبان الخامس والقضاء عليه عام ٢٢٦ م وكون الدولة الساسانية .

نشأت فى عهد الفرثيين مدن فى الصحراء السورية والعراقية استخدمت كمراكز للقوافل التجارية العربية أشهرها البتراء والحضر . وكانت مدينة الحضر العربية الواقعة

فى الصحراء العراقية بين دجلة والفرات من أشهر المدن العراقية فى زمن الفرثيين ، وذلك لوقوعها بين القوتين المتحاربتين الفرس من الشرق والرومان من الغرب . وكان يحكم هذه المدينة والمنطقة المحيطة بها سلالة عربية منذ القرن الأول للميلاد واستمر سلطانهم حتى منتصف القرن الثالث واشتهر من ملوكها نصرو رئيس الكهنة وابنه سنطرق الأول . ويرجح أنه كان معاصراً للملك الفرثى أولغاش الأول (٥١ — ٧٧ م) ولقب الملك سنطرق الثانى بملك العرب وانتهى شأن هذه المدينة بعد أن غزاها الملك شاهبور الأول الساسانى فى عام ٢٥٠ م .

يعتبر فن الفرثيين فترة انتقال بين الفن الفارسى الأكمينى الذى زال بالغزو الإغريقى المقدونى ،والساسانى القومى الذى يظهر فى إيران بعد ذلك ويستمر حتى الفتح الإسلامى . ولقد ساعد على تغلغل تقاليد الثقافة الهيلينية وفنونها انتشار الجاليات الإغريقية فى إيران حين كانت فى حوزة الإسكندر وخلفائه السلوقيين . ونلاحظ أن الأسلوب الهيلينى قد بسط نفوذه على الآثار التى ظهرت فى هذه الحقبة .

لايظهر طابع فنى خاص بالفرثيين إلا بعد أن تمكنوا من طرد السلوقيين من العراق فى عهد متريدات الأول ، حيث يأخذ الطابع الفنى الفرثى فى الظهور فى الآثار المختلفة . إلا أنه للأسف لم يبق من الفن الفرثى آثار تذكر يمكن نسبتها إلى العائلة الحاكمة ، لأن الآثار التى عثر عليها هى من عمل الشعوب المختلفة التى خضعت لحكمهم .

العمـــارة :

آمن الفرثيون بعبادة النور والظلام مثل أجدادهم الإكمينيين . وشيدوا للنار هياكل حجرية عثر على نماذج منها فى برسيبوليس ونورآباد بولاية فارس . ويتضح فى طرازها المعمارى النمط المتبع فى تشييد هياكل النار الحجرية فى عصر الأكمينيين .

وباستثناء هذه الهياكل الحجرية لم يعثر فى إيران على آثار معمارية تذكر من العهد الفرثى ، وتنحصر معظم الآثار التى تساعد على دراسة طراز المعمار الفرثى فى خارج حدود إيران فى الأجزاء القريبة من الإمبراطورية ، حيث عثر على آثار ترجع إلى ذلك العهد

فى مدن « الوركاء وأشور والحضر »[١] وفى مدينة كوهى خفاجا فى إقليم سيستان بالعراق . وقد شيدت هذه المبانى بعدماتمكن الفرثيون من طرد السلوقيين من بلاد النهرين .

يتضح من دراسة آثار مدينة الحضر ، أن الفرثيين قد ابتكروا تصميماً جديداً للمدن – فخططوا هذه المدينة على هيئة دائرة يحيط بها سوران ، وبكل سور منهما أربعة أبواب كبيرة كما حصن السور الداخلى بأبراج ، وكان الآجر واللبن هى الخامة المستخدمة فى عمليات البناء . ويدل الطراز المعمارى لمبانى هذه المدينة على امتزاج الفنون العراقية القديمة ببعض التأثيرات الهيلينستية الإغريقية الرومانية وبعض الفنون الفارسية .

ويتوسط مدينة الحضر المعبد الرئيسى الكبير الذى شيد للإله شماش (مرن) إله الشمس (ش ١١٧) وبجانبه معابد للآله أخرى . ويظهر بمعبد مرن كبير آلهة الحضر التأثير الهيلينستى . وتدل كثرة المعابد على ثراء أهل المدينة وعلى اندماج المعتقدات الشرقية والهيلينية

وجد كذلك بالمدينة آثار قصر وقبور ملوكها . ويختلف تخطيط القصر عن العهد الأكمينى ، كما اختفى استعمال الأعمدة فى حمل السقف ، فاستبدل السقف الأفقى بسقف مقبى ، وهذا وجد أيضاً فى آثار آشور ، وتعرف هذه القاعات باسم الإيوان . ويظهر فى مبانى الحضر العقود والأعمدة المتصلة بالجدران . وقد استمر ظهور فن العمارة الفرثية فى أسلوب العمارة الساسانية فيما بعد .

اهتم أهل الحضر بزخرفة سطح جدرانهم بزخارف من ملاط به جص ، وتشكل هذه الزخارف على جدران قصر مدينة الحضر على هيئة وجوه آدمية (ش ١١٨) ، أو تشكل على هيئة زخارف هندسية كالتى عثر عليها فى مبانى كوهى خفاجا (ش ١١٩) . وهذا الإسلوب جديد على الفن الإيرانى ، كما أن عمل زخارف على هيئة رءوس آدمية هو ابتكار ظهر فى العصر الفرثى

---

(١) تقع مدينة الحضر حالياً داخل الجمهورية العراقية على بعد خمسين ميلا غرب الموصل .

النحـــــت :

لم يعثر للفنان الفرثى فى إيران على إنتاج كبير فى نحت تماثيل آدمية . وتعكس التماثيل التى تنسب إلى تلك الفترة صور الأجناس المختلفة التى كانت تحت حكم إيران فى العصر الفرثى . ومن أحسن الأمثلة تمثال من البرونز عثر عليه فى معبد فى مدينة شامى بولاية بختيارى (ش ١٢٠) يرجع إلى القرن الثانى الميلادى ربما يمثل حاكم المدينة ، ويوضح هذا التمثال شكل الزى الفرثى . وتدل صناعة التمثال على مهارة فنية فى دراسة الجسد البشرى وفى إظهار ثنيات الزى .

ومن التماثيل التى عثر عليها خارج حدود الدولة ، تماثيل بالحجم الطبيعى عثر عليها فى مدينة الحضر ، تمثل الحكام والآلهة ونساء ورجال الحضر البارزين . ويظهر فى تمثال الملك أوتال (ش ١٢١) اهتمام الفنان بتسجيل تفاصيل الزى الدقيقة ، كما يصور الملك رافعاً كف يده اليمنى علامة الطاعة للإله .

النحت على الأحجار :

سجل الفنان الفرثى على الصخور الموجودة فى إيران نقوشاً تصور مواضيع المثول أمام الآلهة والانتصارات التى أحرزها ضد الأعداء ، كما سجل مناظر الصيد والقنص هواية الملوك الفرثيين ، إلا أن هذه النقوش لم تتميز بدقة أو عناية . ويتضح ذلك من النقوش التى عثر عليها على صخرة فى جهة « تانجى سرواك » (ش ١٢٢) حيث نلاحظ أن نسب الأشخاص غير دقيقة فى الموضوع الدينى المسجل فى الصف الأعلى وفى موضوع الصيد المسجل فى الصف الأسفل . مما يدل على ضعف الفنان فى هذا النوع من الفن بصفة خاصة .

التصوير الجدارى :

استخدم الفرثيون التصاوير الجدارية الملونة فى زخرفة جدران القاعات الداخلية . وعثر فى مدينة « كوهى خفاجا » على قصر مزخرف أحد جدرانه بصورة الملك وملكة

يتوسطان بعض أفراد من الحاشية (ش ١٢٣) . وصورة لثلاث آلهة على هيئة آدميين على جدار آخر . إلا أن هذه الجدران قد تداعت للأسف حالياً .

ويمكن معرفة طراز هذه التصاوير ، من الصور الجدارية التى رسمت فى مبانى مدينة دورا أوربا بعد أن أخذها الفرثيون من السلوقيين حيث عثر على مشاهد مختلفة على جدران معبد شيد فى القرن الأول بعد الميلاد يمكن نسبته إلى تلك الفترة . ومن أهم هذه التصاوير الموضوع الذى يصور احتفالاً دينياً ، (١٣١) فنرى راهبين يرتديان زياً أبيض اللون يقومان ببعض الطقوس الدينية ويقف معهما شخص ثالث ويلاحظ فى رسم الأشخاص وضع المواجهة الذى يتميز به الأسلوب الفرثى .

الفصل الثانى

الدولة الساسانية ـــ الفن الساسانى

تمهيد تاريخى :

تكون نظام شبه إقطاعى فى إيران بعد ضعف الدولة الحاكمة الفرثية ، وكان يحكم هذه الولايات أمراء من إيران يؤكدون نسبتهم إلى الأسرة الأكمينية . ثم تمكن « أردشير بن بابك بن ساسان »(١) أمير مقاطعة فارس من ضم الأمراء الفرس إليه وحارب « أرطبان الخامس » وقضى عليه عام ٢٢٦ م . وأسس أردشير (٢٢٦ - ٢٤١ م) دولة فارسية ساسانية ورثت جميع ممتلكات الدولة الفرثية فى إيران والعراق ، وجعل طيسفون العاصمة الشتوية للدولة الساسانية .

وقامت بين أردشير وبين الرومان مناوشات كثيرة استمرت فى عهد ابنه شابور الأول (٢٤١ – ٢٧٢ م) الذى حارب الرومان فى بلاد الشام ، وتمكن من تكوين إمبراطورية كبيرة بعد أن هزم الإمبراطور الرومانى فاليران فى موقعة إيداسا فى سنة ٢٦٠ م . ودخل أنطاقية وغنم منها غنائم كثيرة ، وقد اهتم شاهبور بتسجيل هذا الانتصار على الجبال فى إيران . إلا أنه انهزم أمام أذينة ملك تدمر فى عام ٢٦٥ م . وكان عهده ذهبياً ازدهرت فيه العلوم والآداب وظهر فى تلك الفترة مانى صاحب المذهب الدينى المانوى الإيرانى .

توالى على حكم الدولة الساسانية عدد من الملوك الضعاف إلى أن تولى الحكم شاهبور الثانى (٣١٠ – ٣٧٩ م) ، فحارب الإمبراطور قسطنطين وانتصر عليه وكانت المسيحية قد صارت دين الدولة الرسمى فى تلك الفترة ولقد صار سلطان الدولة الساسانية قوياً فى منطقة الشرق الأوسط بعدما امتدت أطراف الإمبراطورية مرة ثانية فى حكم شاهبور الثانى .

---

(١) أخذ ملوك الساسان اسمهم من جدهم ساسان الذى كان يشغل وظيفة رئيس معبد الآلهة أناهيتا فى إحدى الولايات الإيرانية فى عهد ملوك أسرة الفرثيين .

قويت شوكة القبائل العربية التي وجدت في الشام في تلك الفترة وأشهرهم الغساسنة الذين انتشروا في وادي حوران جنوبي دمشق . وازدادت قوة الغساسنة وانتشر الدين المسيحي بينهم وساعدوا الدولة البيزنطية في حروبها مع الساسانيين . واشتهرت في الحيرة دولة المناذرة اللخمية ، وتقع مدينة الحيرة في العراق على نهر الفرات بالقرب من الكوفة . وكان ملوك الحيرة في صف الساسانيين يحاربون الغساسنة والبيزنطيين .

جدد الملك كسرى الأول (أنوشروان) (٥٣١ - ٥٧٩ م) بناء مدينة طيسفون (طاق كسرى) سنة ٥٤٠ م ، وفتح أنطاكية ، كما وسع الملك كسرى الثاني (أبرويز) (٥٩٠ - ٦٢٨ م) ممتلكات الدولة ، ففتح مصر واستولى على جزء من آسيا الصغرى وحاصر القسطنطينية مركز حكم الإمبراطورية البيزنطية . ولقد أرسل له النبي العربي محمد صلى الله عليه وسلم رسولا يطلب منه الدخول في الدين الجديد . إلا أن كسرى الذي غررت به الانتصارات رفض ولم يستمر في الحكم طويلا ، حيث قتلة الملك البيزنطي هرقل الذي تمكن من محاصرة تسيفون بعد أن طرد الجيش الساساني من مصر وآسيا الصغرى .

ولم يتمكن الملك يزد جرد الثالث (٦٣٢ - ٦٥١ م) من الوقوف في وجه الجيوش العربية المتقدمة التي دخلت طيسفون بعد أن استولت على سوريا والعراق . واستغرق الفتح الإسلامي الفترة من عام ٦٤٢ م التي انتصر فيها الجيش العربي في موقعة النهاوند إلى عام ٦٥١ م التي قتل فيها الملك يزدجرد . وبذلك انتهى الحكم الساساني وبدأ العصر الإسلامي في بلاد الشرق الأوسط .

كان سقوط أسرة إرشاق وإحلال الساسانيين محلهم في إيران بداية لعصر جديد ازدهرت فيه مختلف الفنون الإيرانية . وليس من شك في أن حضارة الساسانيين في إيران والعراق هي امتداد للحضارات السابقة ولا سيما الفرثية . وورث الساسانيون كثيراً من التقاليد الفرثية كما استمروا في اعتناق المعتقدات الدينية المعروفة في إيران .

العمارة :

حاكى الساسانيون أسلافهم الفرثيين في كثير من الفنون المعمارية وظهر ذلك

بصفة خاصة فى تصميم المدن وفى القصور . فاقتبس مؤسس الدولة أردشير فكرة تخطيط المدينة المستديرة التى وجدها فى الحضر عندما شيد مدينة مستديرة فى فيروز أباد ، كما نقل عن أسلافه فكرة القصر المستطيل .

وشيد سقف القاعة الكبرى المعروفة بالإيوان على هيئة قبة نصف كروية ، وتظهر بقية القاعات خلف الإيوان . ويوجد بالجدران الداخلية لهذا القصر حنيات ذات عقود منحنية ، كما يلاحظ فوق العقود زخارف بارزة من مادة جصية يظهر فى تصميمها الطابع المصرى (ش ١٢٤) .

كان من عادة الملوك الساسانيين أن يقوموا بتشييد قصور جديدة لهم بمجرد اعتلائهم الحكم . فشيد شاهبور الأول ثانى ملوك الساسان قصراً له فى بيشابور[١] الواقعة فى منتصف الطريق بين فارس مسقط رأسه والعاصمة طيسفون[٢] . وتعتبر ولاية فارس المنطقة الوحيدة فى إيران التى لم يظهر فى فنونها طابع الفن الهيلينى وذلك لوجود آثار من العهد الأكمينى فى مدن هذه الولاية هما ياسرجداى وبرسيبوليس .

ولا يظهر أى اختلاف فى تصميم قصر بيشابور عن القصر السابق فالإيوان هو أهم قاعة فى القصر ، وسقفه على شكل نصف كرة . كما وجد بجدران هذه القاعة (ش ١٢٥ ا) أربع وستون حنية . ويغطى جدران القاعة والحنيات أفاريز من الملاط بها زخارف هندسية ونباتية بارزة يظهر فيها الأسلوب الهيلينى (ش ١٢٥ ب) .

ولقد زخرف الساسانيون قصورهم بزخارف بارزة عن الجدران فى أغلب الأحوال ، وتأخذ هذه الزخارف أشكالا متعددة ، نباتية أو حيوانية أو آدمية . ومن أشهر الوحدات التى انتشرت فى الفن الساسانى ، زخارف على هيئة وجه آدمى يتوسط مربع (ش ١٢٦) وهذه إحدى الوحدات التى انتقلت إلى مصر وظهرت فى الفن القبطى (ش ١٠٥) .

ويظهر فى ذلك العصر أسلوب جديد لزخرفة أرضية قاعات القصر ، حيث تغطى أرضية بعض القاعات بالزلط الملون فى أشكال زخرفية تبدو كأنها سجاد . وتظهر فى هذه الزخارف نوعان من العناصر . ففى الجزء المتوسط توجد صور لسيدات من القصر وراقصات

---

(١) بيشابور تعنى شابور الجميلة .

(٢) عرفت عند العرب باسم المدائن .

وموسيقيات [لوحة ملونة رقم ٤] . أما وحدات الإطار الخارجى الملاصق للجدار ، فهى عبارة عن وحدات هندسية أو رءوس لنساء ورجال (ش ١٢٧) .

وفكرة عمل زخارف برءوس آدمية لاتظهر فيها الأعناق هى أسلوب فرثى إيرانى لم يعرف فى بلاد الإغريق أو عند الرومان . وينتشر هذا الأسلوب ويظهر فى مصر فى الفن القبطى (ش ١٠٥) وربما يرجع هذا التأثير إلى فترة حكم الساسانيين لمصر فى أوائل القرن السابع الميلادى .

على أن طريقة تغطية الأرض بزخارف من الجص والزلط الملون لم تكن إيرانية ، بل أخذها الساسانيون عن الرومان الذين استعملوها بكثرة فى أرضيات قصورهم وحماماتهم . وفى الغالب قام بهذا العمل عمال من أنطاكية الرومانية حيث عثر فى هذه المدينة على أرضيات مغطاة بالفسيفساء مزخرفة بمواضيع متشابهة .

وقد ظل النمط المعمارى التقليدى لتشييد القصور مسيطراً على العمارة الساسانية فى كل العصور ، فلا يختلف قصر مدينة طيسفون (طاق كسرى) (ش ١٢٨) عن القصور السابقة . وتظهر بالواجهة زخارف مكونة من أعمدة متصلة بالجدران وفتحات كاذبة . ويتميز هذا القصر بوجود عقود مستديرة تتوسط المبنى . ويعتبر طاق كسرى أكبر عقد شيد من الآجر غير المسلح فى العالم حيث يبلغ ارتفاعه ٣٠ متراً . وقد اقتبس الساسانيون من الرومان طريقتهم فى زخرفة واجهة المبانى بصفوف من الفتحات الكاذبة وأنصاف الأعمدة .

لم يظهر الساسان اهتماماً كبيراً بزخرفة الجدران بالتصاوير الجدارية ومن الحالات النادرة التى عثر عليها ، تصاوير وجدت فى قصر بمدينة سوسا . وتشتمل هذه الصور على صورة لفارسين مرسومين بالحجم الطبيعى يرتدى أحدهما زياً لونه وردى موشى بخيوط من الذهب . ومن أمامها حيوانات الصيد تلوذ بالفرار . ويظهر هذا المنظر فوق أرضية زرقاء . ويرجع تاريخ هذه الصورة إلى النصف الأول من القرن الرابع بعد الميلاد فى فترة حكم الملك « شاهبور الثانى » . والظاهر أن هذا الملك شجع هذا

---

(١) يرجع بعض الباحثين أن شابور الأول هو الذى شيد « طاق كسرى » .

(٢) كتاب الفن الفارسى « ا . بوب » . Survey of Persion Ait.

الأسلوب الزخرفى حيث عثر على قصر من عهده به تصاوير جدارية ملونة فى مدينة « إيوان كاركا » التى شيدها بعد أن دمرت مدينة « سوسا » .

النحت الكامل :

تشير الآثار التى عثر عليها فى إيران من فترة الحكم الساسانى إلى أن الملوك الساسانيين لم يعتنوا بفن النحت الكامل . ولقد لجأ الفنان فى حالات نادرة إلى عملية متوسطة بين النحت البارز والنحت المجسم . وظهر هذا الأسلوب فى جدار صخرة فى جهة « تاكى بستان » نشاهد فيها نحتاً بارزاً من سطح جدار يصور الملك ممتطياً جواده (ش ١٢٩) ويرجع هذا النحت إلى القرن الخامس الميلادى .

والتمثال الوحيد الذى نحت نحتاً كاملاً ويمثل الملك شاهبور الأول (ش ١٣٠) ، يعتبر مكملا للعمارة ، حيث نلاحظ أنه نحت فى دعامة الكتلة الحجرية التى تحمل سقف مدخل أحد الكهوف المنحوتة فى الصخرة ، ويبلغ ارتفاع التمثال سبعة أمتار . وبالرغم من أن التمثال به محاولة لتوضيح زى الملك ، إلا أن نحته لايدل على مهارة . وكانت هذه الكهوف تنحت فى صخرة بالجبل ، ليوضع فيها مخلفات جثة المتوفى بعد أن تتعرض لأشعة الشمس فى أبراج أو أماكن فى أعلى الجبل . وكانت العظام تجمع فى توابيت بعد أن يتحلل الجسد لتوضع فى هذه الكهوف أو فى مبان تحت الأرض .

النحت البارز :

اتخذ ملوك الساسان الصخور العالية الموجودة فى بلادهم ليسجلوا عليها أحداثهم التاريخية الهامة . وكانت هذه الأحداث المصورة تشغل مساحات كبيرة على سطح الصخور . وتنحصر المواضيع فى مثول الملوك أمام الآلهة أو الانتصارات التى كسبوها . ويستمر ظهور مواضيع انتصار الملوك الساسانيين على الصخور حتى نهاية حكمهم . وقد اختار معظمهم الصخور التى نحتت بها مقابر الملوك الأكمينيين فى جهة « ناكش رستام » القريبة من برسيبوليس لتسجيل هذه المناظر .

ومن المواضيع الدينية التى عثر عليها فى جهة « ناكش رستام » ، نقش يصور الملك أردشير ممتطياً جواده يتقلد مقاليد الحكم من الإله أهورمازدا الذى يمنحه البركة ويعده بالانتصار على أعدائه (ش ١٣١) . وترمز صورة الأشخاص الذين تطؤهم أقدام الجياد إلى انتصار إله الخير على إله الشر وانتصار الملك على أعدائه .

ولقد كان لنجاح شاهبور الأول فى هزيمة الأمبراطور فاليريان الرومانى صدى كبير فى إيران ، حيث سجل هذا الانتصار التاريخى العظيم على عدة صخور متفرقة فى إيران ويصور أحد هذه النقوش الموجودة فى ناكشى رستام الملك ممتطياً جوادة وأمامه الإمبراطور الرومانى راكعاً (ش ١٣٢) . وتبدو الثياب التى يرتديها الحكام وكأن الريح تدفعها . وهذا أسلوب ساسانى اقتبسه الفنان من ثنيات الزى الرومانى .

ومن المواضيع النادرة التى وجدت فى هذه النقوش موضوع يصور الملك خسرو الثانى يصطاد الحيوانات البرية . ولقد وجد هذا النقش على جدار مغارة فى جهة « تاكى بستان » ويرجع تاريخه إلى أواخر عهد الدولة الساسانية . ولقد صور الملك ثلاث مرات فى هذه اللوحة ، فى الجهة اليمنى العلوية يشاهد ممتطياً جواداً ومن خلفه تابع يحمل مظلة تقى الملك من حرارة الشمس ، ويظهر مرة ثانية على اليمين يصطاد الغزلان ، ومرة ثالثة نشاهده فى قارب مصوباً سهامه إلى الخنازير البرية (ش ١٣٣) وتصحبه قوارب بها عازفات . ويلاحظ فى هذه الصورة أنها نقشت ببروز خفيف خلافاً لما كان متبعاً فى المناظر الأخرى .

ولقد أمكن التعرف على شخصيات الملوك المختلفة بمقارنتها مع صورتهم المنقوشة على العملات الفضية الخاصة بكل منهم ، كذلك يشكل غطاء الرأس الذين كانوا يظهرون به (ش ١٣٤) حيث اختلف هذا التاج اختلافاً طفيفاً فى زى كل ملك من الثمانية والعشرين ملكاً الذين حكموا إيران فى العصر الساسانى .

الفنون الصغيرة :

المعادن :

كانت المصنوعات الفضية من أجمل ماأنتجه الساسانيون من الفنون ، وتعكس

الأوانى والأطباق الفضية المنقوشة بمواضيع من داخل القصر أو خارجه ، الرخاء الذى كان سائداً فى القصور الساسانية ، كما توضح حب الحكام للاستمتاع بالحياة . وقد غطى بعض هذه المصنوعات بطبقة من الذهب كما رصعت بعض الأطباق بالأحجار الملونة (ش ١٣٥) .

وتأخذ مواضيع الحفلات والصيد مكان الصدارة فى الأطباق فيظهر الملك عادة جالساً على العرش الساسانى محاطاً بأتباعه ، وقد تراه مضطجعاً على أريكة ومعه الملكة (ش ١٣٦) وإظهاراً لعظمة الملوك الساسان كانوا يظهرون على الأطباق الفضية جالسين على عروش تحملها الأسود أو الجياد المجنحة (ش ١٣٥) ويظهر الملك دائماً فى وضع الواجهة كما تظهر الراقصات أيضاً منقوشة على بعض الأوانى يحيط بها تفريعات نباتية (ش ١٣٧) .

ومن الموضوعات التى كثر ظهورها على الأطباق الساسانية ، موضوع صيد الوحوش فيصور الملك تارة ممتطياً جواده مطارداً حيوانات الصيد المختلفة ، وتارة أخرى يصور وهو يصوب سهامه على الأسود المهاجمة بشجاعة فائقة (ش ١٣٨) وتذكرنا التفاتة الملك إلى الخلف بمناظر صيد الأسود الآشورية . كما أن شكل لفافة النسيج التى تتطاير من غطاء الرأس تنتشر فى فنون البلاد الأخرى ونراها فى الفن القبطى . لرأس جواد يظهر ويظهر اهتمام ملوك الساسان بزخرفة جيادهم فى قطعة معدنية (ش ١٣٩) .

المنسوجات :

برع الساسانيون فى صناعة المنسوجات الحريرية ، وكانت هذه المنسوجات تصدر إلى العالم البيزنطى وعن طريقها انتقل كثير من الوحدات الزخرفية الساسانية إلى منسوجات هذه البلاد

ولقد تفنن النساج الساسانى فى زخرفة منسوجاته بوحدات ساسانية مبتكرة ، ومن أهم هذه الوحدات وحدة حيوانية ورثها الفنان من الفنون السابقة ، وتبدو هذه الوحدة على هيئة حيوان خرافى نصفه الأمامى حيوان مجنح ، والجزء الخلفى ذيل طائر . ويكثر ظهور هذه الوحدة الزخرفية ، فنراها فى زخارف المنسوجات (ش ١٤٠)

التى تفوقوا صناعتها لدرجة كبيرة ، كما تظهر هذه الوحدة فى زخارف زى الملك خسرو وهو يصطاد (ش ١٤١) . المنقوشة على صخرة فى جهة تاكى بستان .

وقد كان الملوك العرب التدمريون يستعينون بمصانع النسيج الساسانية . واستمر ظهور الوحدات الساسانية فى زخارف المنسوجات السورية وفى النسيج البيزنطى بعد سقوط الإمبراطورية ، ووصلت هذه المنسوجات إلى الغرب كلفافات للآثار ، ونجدها حالياً موزعة على المتاحف (ش ١٤٢) . ولقد تأثر النساجون فى مصر بهذه الوحدات خاصة فى الفنين القبطى والإسلامى .

وترجع أهمية الفن الساسانى إلى إمداده الفنين البيزنطى والإسلامى بكثير من عناصره ، حيث اقتبس الفنانون فى العهود الإسلامية كثيراً من العناصر الساسانية . ويظهر ذلك بصفة خاصة فى الآثار التى عثر عليها فى العهدين العباسى والفاطمى .



(شكل ١١٧) معبد شاماش (مرن) كبير
آلهة الحضر . القرن الأول أو الثانى لميلادى .

(شكل ١١٨) الجدار الخارجى لقصر مدينة الحضر وتظهر به
زخارف بارزة لوجوه آدمية القرن الثانى . حالياً العراق .



(شكل ١١٩) زخارف جدارية بارزة على هيئة أشكال هندسية
وجدت فى قصر بمدينة كوهى خافاجا . القرن الأول .

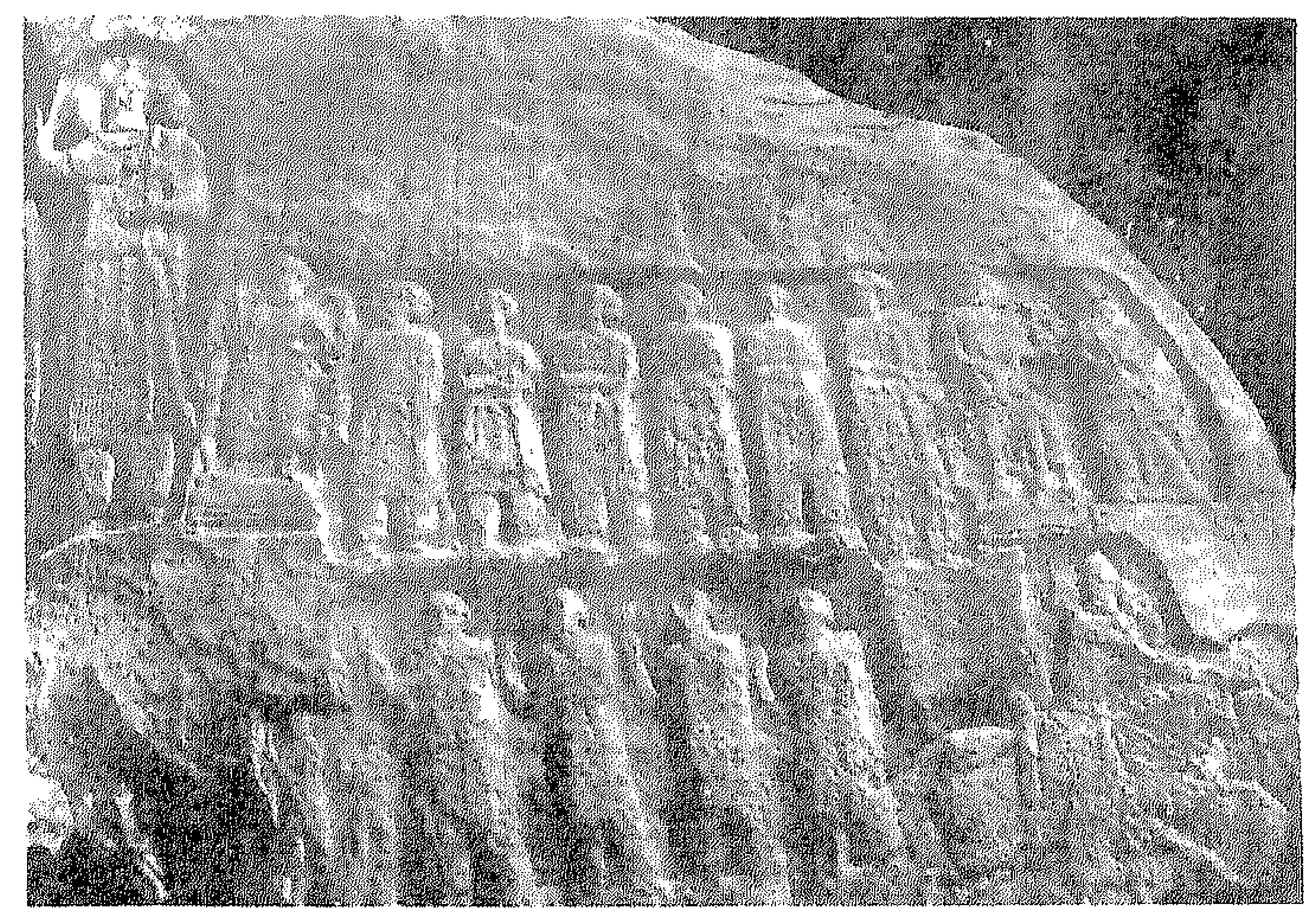




(شكل ١٢٠) أمير فرثى ، تمثال من البرونز عثر عليه فى معبد مدينة شامى . القرن الثانى الميلادى ، متحف طهران .



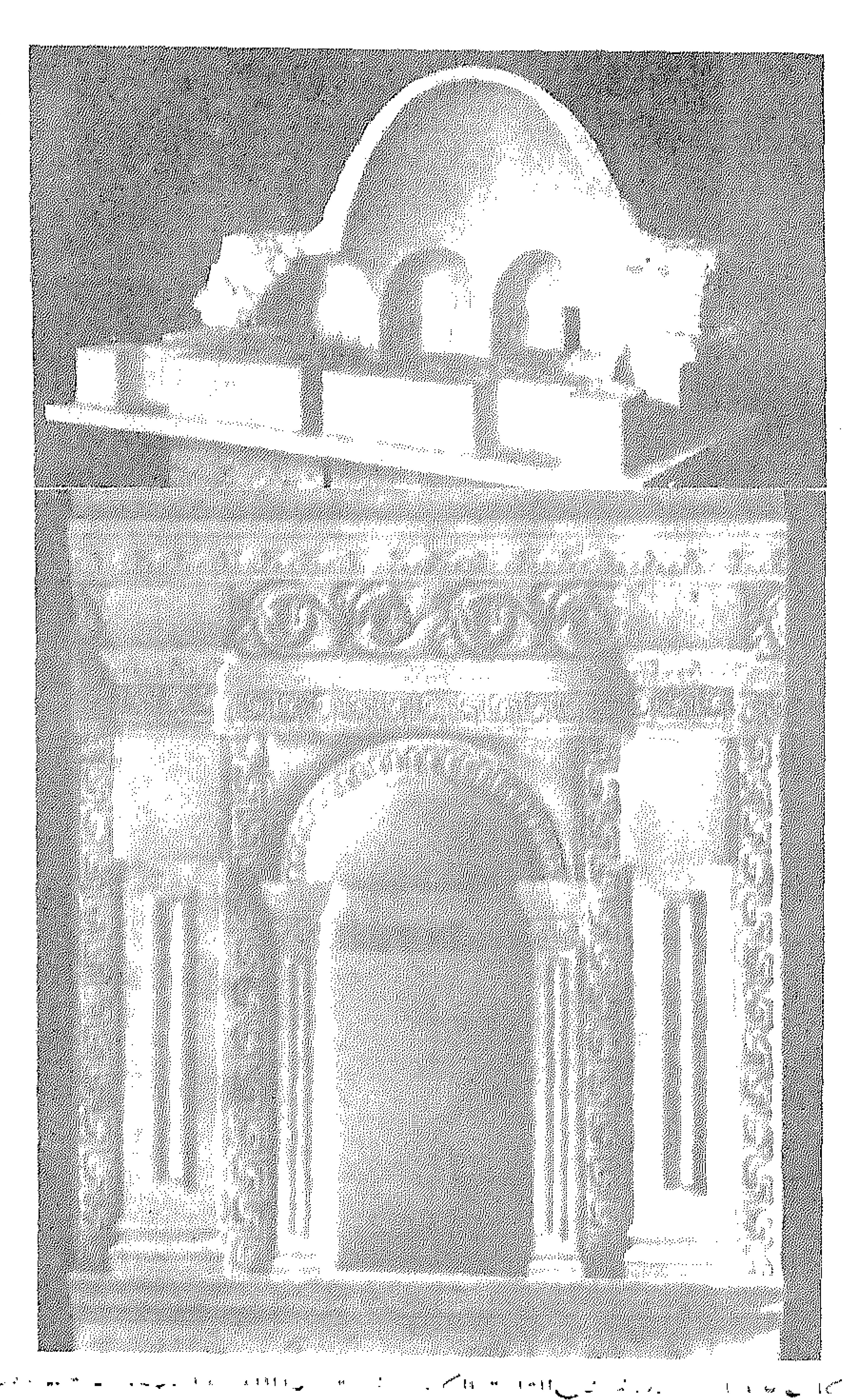
(شكل ١٢١) تمثال أوتال أحد ملوك الحضر . نقش اسمه على القاعدة . القرن الثانى الميلادى . حالياً بمتحف مدينة الموصل



(شكل ١٢٢) صخرة بجهة تانجى سرواك بإقليم خوزستان وبها نقوش بارزة فى صفين بموضوعات تدور حول أمير المقاطعة الذى يظهر بحجم أكبر فى الجهة اليسرى أواخر القرن الثانى الميلادى .

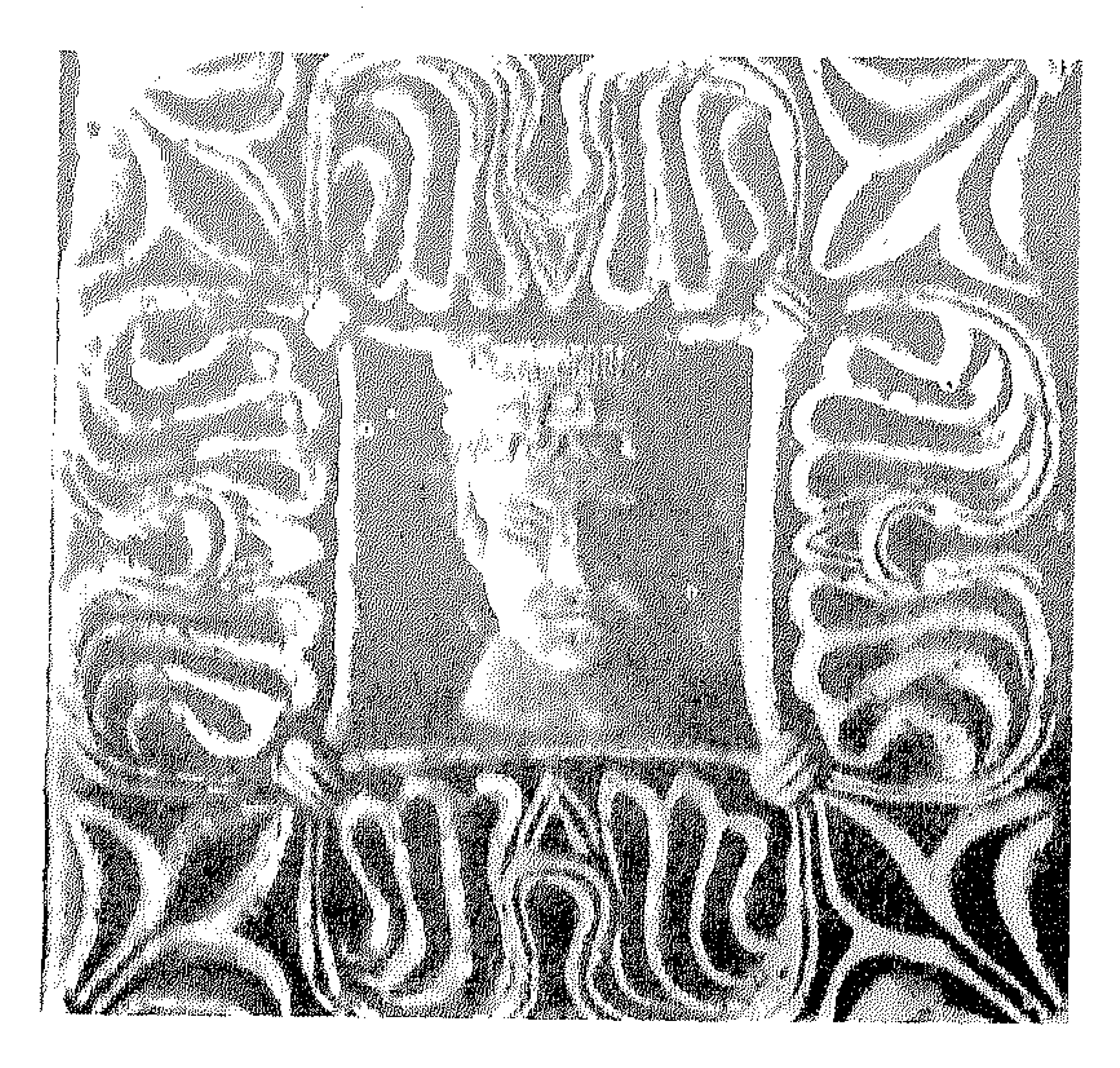
شكل ١٢٣) تصوير جدارى عثر عليه بمدينة كوهى خافاجا القرن الأول ق . م .





[illegible]
وتظهر به زخارف جصية [illegible] . في حنية من جدار القصر . منتصف القرن الثالث الميلادى . حالياً بمتحف اللوفر

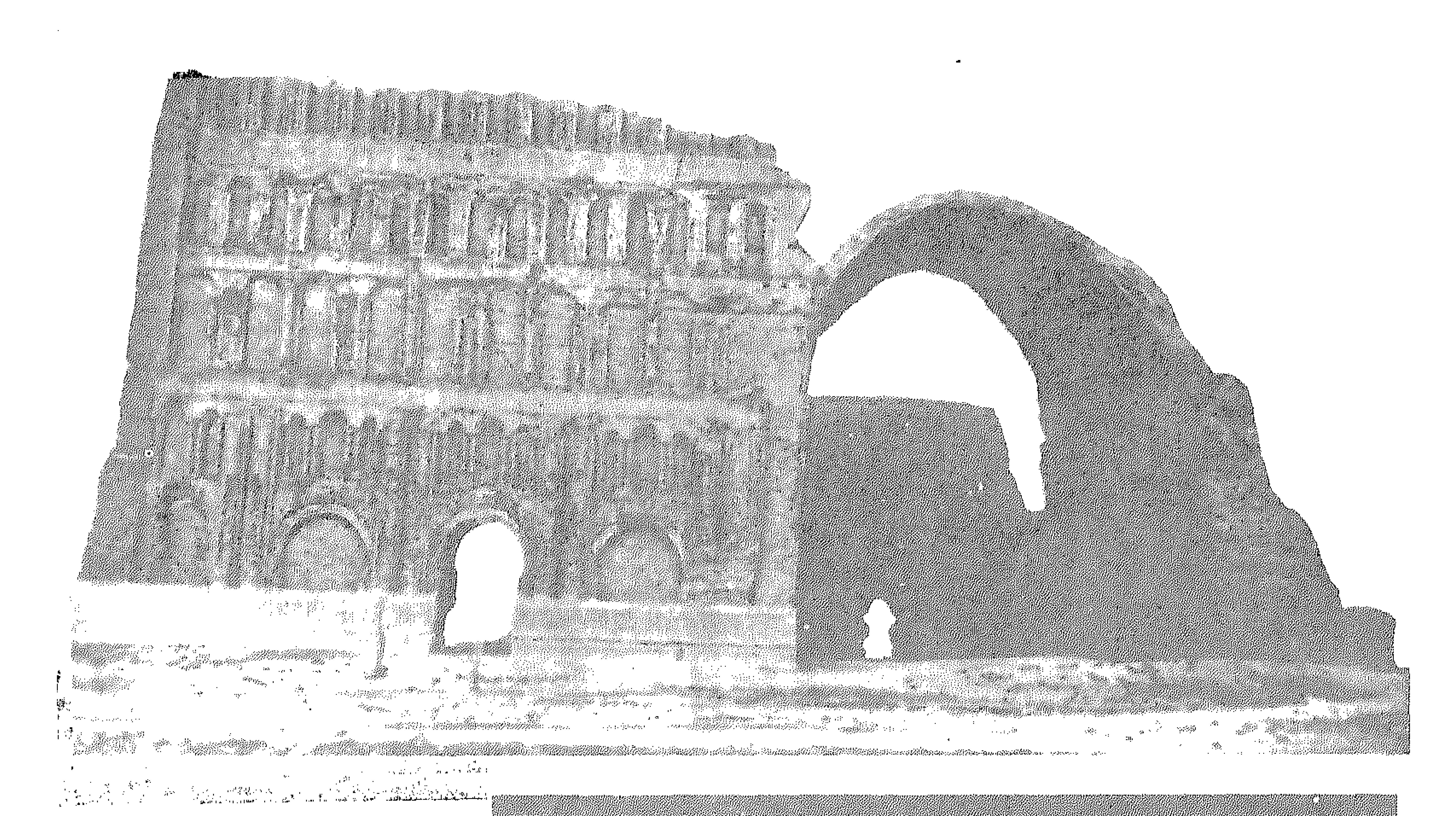




(شكل ١٢٦) زخرفة جصية على الجدران يظهر بها وجه آدمى داخل مربع . متحف بغداد .



(شكل ١٢٧) فسيفساء ، زخارف على هيئة رؤوس آدمية قصر بيشابور .



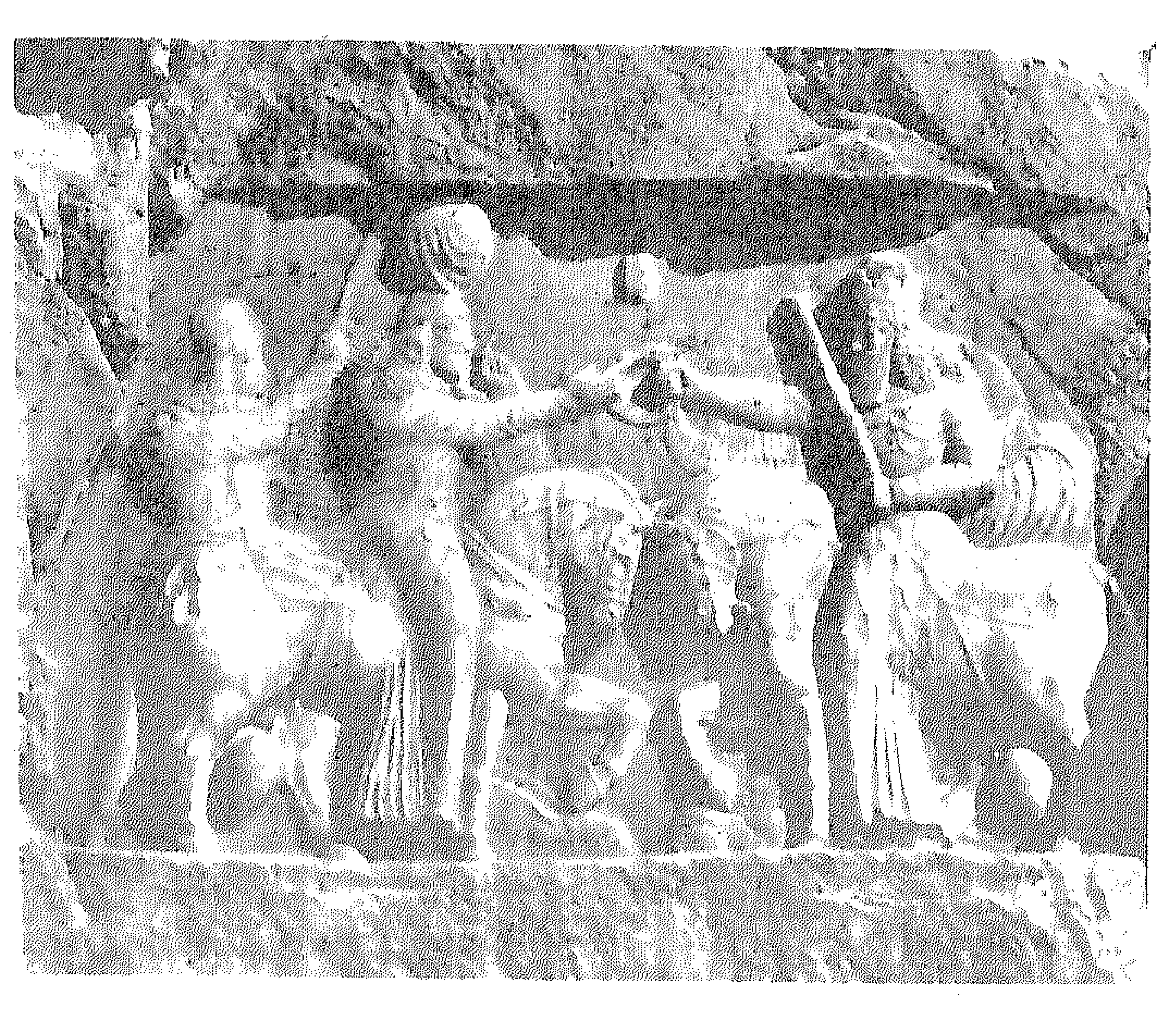
(شكل ١٢٨) طاق كسرى الموجود بقصر مدينة تسيفون . حالياً العراق .



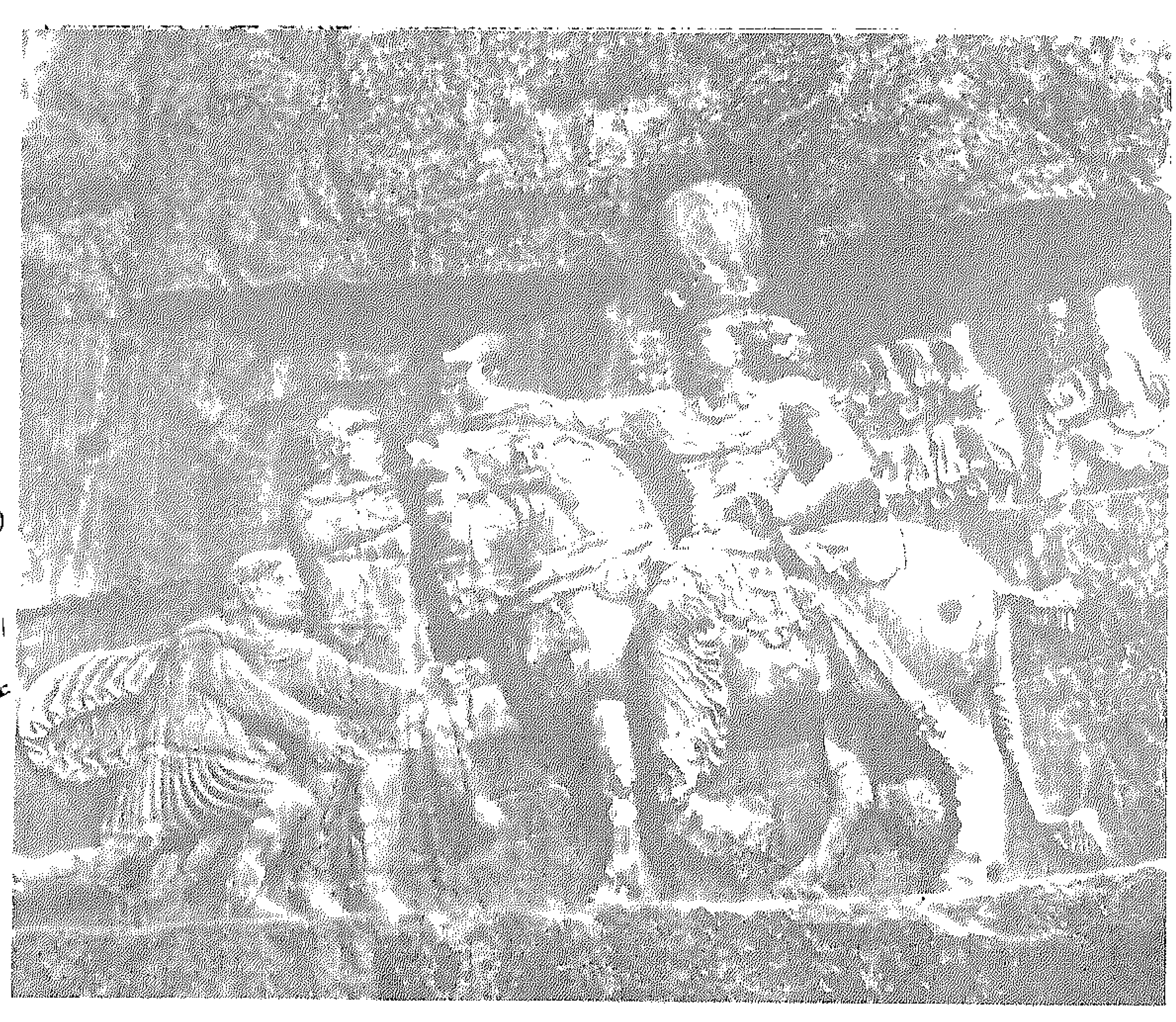
(شكل ١٢٩) نحت بارز يصور فارساً يمتطى جواداً « ربما يصور الملك خسرو الثانى » عثر عليه فى صخرة بجهة تاكى بستان . القرن الخامس . إيران



(شكل ١٣٠) تمثال أكبر من الحجم الطبيعى يصور الملك شابور الأول عثر عليه فى بيشابوز .



(شكل ١٣١) الملك أردشير يتقلد الحكم من الآلهة أهورماردا . نقش وجد على صخور بجهة ناكشى رستام . إيران ، القرن الثانى الميلادى



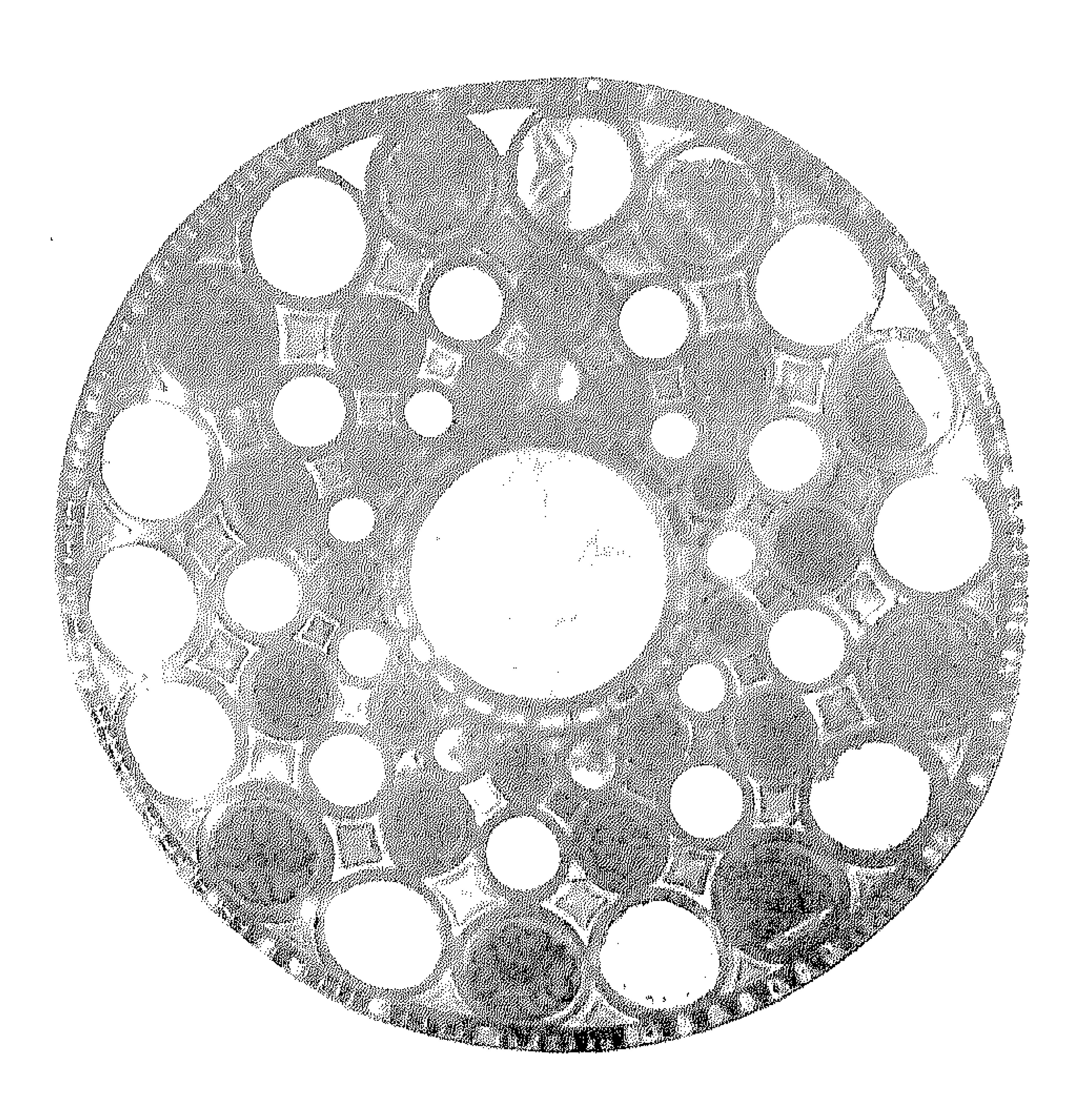
(شكل ١٣٢) الملك شابور الأول منتصراً على الإمبراطور الرومانى فاليريان . نقش وجد على صخور ناكشى رستام ، إيران منتصف الثانى من القرن الثالث .

(شكل ١٣٣) الملك خسرو الثانى يصطاد الغزلان البرية والخنازير . نقش وجد على صخور تاكى بستان إيران القرن الخامس ميلادى





(شكل ١٣٤) قطعة معدنية تصور ملك ساسانى .



(شكل ١٣٥) طبق من الفضة به نقش يصور الملك والملكة جالسين . القرن السادس أو السابع الميلادى . حاليا بمتحف مدينة بلتيمور . الولايات المتحدة



ومنقوش بزخارف راقصات وحيوانات ونباتات
عثر عليه فى مدينة كلاردشت إيران القرن
السادس الميلادى . حالياً بمتحف طهران

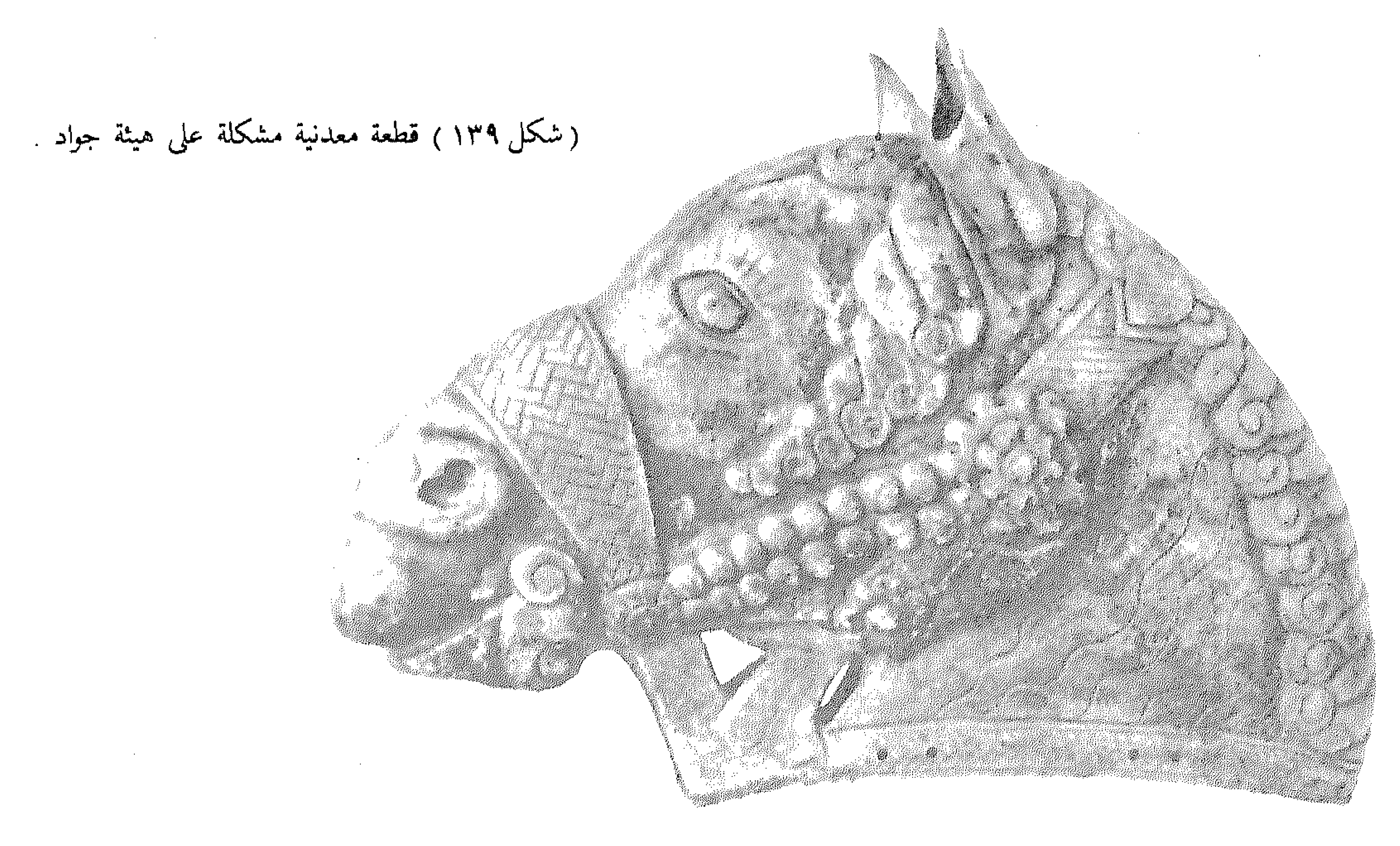


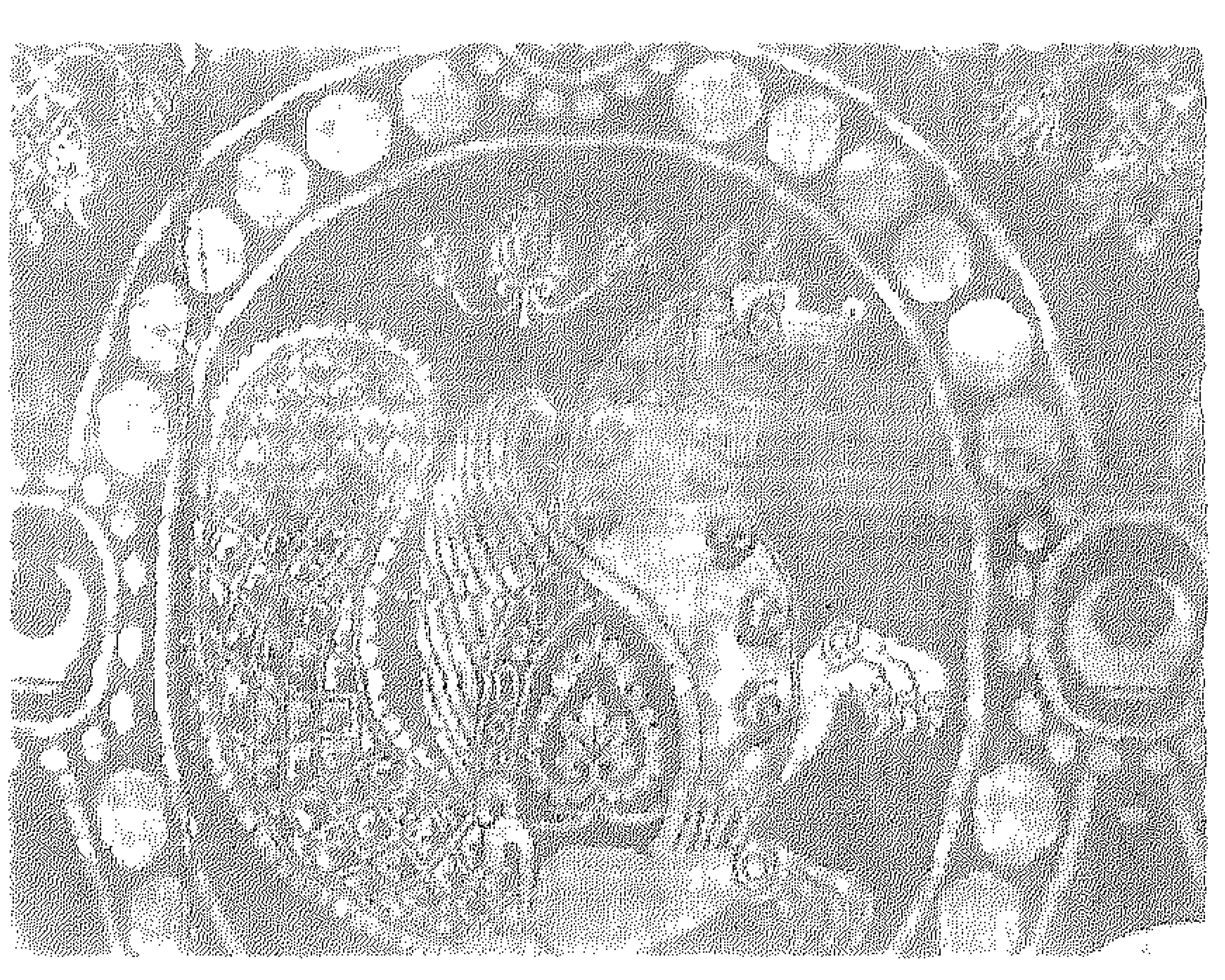
(شكل ١٣٦) طبق من الفضة المزخرف بقطع من
الزجاج الملون تصور الملك جالساً على عرشه .



(شكل ١٣٨) طبق من
الفضة منقوش بموضوع
يصور الملك شاهبور الثانى ـ
يصطاد الأسود .
القرن الرابع . حالياً
متحف الإرمتاج . لننجراد

(شكل ١٣٩) قطعة معدنية مشكلة على هيئة جواد .





(شكل ١٤٠) قطعة نسيج حريرية مزخرفة بوحدة حيوان السمرج .

(شكل ١٤١) نقش بارز بوحدة حيوان السمرج الخرافى . وجد بين زخارف زى الملك خسرو فى منظر صيد الغزلان والخنازير بجهة تاكى بستان . إيران

(شكل ١٤٢) قطعة من الحرير مزخرفة بوحدة طائر فى دائرة متكررة . متحف الفاتيكان بروما .





تم إيداع هذا المصنف بدار الكتب والوثائق القومية
تحت رقم ٤٢١٨/١٩٧٥
مطابع دار المعارف بمصر – ١٩٧٥
١/٧٥/١٥٦

Demus O. Byzantine Mosaic Decoration London 1941.

Grabar A. Byzantine Painting 1953 Skira.

Gruneissen W. Les Caracteristiques de L'art CopteFlorene 1922.

Millngen E. Byzantine Churches in Constantinople. 1912.

Fakry A.Bagawat in kherge Oasis.

Manneret de Villard, La scalpturad Ahnas.

Price D..Talbot, Art of the Byzentine Ers 1963, Thames and Hudson.

The Art of Byzantium, Abrams New York 1959.

Ressicun icons 1963 Spring books.

Byzantine Art Penguin Books 1968.

Phister Textiles of Palmyra.

Smith, Earl Balduin, the Done, Princeton University Press 1950.

Swift. E. Hagia Sophia, Columbia University Press 1940.

Volbaeh W.H.M., Early Christian Art Abrams, New York, 1961.

Whitlemore T. The Mosaics of Hagia Sofia at Istanbul 1935—52. Oxford.

Claus W. L'Art Copte, Editions Meddens Bruxelles 1964.

مراجع الباب الثالث

Pope, Arthur Upham, Masterpicces of Persian Art Dryden Press, New York, 1945 and Ackerman, Phyllis, "A Survey of Persian Art from Prehistoric times to the present, Vols, American Institute for Iranian Art and Archeology, Oxford University Press New York, 1938—39.

Girshman, R. Parthes et Sassanides Iran from the earliest times to the Islamic Conquest 1961 Richhard clay and Comp. Ltd. England.

مراجع الباب الأول

Baur, P.V.C. & M.I. Rostovtzeff, Excavatons at Dura Europos. Pre. Reports, nos 1 (1929), 2 (1931) New Havan Conn.

Bowen R. Archaeological Discoveries in South Arabia Baltimore, 1958.

Bieber, Margarete,The Sculpture of the Hellenestic Age, Columbia University Press 1961.

Kemmerer A. Petra et la Nabatine, Paris 1929.

Kennedy A.B. Petra its History and Monuments, London 1925.

Rostovtzeff, M. Dura Europos and its Art. Clarendon Press Oxford 1938 U.P.

Caravan Cities Oxford 1932.

Seyvig, H. Ingholt H. Starcky J. Recueil des trésor de Palmyre Paris 1955.

Shore A.F. Portrait Painting From Roman Egypt. The British Mus. London 1962.

Huyghe R. Larousse Prehistoric & Anered-Art Wooley L. The Art of the middle East. Crown Publishers, inc. New York.

مراجع الباب الثانى

Anthony, E., A History of Mosaics, Sargent, Boston, 1935.

Badaway, A. L'Art Copte, Le Caire 1949.

Bovini, G. Revence Mosaics 1956, New York, Graphic.

Beekwith J. The Art of Constantinople 1961 Phaidon, New York.

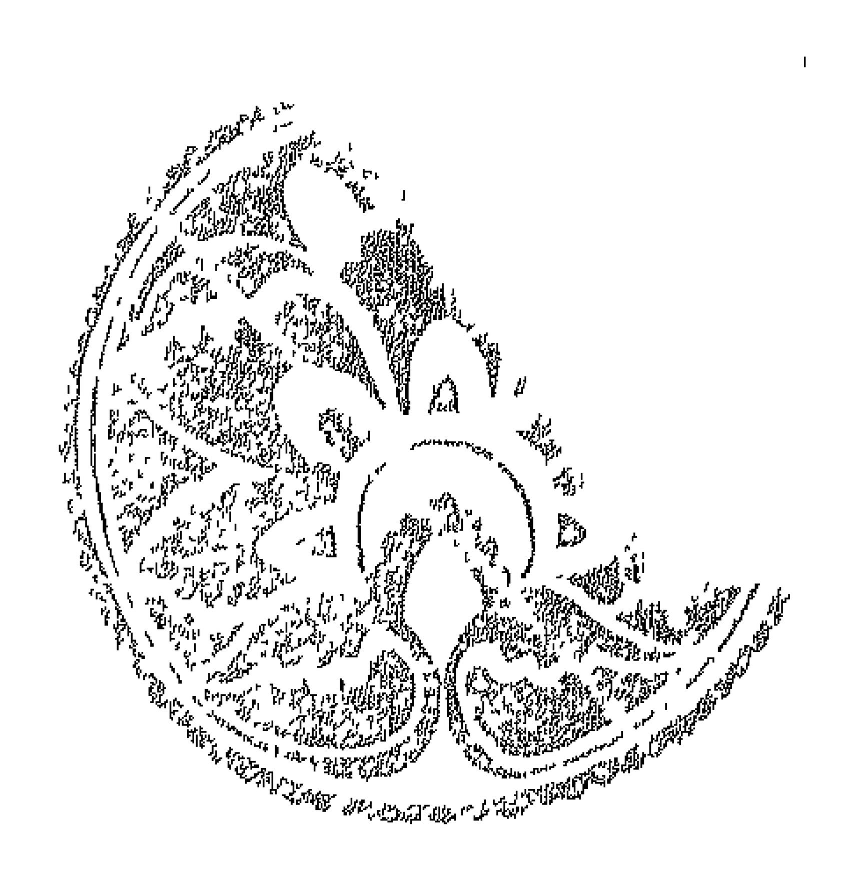
Coptic Sculpture.

Butler H. Coptic Churches.

Early Churches in Syria 1929 Princeton.

Crawfoot, J. Early Churches in Palestine 1947 Oxford U.P. For the British Academy.

Dalton O. Byzantine Art & Archeology, Clarendon Press. Oxford 1911.



يضم هذا الكتاب ثلاثة طرز فنية جديدة . ظهرت في منطقة الشرق الأوسط ذات التراث الحضاري العظيم . بعد انتصار الغرب على الشرق لأول مرة

فمما لاشك فيه أن بلاد الشرق الأوسط القديم وممالكها في المنطقة . قد تأثرت بأسلوب الفنون الاغريقية الهيلينية التي أتى بها الفاتح الإسكندر المقدوني

وكان للدين المسيحي الذي انتشر في المنطقة في فترة حكم الرومان أثر واضح في ثقافات وعادات شعوبها انعكس أيضاً على فنونها .

كما أضاف الفرس الساسانيون طرازا فنيا جديداً انتشر في المنطقة نتيجة للحروب التي قامت بينهم و بين الرومان حكام المنطقة .

وتساعد اللوحات الملونة والصور التي تصاحب النص القارئ على تذوق الأعمال الفنية التي انتشرت في المنطقة .



٧٠ ص